الصلاة على النبي

صلى الله عليه وآله وسلم

أحكامها . فضائلها . فوائدها

جمع وترتيب

عبد الله سراج الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الصَّلاةُ عَلى النَّبيِّ

صلى الله عليه وآله وسلم

أحكامها، فضائلها، فوائدها

الصَّلاة على النبيِّ

صلّى الله عليه وآله وسلّم

أحكامها، فضائلها، فوائدها

جمع وترتيب

عبد الله سراج الدين

الطبعة الأولى

١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٤ م

٣٠٠٠ نسخة



الصف التصويري : على أجهزة C. T. T. السويسرية
بدار الفكر بدمشق ص.ب ٩٦٢
الإفشاء (أوفست) : في المطبعة العلمية بدمشق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وأفضل الصلاة وأكمل التسليم ، على سيدنا محمد خاتمَ الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله وأصحابه والتابعين إلى يوم الدين .

وبعد :

فهذا الكتاب مختصر مفيد ، ضمَّنتُه أبحاثاً تتعلق بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، من حيثُ أحكامُها ، وفضائلُها ، وفوائدُها ، وبعضُ أسرارها ، مع ذكر الأدلة على ذلك من الأحاديث النبويّة ، والآثار المرويّة .

وقد حاولتُ الاقتصار والاختصار رغبةَ النشاط في قراءته ومتابعته ، ومساعدةً للنفوس المؤمنة على تطبيقه .

ولا ريبَ أن أحداً من أُولي العلم مهما حاول أن يحيط بفضائل الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وبأسرارها وأنوارها ، فإنه لا يستطيع ذلك ، ولكنْ ما لا يُدرَكُ كلُّه لا يُترك كلُّه .

وقد ذكرتُ في هذا المختصر ما يعلِّم الجاهل ، ويذكِّر الغافل ، وينهض بهمة الصالح العامل .

ولعل قارئ هذا الكتاب يذكرني بدعوة صالحة أنتفع بها وينتفع بها ،

ذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مَن دعا لأخيه بظهر الغيب قال المَلَك الموكَّل به : آمين ، ولك بمثله » .

وإنني أسأل الله تعالى القريب المجيب باسمه العظيم الأعظم ، وبنور وجهه الكريم الأكرم ، وبحبِّه لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ؛ أن يَتغمَدنا ومَن قرأ هذا الكتاب أو نظر فيه : بالرحمة والغفران ، وأن يُفيض علينا وعليه سحائب الإحسان والرضوان ، وأن يكشف الحجب عن البصائر والأبصار ، لنشهد الأسرار ونشاهد الأنوار ، في هذه الدار وفي تلك الدار ، وأن يجعلنا من رُفقاء حبيبنا وشفيعنا وروح أرواحنا السيد المختار ، صلى الله عليه وسلم في دار القرار ، فضلاً من الله تعالى العزيز الغفار . آمين .

حول معاني قوله تعالى

﴿ إن اللهَ وملائكتَه يُصلُّون على النبيِّ ياأيها الذين آمنوا صلُّوا عليه وسلِّموا تسليماً ﴾

والكلام عن ذلك له وجوه متعددة :

الوجه الأول :

أن هذه الآية الكريمة اشتملتْ على الخبرِ أولاً ، والأمرِ ثانياً :

أما الخبر فإن الله تعالى أخبر عباده في هذه الآية الكريمة بمنزلة هذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم عنده في الملأ الأعلى ، بأنه يصلِّي عليه عند المقرَّبين هناك ، وأن الملائكة كلَّهم يصلون عليه ، وما ذاك إلا لفضله صلى الله عليه وسلم عند ربه ، وعلوِّ مقامه وشرف قدره في الملأ الأعلى .

ثم أمر سبحانه أهلَ العالَمِ الأدنى بالصلاة وبالتسليم عليه ، وذلك ليجتمع له الثناء والتكريم والتعظيم من أهل العالمْين : العلويّ والدّنياوي جميعاً ، وقد ابتدِئَ الخبر بـ ﴿ إن ﴾ لتأكيد الخبر وبيان عظِمه .

وقد قال بعض أهل التحقيق : إن الآية الكريمة مشتملة على خبرين ، كما اشتمل آخرها على أمرين عظيمين :

أما الخبران :

فالأول : هو الخبر عن جناب ربّ العزة ، وهو الله الكبير المتعال ، بأنه هو يصلِّي على هذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم .

والخبر الثاني : هو عن ملائكة الله تعالى ، بأنهم يصلون على هذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم .

فالتقدير : إن الله يصلِّي على النبي ، وإن ملائكته يصلون على النبي ، وسببُ هذا التقدير هو اختلاف حقيقة الصلاتَيْن : صلاةِ الله تعالى ، وصلاةِ ملائكته ، فإن صلاة الملائكة ليست هي كصلاة رب العالمين ، ولا مشابهةَ بينهما .

وأما مَن جعل قوله تعالى : ﴿ يصلون على النبي ﴾ خبراً عن الله وملائكته : فذلك من باب إطلاق المشترك على أفراده المختلِفة ، أو من باب عموم المجاز ، ولكن القول الأول أبلغ ؛ وللناس فيما يفهمون مذاهب .

وعلى كلا التقديرين : فإن الله تعالى يُعلن لعباده كلِّهم فضلَ هذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم ، وشرفَ منزلته وكرامته عنده ، فهو سبحانه يعلن ذلك في الملأ الأعلى ، وينزل هذا الإعلان إلى عالَم السموات ، ثم إلى عالَم الأرض ، فيدوِّي هذا الإعلانُ في جميع الأكوان ، وتسجَّل هذه الآيات في صفحات الكائنات ، إعلاماً بأن هذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم ؛ له شأن عظيم عند رب العرش العظيم .

وذلك أن الله تعالى هو يصلي على هذا النبي صلى الله عليه وسلم ، تشريفاً له وتكريماً ، وتفضيلاً له وتعظيماً ، وأن ملائكة الله تعالى

يصلون على هذا النبي صلى الله عليه وسلم ، تشرُّفاً بـالصلاة عليـه وتبركاً ، وانصباغاً بأنوارها ، وانغماساً في أسرارها .

فها هنـا لمـا سمع أهل الملأ الأدنى بـذلـك استـأنستْ قلوبهم ، وتحركتْ هممهم وعزائمهم ، لنيل شرف الصلاة على هـذا النبي الكريم صلى الله عليـه وسلم ، ونيلِ فضـائـل الصـلاة عليـه صلى الله عليـه وسلم ، والاقتبـاسِ من أنـوارهـا ، والامتـلاء من أسرارهـا ، فنـادى منهم لسـان الحـال المعبِّر عن حقيقة ماهم عليـه : يـارب ائـذن لنـا أن نتشرّفَ بـالصلاة على هـذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم ، الذي تشرفَت الملائكة بالصلاة عليـه صلى الله عليه وسلم .

فجاء النـداء الإلَهي بقولـه تعـالى : ﴿ يـا ﴾ للتنبيـه ، ﴿ أيُّهـا ﴾ ، بالتأْييه ، وذلك ليكون أقوى في التنبيه ، لتلقي الأمر الـذي يَرِدُ بعـده ، فقال سبحانه : ﴿ ياأَيُّها الذيْن آمَنوا صَلُّوا عليْه وَسَلِّمُوا تَسْليمـاً ﴾ فيكون ذلك من باب التشويق ثم التذويق ، والشوق إذا تقـدم على الـذوق يكون التذوق أكملَ وأقبل ، وأحلى وأعلى عند صاحب الذوق ، جعلنا الله تعـالى منهم .

ومن المعلوم عند علماء اللغة العربيـة أن (يـا) هي في الأصل لنـداء البعيـد ، وأمـا القريب فينـادَى بـالهمزة أو بـ (أيْ) ، ولكن (يـا) قـد ينادى بها القريبُ ، لتنزيله منزلة البعيد ، وذلك :

إما لعلوّ مرتبة المنادي وعظيم قـدره ، ومن ذلـك نـداءُ الحق عبـاده بـ (يا) .

وإما لعلوِّ مرتبة المنادَى ، ومن ذلك قول العبد : (يا رب) .

وإما من باب تنزيل المنادى القريب لغفلته وسهوه منزلة من بَعُد .

وقد كثر النداء في القرآن المجيد بـ ﴿ ياأيها ﴾ المشتملة على هاء التنبيه ، لأن ما ينادي الله تعالى به عباده من : أوامره ونواهيه ، ووعده ووعيده ، هي أمور عظام ، وخطوب جسام ، يجب عليهم أن يتيقظوا لها ، ويميلوا بقلوبهم إليها ، فاقتضتِ الحالُ أن ينادَوْا بآكد النداء وأبلغه فإن قولك : (ياأيها الرجل اتق الله تعالى) أقوى وأبلغُ من قولك : (يا رجل اتق الله تعالى) قال الله تعالى : ﴿ ياأيها الذين آمنوا اذكروا الله ﴾ . وقال : ﴿ ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله ﴾ وقال : ﴿ ياأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً ﴾ .

هذا وإن تعليق النداء على صفةِ الإيمان في قوله تعالى ﴿ ياأيها الذين آمنوا ﴾ فيه الحثُّ الشديدَ على امتثال الأمر الوارد بعد النداء ، وأن ذلك هو مقتضى إيمانهم الذي اعتقدوه ، ودينهم الذي التزموه ، فمن ترك هذا الأمر وتخلَّف عنه فقد خَدَش إيمانَه وعرَّضه للخطر ، وهذا نظير قوله تعالى : ﴿ ياأيها الذين آمنوا اركعوا واسجُدوا واعبُدوا ربَّكم وافعلوا الخيرَ لعلكم تفلحون ﴾ ونظير قوله تعالى : ﴿ ياأيها الذين آمنوا كُتِب عليكم الصيام ﴾ الآية ، ونظير قوله تعالى : ﴿ ياأيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ﴾ الآية ، وفيه تنبيه إلى أن قضية امتثال أمره تعالى في قوله ﴿ صلوا عليه ﴾ هي قضية إيمان ، وليست هي قضيةَ امتنان على هذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم .

والخبر في قوله تعالى : ﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبي ﴾ جاء

بالجملة الإسمية ، للدلالـة على الـدوام والاستمرار ، كما هو الأصل في مـدلول الجمل الإسمية .

والمعنى : أن صلاة الله تعالى ، وصلاة ملائكتـه على هـذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم هي مستمرة أبداً ، لاتنقطع سرمداً .

وقال بعض المحققين : إن هذه الجملـة ﴿ إن الله وملائكتـه يصلون على النبي ﴾ تفيـد الـدوام والاستمرار نظراً إلى صـدرهـا ، من حيث إنهـا جملـة اسمية ، وتفيد التجدُّد نظراً إلى عجُزها من حيث إنه جملة فعليـة ، فيكون مُفـادُهـا استمرارَ صلاةِ الله تعـالى وملائكتـه على النبي صلى الله عليـه وسلم وتجدُّدها وقتاً فوقتاً دون نفاد ولا انقطاع[1] .

والإتيانُ بوصفه صلى الله عليه وسلم دون اسمه في قولـه تعـالى : ﴿ إن الله وملائكتـه يصلون على النبي ﴾ هو على خـلاف الغـالب في إخبـار الله تعالى عن أنبيـائـه على نبينـا وعليهم الصلاة والسلام ، فقـد جِيءَ بـذلـك للدلالة على ما خصّ الله تعالى به هذا النبيَّ الكريم صلى الله عليـه وسلم من مزيد الفخامة والكرامة ، وعلو المكانة والمقـدار ، وأكـد ذلـك بـ (أل) في قـولـه تعـالى : ﴿ على النبي ﴾ لـلإشـارة إلى أنـه صلى الله عليـه وسلم هـو المعروف الحقيق بوصف النبوة .

وبيان ذلك : أن الله تعالى أخبر عن أنبيائه ورسله ، ونـاداهم بـأسمائهم غالباً :

فقال تعالى لآدم عليه السلام : ﴿ يا آدم اسكُنْ أنت وزوجُك الجنة ﴾ الآية .

---

(١) انظر « تفسير الآلوسي » وغيره .

وقال تعالى لنوح عليه السلام : ﴿ قيل يا نوحُ اهبِطْ بسلام منا وبركات ﴾ الآية .

وقال تعالى للخليل إبراهيم عليه السلام : ﴿ وناديناه أنْ يا إبراهيمُ قد صدّقتَ الرؤيا ﴾ الآية .

وقال تعالى لموسى الكليم عليه السلام : ﴿ ياموسى أقبلْ ولا تخفْ إنك من الآمنين ﴾ .

وقال تعالى لداود عليه السلام : ﴿ يا داودُ إنا جعلناك خليفةً في الأرض ﴾ الآية .

وقال تعالى لعيسى عليه السلام : ﴿ إذْ قال الله : يا عيسى إني متوفِّيك ورافعُك إليّ ﴾ الآية .

وأما نداؤه سبحانه وتعالى وخطاباته للحبيب الأكرم صلى الله عليه وسلم فلقد جاءت بألقاب المدح والثناء ، وذكره صلى الله عليه وسلم بوصف النبوة والرسالة :

قال تعالى : ﴿ ياأيها النبيُّ إنا أرسلناك شاهداً ومبشِّراً ونذيراً ﴾ .
وقال تعالى : ﴿ ياأيها الرسول لا يَحْزُنْكَ الذين يُسارعون في الكفر ﴾ .
وقال تعالى : ﴿ ياأيها المزمّل ، قمِ الليلَ إلا قليلاً ﴾ .
وقال تعالى : ﴿ ياأيها المدثرّ ، قُمْ فأنذرْ ﴾ ناداه بذلك ملاطفةً ومؤانسةً .

وهكذا الأخبار الإلّهية عنه صلى الله عليه وسلم جاءت بوصف النبوة والرسالة :

قال تعالى : ﴿ لكن الرسولُ والذين معه جاهَدُوا بأموالهم وأنفسهم ﴾ الآية .

وقال تعالى : ﴿ واعْلموا أن فيكم رسولَ الله ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ إن أولى الناسِ بإبراهيمَ للَذين اتبعوه وهذا النبيُّ والذين آمنوا ﴾ الآية .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ إنَّ الله وملائكتَه يُصَلُّون على النبي ﴾ الآية . صلى الله عليه وسلم ، وفي ذلك تفضيلٌ له وتشريف ورفعة لمقامه على غيره صلى الله عليه وسلم .

وقد أتي بأل المعرفة في قوله تعالى ﴿ على النبي ﴾ للتنبيه إلى أنه صلى الله عليه وسلم هو المعروف الحقيق بهذا الوصف الخاتم لجميع النبوات ، وللإشعار بعلة الحكم ، وذلك أن منصب نبوته صلى الله عليه وسلم هو منصب شريف ، ومقام مُنيف ، لا يعلم خصائص نبوته إلا الذي نبَّأه وأعطاه .

نعم إنها النبوة الفاتحة للنبوات في عالم الأرواح ، وإنها الخاتمة للنبوات في عالم الأشباح ، دلَّ على ذلك قوله تعالى : ﴿ ولكنْ رسولَ الله وخاتم النبيين ، وكان الله بكل شيء عليماً ﴾ . فهذا نص في ختم نبوته صلى الله عليه وسلم .

وأما فاتحة نبوته في عالم الأرواح فقد جاء الدليل على ذلك في الحديث الذي رواه الترمذي وقال : حسن صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قالوا : يا رسول الله متى وجَبَتْ لك النبوة ؟ قال : « وآدمُ بين

الروح والجسد » . وقد جاء تفسير قول السائل : متى وجبت ؟ في رواية الإمام أحمد في مسنده عن عبد الله بن شقيق عن رجل قال : قلت : يا رسول الله متى جُعلت نبياً ؟ قال : « وآدمُ بين الروح والجسد »[1] . فقد أعطاه الله تعالى النبوة وجعله نبياً في عالم الأرواح .

وروى الإمام أحمدُ عن العِرْباض بن ساريةَ رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إني عِند الله لَخاتمُ النبيين ، وإن آدم عليه السلام لَمُنْجَدِلٌ في طينته ، وسأنبئكم بأول ذلك : دعوة أبي إبراهيم ، وبشارة عيسى بي ، ورؤيا أمي التي رأتْ في المنام ، وكذلك أمهات النبيين يَرَيْنَ »[2] .

وأورد من طريق أخرى عن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إني عبدُ الله وخاتم النبيين وإن آدم لمنجَدِل في طينته » ـ فذكر مثله ـ ، وزاد فيه : « إن أم رسول الله صلى الله عليه وسلم رأتْ حين وَضَعتْه نوراً أضاءت منه قصور الشام » .

وروى أبو نعيم عن الصُّنَابِحيِّ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال : يا رسول الله متى جُعلتَ نبياً ؟ قال : « وآدمُ بين الروح والجسد » .

وروى ابن سعد من رواية الجعفي عن الشعبي قال : قال رجل : يا رسول الله متى استُنْبِئتَ ؟ ـ أي أُعطيتَ النبوة ـ قال : « وآدم بين

(١) المسند : ٤/٦٦ و ٥/٣٧٩

(٢) المسند : ٤/١٢٧

الروح والجسد حيث أُخِذ مني الميثاق »[1] .

هذا وإن إضافة الملائكة إليه سبحانه في قوله تعالى : ﴿ إن الله وملائكته ﴾ هذه الإضافة تشير أولاً : إلى عمومهم واستغراقهم كلهم ، وتشير ثانياً : إلى عظيم قدرهم وشرفهم بإضافتهم إليه سبحانه ، وذلك كلُّه مستلزم لتعظيم هذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم ، حيث إن أولئك الملائكة الكرام العظام كلَّهم يصلون على هذا الحبيب الأكرم صلى الله عليه وسلم .

كما أن في هذه الإضافة إشارة إلى كثرتهم ، وتنبيهاً إلى أن الصلاة من هذا الجمع الملائكي الكثير الذي لا يحيط علماً بمنتهاه إلا الله تعالى : تلك الصلاة واصلة إليه صلى الله عليه وسلم على مر الأيام والدهور ، مع تجدُّدها في كل وقت وحين ، وهذا أبلغ في التعظيم ، وأعلى وأرفع في التكريم .

وفي هذا إعلان بعظيم فضل هذا النبي الكريم عند الله تعالى ، وبعلوّ مقامه صلى الله عليه وسلم في الملأ الأعلى والأدنى ، وذلك لأن ملائكة الله تعالى كلهم الذين لا يُحصي عدَدهم إلا الله تعالى في السموات وفي الأرض وفي العرش والفرش : كلهم يصلون على النبي الكريم صلى الله عليه وسلم .

وقد جاءت النصوص القرآنية والنبوية تبين كثرة الملائكة عليهم السلام فقال تعالى : ﴿ وما يعلم جنودَ ربِّك إلا هو ﴾ ، وفي حديث المعراج المتفق عليه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في البيت المعمور : « يدخله كلَّ يوم سبعون ألفَ ملكٍ ثم لا يعودون » .

---

(١) انظر (شرح المواهب) و (لطائف المعارف) وغيرهما .

وجاء في الحديث الذي رواه الترمذي وأحمد وغيرهما عن أبي ذر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إني أرى ما لا تَرَوْنَ ، وأسمع ما لا تسمعون : أَطَّتِ السماءُ وحُقَّ لها أن تَئِطَّ ـ أي امتلأت بالملائكة عليهم السلام لكثرتهم ـ ما فيها موضع أربعِ أصابعَ إلا وفيه ملك واضعٌ جبهتَه لله تعالى ساجداً » . وزاد الطبري والطبراني في روايتيهما : « ما في السموات السبع موضعُ قدمٍ ولا شبرٍ ولا كفٌّ إلا وفيه مَلَكٌ قائم أو راكع أو ساجد » .

ثم جاء بعد هذا الخبر العظيم ـ وهو أنه سبحانه وتعالى هو يصلي على هذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم ، وأن ملائكته كلهم يصلون عليه صلى الله عليه وسلم ـ جاء الأمر من رب العرش العظيم بالصلاة والتسليم على هذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم ، وفي هذا الأمر الذي جاء بذلك : قوةُ التنبيه إلى تأكيد الأمر والتزام القيام بموجَبه ، وعدم التقاعس عنه ، كما دل عليه : ﴿ ياأيها الذين آمنوا ﴾ .

كما أن فيه تأكيدَ الأمر بالتسليم عليه صلى الله عليه وسلم ، حيث جيءَ بالمصدر المؤكَّد ، فقال : ﴿ وسلموا تسليماً ﴾ ليدلَّ على عظيم الأمر بالتسليم عليه صلى الله عليه وسلم وتأكيده ، وعلى عظيم شأنه صلى الله عليه وسلم .

ولم يَقرنِ الأمرَ بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم بالمصدر ، كما قَرَن الأمر بالتسليم : لأن التأكيد في الآية الكريمة حاصل في كلٍّ من الأمر بالصلاة والأمر بالسلام ، ولكن على وجوه متنوعة في التوكيد ، فإن تصدير الخبر بـ (إن) فيه توكيد ، والإخبار بصلاته سبحانه عليه

صلى الله عليه وسلم وبصلاة ملائكتـه كلهم عليـه صلى الله عليـه وسلم فيـه تأكيد الأمر بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم .

وذلـك لأن العـاقل متى سمع هـذا الخبر عن الله تعـالى وعن مـلائكتـه عرف أن شـأن هـذا النبي صلى الله عليـه وسلم عنـد الله تعـالى ومـلائكتـه عظيم ، وحينئذ يبـادر إلى الصلاة عليـه صلى الله عليـه وسلم وإنْ لم يؤمر صريحاً ، بل يكفيه إشارةً وتلويحاً ، فـإذا جـاء الأمر بعـد ذلـك بـالصلاة عليـه صلى الله عليـه وسلم لم يحتج إلى تـأكيـد الأمر ، فلم يَحتجْ فعل الأمر بالصلاة عَلَيْه إلى مصدر مؤكد .

بخلاف الأمر بالتسليم فإنه أُكد بالمصدر ليدل على تقويـة الأمر وشـدة التنبيه إلى امتثاله ، وبذلك يقوم تأكيد الفعل بالمصدر مقـام تكريره ، كما حصل تأكيد الأمر بالصلاة عليـه صلى الله عليـه وسلم : في الخبر تلويحـاً ، وفي نص الأمر تصريحاً[١] .

الوجه الثاني من الكلام على الآية الكريمة وهو :

الكلام على وجه مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها

إن هذه الآية الكريمة جاءت بعد آيـاتٍ متعـددة بيَّن الله تعـالى فيهـا فضائلَ هذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم ، وبيَّن فيهـا جملـةً ممـا خصَّـه الله تعالى به من الأحكام ورفعة المقام ، فجاءت هـذه الآيـة الكريمـة بعـد تلـك الآيـات ، لتبيِّن أسبـاب وجوه الفضـائل والخصائص التي خَصَّ الله تعالى بها نبيه صلى الله عليه وسلم .

---

(١) انظر التفاسير حول الآية الكريمة .

وبيـان ذلـك : أن الله تعـالى ذكر في أول هـذه السورة وهي : سورة الأحـزاب ـ منزلـة هـذا الرسـولِ الكريم صلى الله عليـه وسلم بـالنسبـة للمـؤمنين ، وأنهـا أعلى وأعظمُ وأكرمُ من منزلـة آبـائهم ، وأنـه أعـزُّ وأحبُّ إليهم من نفوسهم : فقـال سبحـانـه : ﴿ النبيُّ أولى بـالمؤمنين من أنفسهم ، وأزواجُه أمهاتُهم ﴾ .

فقـد أعطى لزوجـاتِـه الطـاهرات منزلـةَ أمهـات المـؤمنين في الحرمـة والاحترام ، والمكانة والإعظام والإكرام ، وهذا يدل ضمناً على أنه أبٌ لهم ، ولكن الله تعـالى رفع منزلتـه على منزلـة الآبـاء والأبنـاء والنفوس فقـال : ﴿ النبيُّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم ﴾ ، فله مقام الآبـاء ، ولـه مـاهو فوق مقـام الآبـاء في المحبـة والإعظـام ، وفوق الأبنـاء في المحبـة والإكرام ، ولـه مـافـوق الأنفس في الإيثـار والحب ، ذلـك لأنـه أولى بهم من أنفسهم بَلْـهَ الآباء والأبناء .

ثم ذكر سبحانه أَخْذه الميثاق العظيم والإيثار من النبيين عـامـة ، ومن الرسـل أولي العـزم خـاصـة ؛ الـذين هم أفضـل الرسـل ، وأولهم وأفضلهم وإمامهم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فقـال تعـالى : ﴿ وإذْ أخـذنـا من النبيين ميثـاقهم ، ومنـك ومن نـوحٍ وإبراهيم ومـوسى وعيسى ٱبن مريم ، وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً ﴾ .

وقد قدَّم ذكره على أولي العزم ليبيِّن تقدُّمه بـأفضليتـه عليهم ، كما أنـه أفضـل من سـائر الأنبيـاء والمرسلين من بـابٍ أولى . صلـوات الله تعـالى وسلامه عليه وعليهم .

ثم ذكر سبحانه كيف صَدَق الله تعالى وعده لحبيبه صلى الله عليه وسلم بالنصر والتأييد ، فأرسل يوم تجمُّعِ الأحزاب لمحاربته ، أرسل عليهم ريحاً وجنوداً لم يَرَوْها وهم الملائكة ، وذلك مما أدى إلى انهزام الأحزاب وتفرقهم بعد تعاقدهم وتجمعهم وتحالفهم .

وذكَّر المؤمنين بهذه النعمة التي أكرمهم بها ، نصرةً لهذا الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، فقال : ﴿ ياأيها الذين آمنوا ﴾ بالله ورسوله ﴿ اذكروا نعمةَ الله عليكم إذ جاءتْكم جنودٌ فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تَرَوْها ، وكان الله بما تعملون بصيراً ﴾ . والآيات بعدها .

وفي ذلك بيانُ نصرةِ الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم ودفاعِه عنه وكَبْته لأعدائه وردِّهم على أعقابهم خاسئين ؛ فالملائكة الكرام والرياح العظام وما وراء ذلك ، كل أولئك جنودٌ مجنَّدة لنصرة هذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم .

ثم ذكر سبحانه أن الأسوة الكاملة الحسنة ، والقدوة الفاضلة المثلى ، هي الأسوة في الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم لأنه الأكمل الأفضل ، والأعلم الأمثل ، فحقيقٌ بأن يكون هو الإمامَ العامَّ لجميع الأنام ، فإنه الجامعُ لأصناف الفضائل والكمالات ، صاحب الخُلُق العظيم ، والأدب الكريم ، والمنهج القويم ، والهَدْي المستقيم ، والبرهان القاطع ، والنور الساطع ، فمن تأسَّى به واتبعه مشى على نور مبين ، وهدى ويقين .

قال تعالى : ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوةٌ حسنة ﴾ ، ولا أحسن من ذلك ولا أكمل . اللهم وفقنا لاتباعه صلى الله عليه وسلم في الأعمال والأقوال والأحوال والأخلاق .

ثم ذكر سبحانه تخيير النبي صلى الله عليه وسلم لزوجاته فقال : ﴿ ياأيها النبي قُلْ لأزواجك : إنْ كُنتنَّ تُرِدْنَ الحياةَ الدنيا وزينتَها فتعالَيْنَ أمتّعْكُنَّ وأُسَرِّحْكُنَّ سراحاً جميلاً ، وإنْ كُنتنَّ تُرِدْنَ اللهَ ورسولَه والدارَ الآخرة ، فإن الله أعدَّ للمحسنات منكن أجراً عَظيماً ﴾ وفي ضمن هذه الآيات ثناءٌ من الله تعالى على زوجاته صلى الله عليه وسلم ومدحهن ، وإعلانُ فضلِهن وشرفهن ونزاهتهن ، حيث اختَرْنَ الله ورسوله والدار الآخرة ، وبقين معه صلى الله عليه وسلم مع كمالِ كمالِ الرضا ، بيسير العيش الزهيد ، والترفُّع عن حُطام الدنيا ورفاهتها وزخارفها ، حباً في الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ورغبةً في الآخرة .

وفي ذلك شاهدٌ صدقٍ على قوة إيمانهن ويقينهن ، وعلى شدة محبتهن لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم ، ومن ثَمَّ اخترن ذلك على جميع ماهنالك .

ثم ذكر سبحانه ثناءه على زوجاته صلى الله عليه وسلم وطهارتَهن وفتوَّتهن وتقواهن ، وكيف لا يكون ذلك وهن من أهل بيت أفضل الأنبياء وإمام المرسلين ، مهبط الأسرار ، ومنبع الأنوار ، خليل الله الأعظم ، وحبيب الله الأكرم صلى الله عليه وسلم ؛ قال تعالى : ﴿ يانساء النبي مَن يأتِ منكن بفاحشةٍ مبيِّنةٍ يُضاعَفْ لها العذاب ضِعْفَين ، وكان ذلك على الله يسيراً ، ومن يَقْنُتْ منكن لله ورسوله وتعملْ صالحاً نُؤْتِهَا أجرَها مرتين ، وأعْتَدنا لها رزقاً كريماً ﴾ .

ومن المعلوم البديهي أنه لم يُعهد عليهن إلا الطيبُ والتقى ، والقنوت

والعمل الصالح ، فلهن الوعد الأكيد المحتم من الله سبحانه بأن لهن أجرَهن مرتين ، ولهن الرزقَ الكريم من الرب الكريم .

ثم قال تعالى : ﴿ يانساءَ النبيِّ لَسْتُنَّ كأحدٍ من النساء إن اتَّقيتُنَّ ، فلا تَخْضَعْنَ بالقول فيطمعَ الذي في قلبه مرضٌ ، وقُلْنَ قولاً معروفاً ، وقَرْنَ في بيوتكنَّ ، ولا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجاهلية الأُولى ، وأَقِمْنَ الصلاةَ وآتينَ الزكاةَ وأَطِعْنَ اللهَ ورسولَه ، إنما يُريد اللهُ ليُذهِبَ عَنكمُ الرجسَ أهلَ البيتِ ويُطهِّرَكم تطهيراً ، واذْكُرْنَ ما يُتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة ، إن الله كان لطيفاً خبيراً ﴾ .

وفي هذا إرشاداتٌ وتوجيهات من الله تعالى إلى زوجاته صلى الله عليه وسلم تكريماً لهن وغَيْرةً عليهن ، لأنهن زوجاتُ أحب حبيب إلى الله تعالى ، وقد تحققن بهذه الإرشادات وطبَّقْن تلك التعاليم الإلهية على أكمل وجوهها .

وفي ضمن هذه الإرشادات والتوجيهات الإلهية : ثناء كبير عليهن ، كما أنه سبحانه مدحهن وأثبت لهن شرافة البيت المحمدي وكرامته ، فشهد لهن أنهن من أهل هذا البيت المحمدي الذي هو أشرفُ وأطهرُ وأفضلُ البيوتات كلها ، وذلك لأن قوله تعالى : ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ﴾ الآية ، جاءت في سياق خطاب الله تعالى للزوجات الطاهرات وفي لِحَاقه أيضاً ، فهن داخلات لا محالة في جملة أهل البيت ، ولا يجوز إخراجُهن من أهل البيت .

وفي صحيح مسلم وغيره عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً خطيباً فينا بماء يُدعى خُمَّاً ـ بين مكة

والمدينة ـ فحمِد الله وأثنى عليه وذكّر ووعظ ثم قال : « أما بعد : ألا يا أيها الناسُ إنما أنا بشرٌ يُوشِك أن يأتيني رسولُ ربي عز وجل ، وإني تاركٌ فيكم ثقلين : أولهما كتاب الله عزّ وجّل فيه الهدى والنور ، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به » فحثّ على كتاب الله ورغّب فيه ، وقال : « وأهلُ بيتي ، أُذكِّركُم اللهَ في أهل بيتي ، أذكِّركم اللهَ في أهل بيتي » . فقال ابن سبرة : مَن أهلُ بيته يا زيدُ ـ بن أرقم ـ أليس نساؤه مِن أهل بيته ؟ فقال : إن نساءه من أهل بيته ، ولكنْ أهلُ بيته مَن حُرم الصدقة بعدَه ، قال : ومن هم ؟ قال : هم آل علي ، وآل عقيل ، وآل جعفر ، وآل عباس ، قال : كل هؤلاء حرم الصدقة ؟ قال : نعم . فنساؤه صلى الله عليه وسلم هنَّ من أهل بيته قطعاً ، لم يشكَّ فيه أحد من الصحابة ، كما ورد ذلك عن ابن عباس وغيره .

ثم ذكر سبحانه مراتب المؤمنين والمؤمنات ، وفضل منزلتهم عند ربهم فقال : ﴿ إن المسلمين والمسلمات ، والمؤمنين والمؤمنات ، والقانتين والقانتات ، والصادقين والصادقات ، والصابرين والصابرات ، والخاشعين والخاشعات ، والمتصدقين والمتصدقات ، والصائمين والصائمات ، والحافظين فروجهم والحافظات ، والذاكرين الله كثيراً والذاكرات ؛ أعدَّ الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً ﴾ .

وفي هذا بيان من الله تعالى وإعلان لفضل النساء اللاتي يدخلن في هذا الثناء الوارد في الآية ، وإعلام بأن أفضلهن هنَّ أولَهنَّ دخولاً في الآية الكريمة ، وهن زوجات النبي صلى الله عليه وسلم ، لأن هذا الثناء والمدح جاء بعد ذكرهن ، فهن السياقُ والسبب في نزول هذه الآية ، وسببُ

النزول قطعيٌّ الدخول ، ولكن خصوص السبب لا يمنع عموم اللفظ .

ومما يدل على ذلك ما رواه الإمام أحمد والنسائي وغيرهما عن أم سلمة رضي الله عنها قالت : قلت للنبي صلى الله عليه وسلم : مالنا لا نُذكَر في القرآن كما يذكر الرجال ؟ ! قالت : فلم يَرُعْني منه ذات يوم إلا ونداؤه صلى الله عليه وسلم على المنبر ، قالت وأنا أسرِّح شعري ، فلففتُ شعري ثم خرجتُ إلى حُجْرتي ، فجعلتُ سمعي عند الجريد ، فإذا هو صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر : « يا أيها الناس ، إن الله تعالى يقول : ﴿ إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات .. ﴾ » الآية فهذا نصٌّ على دخول زوجات النبي صلى الله عليه وسلم في هذا المدح والثناء الوارد في الآية ، كما أنهن داخلاتٌ في شَرَافة البيت أيضاً رضي الله تعالى عنهن .

ثم ذكر سبحانه في سياق فضائل هذا الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ما يجب على كل مؤمن ومؤمنة من امتثال أمره صلى الله عليه وسلم ، وعدم تخيُّره في ذلك ، وحذَّرهم من معصية أمره صلى الله عليه وسلم ، وقد قرن سبحانه في ذلك ذكرَ اسمه صلى الله عليه وسلم بذكره سبحانه في وجوب امتثال الأمر والتحذير من التخلُّف عن الأمر وفي ذلك رفعةُ شأنِ هذا الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، والإشادةُ بعظيم مقامه ، فقال سبحانه : ﴿ وما كانَ لمؤمنٍ ولا مؤمنةٍ إذا قضى اللهُ ورسولُه أمراً أن يكونَ لهم الخِيرة من أمْرِهم ، ومنْ يعصِ اللهَ ورسولَه فقد ضلَّ ضلالاً مبيناً ﴾ .

ثم ذكر سبحانه فضله على نبيه صلى الله عليه وسلم وتزويجَه إياه زينبَ رضي الله عنها ، وأعلن ذلك سبحانه ، وبيَّن الحكمةَ المترتبةَ على ذلك ، فقال سبحانه : ﴿ فلما قضى زيدٌ منها وَطَراً زوَّجْناكها لكيلا

يكـونَ على المـؤمنين حرجٌ في أزواج أدعيـائهم إذا قَضَـوْا منهن وَطَراً ﴾ الآية ، ومن ثَم كانت السيدةُ زينب تَفْخَر على أزواج النبي صلى الله عليـه وسلم فتقـول : زوّجكن أهـاليكُن ، وزوَّجني الله تعـالى مِن فـوقِ سبـع سموات ، كما في البخاري .

ثم ذكر سبحانه مقام رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم الذي خصه الله تعـالى بـه من بين جميع الأنبيـاء والمرسلين فقـال : ﴿ ولكنْ رسـولَ الله وخاتَمَ النبيين ، وكان اللهُ بكل شيء عليماً ﴾ ، يعني أنه سبحانه العليم علماً قديماً لاأول لـه ، يعلم أن محمداً صلى الله عليـه وسلم هو اللائقُ بمقام خَتْم النبوةِ لاغيرُه ، ولذا كان صلى الله عليه وسلم يتحدث بما أنعم اللهُ عليه وبما أكرمه فيقول ـ كما جاء في صحيح مسلم ـ : « فُضّلْتُ على الأنبيـاء بستّ : أُعطيتُ جوامعَ الكَلِم ، ونُصرتُ بـالرعبِ ، وأُحِلَّتْ ليَ الغنـائمُ ، وجُعِلتْ ليَ الأرضُ طَهَـوراً ومسجـداً ، وأُرسِلتُ إلى الخلـق كافـةً ، وخُتِم بيَ النبيون » .

ثم ذكر سبحانه جملةً عظيمة من مواقف هـذا الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم مع العالَم ، وأنه الرسولُ الشاهدُ المبشر النذير ، الـداعي إلى الله تعالى بإذنه ، السراجُ المنير ، وكل موقف منها له تفاصيله وأحكامه كما بينـا ذلك في أبحاثنا ، ونبين ذلك إن شاء الله تعالى في كتـاب : (مواقفـه صلى الله عليـه وسلم) ، فقـال : ﴿ يـاأيهـا النبيُّ إنـا أرسلنـاك شـاهـداً ومبشراً ونذيراً ... ﴾ .

ثم ذكر سبحانه في جملة خصـائص هـذا الرسول الكريم صلى الله عليـه وسلم ماأَحَلّ له من النساء ، وما خصـه بـه من الأحكام ، ومن ذلـك حِلُّ

الواهبةِ نفسَها له صلى الله عليه وسلم من غير مهر إنْ أراد ذلك ، فقال : ﴿ وامرأةً مؤمنةً إنْ وهَبَتْ نفسَها للنبي إنْ أراد النبيُّ أنْ يَستنكحَها ، خالصةً لكَ من دون المؤمنين ﴾ الآية .

ثم ذكر سبحانه ماأعطاه الله تعالى من أنه صلى الله عليه وسلم مخيَّر في الواهبات أنفسهن ، ومخيَّر في النساء اللاتي عنده بين أن يقسم بينهن أو لا يقسم ، فقال سبحانه : ﴿ تُرْجِي مَنْ تَشاء منهن وتُؤْوي إليك مَن تشاء ، ومَنِ ابتغيتَ ممن عزلتَ ﴾ ، وقد ذهب بعضُ العلماء إلى أن ذلك التخييرَ في الواهبات أنفسهن ، وذهب آخرون إلى أن ذلك التخيير في النساء اللاتي عنده بين القَسْمْ بينهن وعدمه ، واختار الحافظ ابن جرير وغيره أن الآية عامة للطرفين ، قال الحافظ ابن كثير : وهذا الذي اختاره ابن جرير هو حسن جيد قوي ، وفيه جَمع بين الأحاديث ـ أي : الأحاديث الواردة في كل من الجانبين ، فبعض الأحاديث يدل على أن الآية نازلة في الواهبات ، وبعضها يدل على أنها نازلة في القَسْمْ بين النساء اللاتي عنده صلى الله عليه وسلم ـ . قال : ولهذا قال تعالى : ﴿ ذلك أدنى أنْ تَقَرَّ أعينُهنَّ ولا يَحْزَنَّ ويرضَيْنَ بما آتيتَهن كلُّهن ﴾ أي : إذا علمنَ أن الله تعالى وضع عنك الحرجَ في القَسْم ، فإن شئتَ قَسمتَ وإن شئت لم تقسم ، لا جناح عليك في أيّ ذلك فعلتَ ، ثم مع هذا إنْ تقسم لهن اختياراً منك لا أنه على سبيل الوجوب : فرحْن بذلك واستبشرْنَ به ، وحمدن جميلك في ذلك ، واعترفن بمنتك عليهن في قَسْمك لهن ، وتسويتك بينهن ، وإنصافك وعدلك فيهن اهـ .

ثم ذكر سبحانه وجوبَ الأدب مع هذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم ،

ووجوبَ تعظيمه وتكريمه ، ووجوبَ البعد عن كل ما يؤذيه صلى الله عليه وسلم ، فأرشد سبحانه المؤمنين إلى أدب الاستئذان والدخول عليه ، وأن لا يكون ذلك في وقت فيه إثقالٌ عليه أو شيءٌ من الإحراج ، وأن يتباعدوا عن كل ما يَشق عليه صلى الله عليه وسلم ، أو يثقل أو يتأذى منه ، فقال سبحانه : ﴿ ياأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتَ النبيِّ إلا أنْ يُؤذَنَ لكم إلى طعام غيرَ ناظرين إناهُ ، ولكنْ إذا دُعيتُم فادخلوا ، فإذا طَعِمْتم فانتشروا ، ولا مستأنسين لحديث ، إنَّ ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم ، والله لا يستحيي من الحق ، وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب ، ذلكم أطهرُ لقلوبكم وقلوبهن ، وما كان لكم أن تؤذوا رسولَ الله ، ولا أن تنكحوا أزواجَه مِن بعده أبداً ، إنَّ ذلكم كان عند الله عظيماً ﴾ .

وفي هذا أيضاً بيانُ حرمةِ أزواجه ووجوب احترامهن ، وذلك لأن أزواجه في الدنيا هنَّ أزواجُه صلى الله عليه وسلم في الآخرة ، ولأنهن أمهاتُ المؤمنين .

ثم جاءت هذه الآية الكريمة ، وهي قوله تعالى : ﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبي ، ياأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً ﴾ ، بعد تلك الآيات الكريمة المتضمنة لفضائل هذا الرسول الكريم وكمالاته ، جاءت هذه الآية مبيِّنة لأسباب تلك الخصائص والفضائل المحمدية ، وأن شأن هذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم عند الله تعالى كبير ، ومقامه عظيم ، فإن الله تعالى الكبير المتعال باسمه الجامع لجميع الأسماء الإلٓهية وهو « الله » يصلي على هذا النبي الكريم ، وأنَّ ملائكة الله تعالى كلهم يصلون على هذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم .

وبنـاء على هـذا يكون موقع هـذه الآيـة أنهـا استئنـاف بيـان ، ولـذا جاءت مفصولةً ولم تنعطف على ماقبلهـا عطفـاً ، ويحتمل أن يكون سببُ فصلها أنهـا جـاءت لبيـان عظيم الفضل الـذي دلت عليـه وأخبرت عنـه ، وذلك أن الله تعالى وملائكته يصلون على هـذا النبي الكريم ، وفيـه بيـانُ رفعة مقامـه صلى الله عليـه وسلم وعلوِّ شـأنـه ، فحُقَّ لهـذا النبي الكريم أن يُذكَر بمقامه العظيم الذي خصه الله تعالى بـه من بين سـائر العـالمين ـ حُقَّ له أن يذكر بذلك وحده كاملاً مستقلاً إعلانـاً لفضلـه ، ورفعـة لـذكره ، صلى الله تعالى عليه وآله وسلم .

معاني الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلّم

قال الإمام البخاري في صحيحه : قال أبو العالية : صلاةُ الله تعالى ثناؤُه عليه صلى الله عليه وسلم عند الملائكة ، وصلاةُ الملائكة : الدعاءُ له . وقال ابن عباس رضي الله عنهما : يصلُّون يبرِّكون اهـ من البخاري تعليقاً .

قال الحافظ في الفتح : وعند ابن أبي حاتم عن مقاتل ابن حيان ، قال : صلاةُ الله تعالى مغفرتُه ، وصلاةُ الملائكة الاستغفارُ . وعن ابن عباس أن معنى صلاة الرب الرحمة ، وصلاة الملائكة الاستغفار . وقال الضحاك بن مزاحم : صلاةُ الله رحمتُه ، وفي رواية عنه : مغفرته ، وصلاة الملائكة الدعاء .

ثم قال الحافظ : وأولى الأقوال ماتقدّم عن أبي العالية أن معنى صلاة الله تعالى على نبيه ثناؤه عليه صلى الله عليه وسلم وتعظيمه ، وصلاةُ الملائكة وغيرِهم طلبُ ذلك له من الله تعالى ، والمراد طلب الزيادة لاطلب أصل الصلاة . اهـ .

أي لأن الصلاة من الله تعالى على نبيه الكريم هي دائمة مستمرة لاتنقطع بدليل قوله سبحانه : ﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبي ﴾ فهو سبحانه دائماً يصلي على نبيّه وحبيبه ، وأما صلاة الملائكة وغيرهم من المخلوقات فهي طلب الزيادة من ذلك .

ولا شك أن جميع ما جاء عن علماء السلف رضي الله عنهم من معاني صلاة الله تعالى على نبيه هو حق وصحيح ، ولا تنافي بين تلك الأقوال كلها ، فإن كلاً منهم عبّر عن جانب من معاني صلاة الله على حبيبه صلى الله عليه وسلم ، وذلك لأن صلاة رب العالمين تتضمن معاني الثناء والتعظيم والتكريم ، والعطف الخاص والرحمة الخاصة والمغفرة الخاصة ، إلى ما وراء ذلك من المعاني الجامعة لكل خير وفضل وإكرام ، وبر ومدح وثناء ، ونور وضياء .

ومن المعلوم أن صلاة رب العالمين على خلقه منها خاصة ومنها عامة ، فصلاته سبحانه على نبيه صلى الله عليه وسلم وعلى سائر أنبياء الله تعالى هي خاصةٌ تليق بمقام نبوتهم ، وصلاته سبحانه على مقرّبيه وأوليائه خاصةٌ بهم تليق بمقامهم ، وصلاته على عامة المؤمنين هي عامة على حسب إيمانهم .

قال تعالى : ﴿ هو الذي يصلي عليكم وملائكتُه لِيُخرجَكم من الظلمات إلى النور ، وكان بالمؤمنين رحيماً ﴾ .

الوجه الثالث :

بيانه صلى الله عليه وسلم قول الله تعالى :
﴿ ياأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً ﴾

قال تعالى : ﴿ ونَزّلْنا إليك الذِّكْر لتبيِّن للناس مانُزِّل إليهم ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ إنّ علينا جَمْعَه وقرآنَه ، فإذا قرأناه فاتَّبِعْ قرآنَه ، ثم إنّ علينا بيانَه ﴾ .

فلقد تكفَّل سبحانه أن يحفظ هو القرآن الكريمَ ويجمعَه في صدره صلى الله عليه وسلم وقلبه الشريف فلا ينساه ، ولا يذهب عنه شيء منه ، كما تكفّل أن يُبيِّن له معانيَ نصوص القرآن الكريم .

ثم أمره سبحانه أن يبين للناس مانزِّل إليهم ، أي : كما بين الله تعالى له ذلك ، فمرجع البيان عن القرآن ، هو سيد ولد عدنان صلى الله عليه وسلم .

فقد بيَّن صلى الله عليه وسلم كيفية الصلاة لله تعالى ، فقال صلى الله عليه وسلم : « صلوا كما رأيتموني أصلي » كما بيَّن لهم مناسك الحج وقال لهم : « خُذوا عني مناسككم » ، فلما نزل قوله تعالى: ﴿ إن الله وملائكته يصلُّون على النبي ، ياأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً ﴾ سأل جمعٌ من الصحابة رضي الله عنهم عن المراد بذلك ، فأجابهم وبين لهم كيفية أداء الأمر بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم كما بيَّن لهم كيف السلامَ عليه .

روى الإمام أحمد في مسنده عن كعب بن عُجْرةَ رضي الله عنه قال : لما نزلت ﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبي ﴾ الآية ، قالوا : كيف نصلي عليك ياnبيَّ الله ؟ فقال : « قولوا : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد ، وبارك على محمد وعلى آل محمد ، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد »[1] . قال : ونحن نقول : وعلينا معهم . قال يزيد ـ أحد رواة

(١) انظر مسند الإمام أحمد ٢٤٤/٤ ، آخر مسند كعب بن عجرة . أما في أوله فقد جاءت عدة روايات تنقص عن هذه .

الحـديث عن ابن أبي ليلى ـ فلا أدري : أَشيءٌ زاده ابن أبي ليلى من قِبَل نفسه ، أو شيء رواه عن كعب بن عجرة ؟[1] .

وروى الإمام مسلم عن ابن أبي ليلى قال : لقيني كعب بن عجرة فقال لي : ألا أُهدي لـك هـديـة ؟ خرج علينـا رسول الله صلى الله عليـه وسلم فقلنـا : قـد عرفنـا كيف نسلِّم عليـك فكيف نصلي عليـك ؟ قـال : « قولـوا : اللهم صـل على محمـد وعلى آل محمـد ، كما صليت على آل إبراهيم ، إنك حميـد مجيـد ، اللهم بارك على محمـد وعلى آل محمـد كما بـاركت على آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد » .

وروى أيضاً عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال : أتانا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ونحن في مجلس سعد بن عبادة ، فقال لـه بشير بن سعـد : أمرنـا الله تعـالى أن نصلي عليـك يـارسـول الله ، فكَيْف نصلي عليـك ؟ قـال : فسكت رسول الله صلى الله عليـه وسلم حتى تمنينـا أنـه لم يسألـه ، ثم قـال رسول الله صلى الله عليـه وسلم : « قولوا : اللهم صل على

---

(1) قال الحافظ في الفتح بعدما أشار إلى هذه الزيادة ـ وهي قوله : وعلينا معهم ـ قـال : وكـذا أخرجـه الطبري في روايـة محمـد بن فضيل ، ووردت هـذه الزيـادة من وجهين آخرين : أحدهمـا عنـد الطبراني من طريق ابن خليفـة عن الحكم بلفـظ : « يقولون : اللهم صل على محمد إلى قوله وآل إبراهيم ، وصل علينا معهم وبارك على محمـد ، مثلـه ، وفي آخره : وبارك علينا معهم » . قال الحافظ : ورواتـه موثقون ، لكنـه فيما أحسب مدرج ، لما بينه زائدة عن الأعمش .

قال الحافظ : وثانيهما عند الدارقطني من وجـه آخر عن ابن مسعود مثلـه ، لكن قـال « اللهم » بـدل الواو في « وصلّ » وفي « وبـارك » . وقـال : وفيـه عبـد الـوهـاب بن مجاهد وهو ضعيف اهـ .

محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على آل إبراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم ، في العالمين إنك حميد مجيد . قال : والسلام كما قد علمتم » .

وروى مسلم أيضاً عن أبي حُميد الساعدي أنهم ـ أن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ـ قالوا يارسول الله كيف نصلي عليك ؟ قال : « قولوا : اللهم صل على محمد وعلى أزواجه وذريته ، كما صليت على آل إبراهيم ، وبارك على محمد وعلى أزواجه وذريته ، كما باركت على آل إبراهيم ؛ إنك حميد مجيد » .

وفي هذا دليل على امتثالِ الصحابة أمرَ الله تعالى في قوله : ﴿ ياأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً ﴾ ، ومسارعتِهم إلى امتثال هذا الأمر على الوجه الذي شرعه الله تعالى وأمرهم به .

وروى الإمام أحمد في مسنده عن بُريدةَ رضي الله عنه قال : قلنا يارسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك ، فكيف نصلي عليك ؟ قال صلى الله عليه وسلم : « قولوا : اللهم اجعلْ صلواتِك ورحمتَك وبركاتِك على محمد وعلى آل محمد ، كما جعلتَها على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد » .

فعندما نزل قول الله تعالى : ﴿ ياأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً ﴾ فهمَ الصحابةُ رضي الله عنهم أن في الآية أمرين وهما : الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم ، والتسليم عليه ، فسألوا النبي صلى الله عليه وسلم عن معنى ذلك ليأتمروا بما أمرهم الله تعالى به ، قالوا : يارسول الله قد عَلِمنا كيف نسلم عليك ، أي : فإنك يارسول الله علمتَنا التشهدَ ، وفيه

بيان كيف نسلم عليك بـأن نقول : « السلام عليـك أيها النبي ورحمـة الله وبركاته » .

قال الحـافـظ في الفتح : المشهور في الروايـة (قـد علمنـا) بفتح أولـه وكسر اللام مخففاً ، وجوَّز بعضهم ضم أوله والتشديـد على البنـاء المجهول ، وورد في روايـة ابن عيينـة عن يـزيـد بن أبي زيـاد بـالشـك ، ولفظـه : قلنا : قد عَلِمنا أو عُلِّمنا ـ رويناه في الخلعيات وكذا أخرج السرَّاج بلفـظ عَلِمناه أو عُلِّمناه . اهـ ملخصاً .

وروى الشيخان واللفظ لمسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان رسـول الله صلى الله عليـه وسلم يعلِّمنـا التشهـد كما يعلِّمنـا السـورة من القرآن ، فكان يقـول : « التحيَّـات المبـاركات والصلـوات الطيبـات لله ، السلام عليك أيها النبيُّ ورحمة الله وبركاتـه ، السلام علينـا وعلى عبـاد الله الصالحين ، أشهد أن لاإلـه إلا الله وأن محمـداً رسول الله » . وفي روايـة ابن مسعود : « وأشهد أن محمداً عبده ورسوله » .

فقد علَّمهم صلى الله عليه وسلم كيفية التسليم عليـه ، وذلـك في تعليمِـه لهم التشهد ، فأرادوا تعليمَ الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم أيضاً على لسانه وبيان ذلك منه ، لأن الأمر بالصلاة عليه والتسليم صـدر عن الله تعـالى ، فلا بُدَّ في ذلك من الرجوع إلى بيان الله تعالى النـازل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ قال الله تعالى : ﴿ لتبيِّن للناس مانزِّل إليهم ﴾ الآية .

فائدة بكل خير عائدة :

ذكر ابن أبي الدنيا ـ ومن طريقه ابن بَشْكُوال ـ عن ابن أبي فُدَيك قال : سمعت مَن أدركتُ يقول : بلغنا أنه مَن وقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فتلا هذه الآية : ﴿ إن الله وملائكته يُصلُّون على النبي ، ياأيها الذين آمنوا صلُّوا عليه وسلِّموا تسليماً ﴾ ، ثم قال : « صلى الله عليك يامحمد » حتى يقولها سبعين مرة : ناداه ملك : صلى الله عليك يافلان ، لم تسقط لك حاجة ، أي : بل أُعطيت سُؤْلك ، وقُضيت حاجاتك اهـ . نقل ذلك في (القول البديع) وغيره ، وينبغي أن يقرن الاسم الشريف بلقب السيادة ، لأن الله تعالى أمرنا بتوقيره صلى الله عليه وسلم .

أحكام الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم

إن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم قد تكون فرضاً ، وقد تكون واجبة ، وقد تكون سنة مؤكدة ، وقد تكون مستحبة .

الحكم الأول : فرضية الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم

إن فَرْضِيَّةَ الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم ثابتة بالأمر الوارد في قوله تعالى : ﴿ ياأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً ﴾ ، فهذا الأمر يقتضي الفرضية ، والأمر لا يقتضي التكرار مالم تتكرر أسبابه ، فيؤدَّى هذا الفرض بمرة واحدة ، كما عليه الحنفية .

كما أن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم تُفرض في آخر الصلاة عند الإمام الشافعي والإمام إسحاق بن راهُوْيَه وغيرهما .

قال النووي : واستدل أصحابنا ـ أي : الشافعية ـ بقوله تعالى : ﴿ صلوا عليه وسلموا تسليماً ﴾ .

قال الشافعي رحمه الله تعالى : أوجب الله تعالى ـ أي فَرَض ـ في هذه الآية الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم ، وأولى الأحوال بها حالُ الصلاة اهـ

وقال النووي رحمه الله تعالى : قد ذكرنا أن مذهبنا أنها ـ أي : الصلاةَ عليه صلى الله عليه وسلم ـ فرضٌ في التشهد الأخير ، ونقله أصحابنا عن عمر بن الخطاب وابنِه رضي الله عنهما ، ونقله الشيخ أبو حامد عن ابن مسعود وأبي

مسعود البدري رضي الله عنهما ، ورواه البيهقي وغيره عن الشعبي ، وهو إحدى الروايتين عن أحمد . اهـ كما في (المجموع) .

أما عبد الله بن مسعود : فقد كان يقول : لا صلاةَ لمن لم يصلِّ فيها على النبي صلى الله عليه وسلم اهـ كما نقله عنه الحافظ ابن عبد البر في كتاب (التمهيد) ، وحكاه غيره عنه أيضاً[1] .

وأما أبو مسعود البدري رضي الله عنه : فقد روى عثمان بن أبي شيبة وغيره بإسناده المتصل عن أبي مسعود البدري رضي الله عنه أنه قال : ماأرى أن صلاةً لي تَمَّتْ حتى أصليَ بها على محمد وعلى آل محمد صلى الله عليه وسلم[1] . اهـ

وأما عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : فقد ذكر الحسن بن شبيب بإسناده المتصل عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال : لاتكون صلاةٌ إلا بقراءة تشهُّدٍ وصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم[1] اهـ .

وأخرج العمري في (عمل اليوم والليلة) عن ابن عمر مرفوعاً بسند جيد قال : « لاتكون صلاة إلا بقراءة وتشهُّد وصلاة عليَّ » . كما في (الفتح) .

وأخرج البيهقي في (الخلافيات) بسند قوي عن الشعبي وهو من كبار التابعين قال : مَنْ لم يصلِّ على النبي صلى الله عليه وسلم في التشهد فليُعِدْ صلاته .

---

(١) انظر : (جلاء الأفهام) .

وقد روى الدارقطني وأبو حفص بن شاهين حديثَ تعليمِ النبي صلى الله عليه وسلم لابن مسعود التشهدَ ثم الصلاةَ على النبي صلى الله عليه وسلم . ولفظه : عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم التشهد كما كان يعلمنا السورة من القرآن : « التحيات لله والصلوات والطيبات ، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، اللهم صل على محمد وعلى آل بيته ، كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد ، اللهم صل علينا معهم ، اللهم بارك على محمد وعلى آل بيته ، كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد ، اللهم بارك علينا معهم »[1].

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا صلاة لمن لا وضوء له ، ولا وضوء لمن لم يذكر اسمَ الله عليه ، ولا صلاة لمن لم يصلِّ على النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا صلاة لمن لم يحبَّ الأنصار »[2] .

ومن الأدلة التي استُدل بها على وجوب الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم في الصلاة : هو أن التسليم عليه صلى الله عليه وسلم واجب بالاتفاق ، وذلك بقول المصلي في التشهد : السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته . وكذلك لما نزلت آية : ﴿ ياأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً ﴾ تدبَّر فيها الصحابة فرأوا أن في الآية أمرين لازمَيْن محتَّمين : أمر

---

(١) انظر : (جلاء الأفهام وسعادة الدارين) .

(٢) عزاه في جلاء الأفهام إلى ابن ماجه والطبراني .

بالصلاة ، وأمر بالسلام ، فتدبروا أمر السلام فرأوا أن النبي صلى الله عليه وسلم علَّمهم كيفيته وموقعه ، وذلك في تشهد الصلاة ، فراحوا يسألون عن الأمر بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم كيف تكون ؟ فقالوا لما نزلت آية : ﴿ ياأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً ﴾ قالوا : قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي ؟ . أي : قد علمنا كيف نسلم عليك ، وذلك في ضمن التشهد في الصلاة الذي علمتناه ، كما قال ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن ... الحديث . فقالوا : كيف نصلي عليك ؟ - صلى الله عليه وسلم - فعلَّمهم ذلك بقوله : « قولوا : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ... » إلى آخر الصيغة . أي : فكما أن السلام عليه في الصلاة واجب ومحتم ، فكذلك الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم ، لأنَّ الأمر بوجوبها جاء في آية واحدة ، ومن أراد التوسع في الأدلة فليرجع إلى مطوَّلات كتب الفقه .

استحباب أن يذكر صلى الله عليه وسلم بوصف السيادة

اعلم ـ علّمنا الله تعالى وإياك ـ أن من جملة المقامات والمراتب التي خص الله تعالى بها سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم أنه سبحانه وتعالى أعطاه مقام السيادة العامّة ، ولذلك كان صلى الله عليه وسلم يذكر هذا المقام معلناً به ، كما كان صلى الله عليه وسلم يذكر بقية الخصائص والمقامات التي خصه تعالى بها ، متحدثاً بنعمة الله تعالى عليه غير فخر ، لأن الله تعالى أمره أن يتحدث بذلك حيث قال له : ﴿ وأما بنعمة ربك فحدّث ﴾ .

فكان يقول : « إذا كان يوم القيامة كنتُ أنا إمام النبيين وخطيبَهم وصاحب شَفاعتهم غير فخر » الحديث .

وكان يقول صلى الله عليه وسلم : « أنا أولُ الناس خروجاً إذا بُعثوا ، وأنا خطيبُهم إذا وَفَدوا ، وأنا مبشرهم إذا أَيِسوا ، لواءُ الحمد يومئذ بيدي ، وأنا أكرمُ ولد آدم على ربي ولا فخر » .

وكان يقول : « أنا أول من يأخذ بحَلْقة باب الجنة فأُقَعْقعُها » رواه الترمذي .

وكان صلى الله عليه وسلم يقول في جملة المراتب الخاصة به صلى الله

عليه وسلم : « أنا سيد ولد آدم يوم القيامـة ، وأولُ من ينشق عنـه القبر ، وأول شافع ، وأول مشفَّع » كما في صحيح مسلم عن أبي هريرة .

وبناءً على ذلـك فينبغي أن يُقرَن اسمـه الشريف صلى الله عليـه وسلم بالسيادة ، توقيراً وتعظيماً لـه صلى الله عليـه وسلم ، لأن الله تعـالى قـال : ﴿ لتـؤمنـوا بـالله ورسـولـه وتُعـزِّروه وتـوقِّروه ﴾ الآيـة ، وإخبـاراً عن حقيقة المقام الذي أقامه الله تعالى فيه ـ وهو السيادة ـ فمعنى قوله تعـالى : ﴿ وتعـزِّروه ﴾ كما قـــال ابن عبـــاس : أي « تعظمـــوه » ، ومعنى ﴿ وتوقروه ﴾ أي : تحترموه وتهـابـوه ، وهـذا كلّـه يقتضي أن يُقرن اسمـه الكريم صلى الله عليه وسلم بالسيادة .

فإن قيل : وهل ورد ذلك في المرفوع أو الموقوف ؟

فالجواب : نعم .

فقد جاء عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قـال : إذا صليتم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحْسِنوا الصلاة ، فإنكم لا تدرون لعل ذلك يُعْرَض عليه صلى الله عليه وسلم ، فقالوا له : فعلِّمنا . قـال : قولوا : اللهم اجعل صلـواتِـك ورحمتَـك وبركاتِـك على سيـد المرسلين ، وإمـام المتقين وخـاتم النبيين محمد عبدك ورسولك ، إمام الخير ، وقائد الخير ، ورسول الرحمـة ، اللهم ابعثه مقاماً محموداً يغبِطُه به الأولون والآخرون ، اللهم صل على محمـد وعلى آل محمـد ، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنـك حميـد مجيـد ، اللهم بـارك على محمـد ، وعلى آل محمـد ، كما بـاركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد » . قال الحافـظ المنـذري رواه ابن مـاجـه موقوفـاً بإسناد حسن اهـ .

وقد روى ذلك ابن أبي عاصم مرفوعاً بلفظ : قلنا : يا رسول الله قد عَرَفنا السلامَ عليك فكيف نصلي عليك ؟ فقال : « قولوا : اللهم اجعل صلاتَك ورحمتَك وبركاتِك على سيد المرسلين وإمام المتقين ، وخاتَم النبيين محمد عبدك ورسولك ، إمام الخير ، ورسول الرحمة ، اللهم ابعثْه مقاماً محموداً يغبطه به الأولون والآخرون ، اللهم صل على محمد وأبلغه الوسيلة والدرجة الرفيعة من الجنة ، اللهم اجعل في المصطفَيْنَ محبتَه ، وفي المقرَّبين مودته ، وفي الأعلَيْنَ ذكره - أو قال : داره - والسلام عليه ورحمة الله وبركاته ، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد ، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد »[1] .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رجلاً قال له : كيف الصلاةُ على النبي صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : (اللهم اجعل صلواتِك وبركاتِك ورحمتَك على سيد المرسلين ، وإمام المتقين ، وخاتَم النبيين محمد عبدك ورسولك ، إمام الخير ، وقائد الخير ، اللهم ابعثه يوم القيامة مقاماً محموداً يغبطه به الأولون والآخرون ، وصل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد)[2] .

قال الحافظ السخاوي : وورد قول سهل بن حنيف للنبي صلى الله

---

(١) انظر : (القول البديع) للسخاوي .

(٢) قال الحافظ السخاوي : رواه أحمد بن منيع في مسنده ، والبغوي في فوائده عنه ، ومن طريقة النميري بسند ضعيف ، وهو عند إسماعيل القاضي عن ابن عمر أو ابن عمرو بالشك ، فالله أعلم .

عليه وسلم : ياسيدي ، في حديثٍ عند النسـائي في (عمل اليوم والليلـة) اهـ .

هذا ، وقـد قـال صلى الله عليـه وسلم للحسن : « إن ابني هـذا سيِّـد ، ولعل الله تعالى يُصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » الحـديث المتفق عليه .

وقال صلى الله عليـه وسلم : « قوموا إلى سيـدكم » يعني سعـدَ بن معـاذ رضي الله عنه كما في الصحيحين .

وقال للسيدة الكريمـة فـاطمـة الزهراء رضي الله تعـالى عنهـا : « أمـا تَرضَيْنَ أن تكوني سيدةَ نساء الجنة ؟ » .

وبناء على ماسبق من الأدلة الواردة ـ نص الفقهاء على نـدب السيـادة حين يُذكر اسمه الشريف صلى الله عليه وسلم ، فقد جاء في (الدر المختار) و (رد المحتار) ماملخصه : وندب السيادة لأن زيادة الإخبار بالواقع هو عين سلوك الأدب ، فهو أفضل من تركه ، ذكره الرملي الشـافعي أي : في شرحه على منهاج النووي ، وذكر ذلك غيرُ الرملي أيضاً .

قال : وما نُقل : لاتَسوِّدوني في الصلاة : فكذبٌ ـ أي : باطل لاأصل له ـ وقولهم : لاتُسيِّدوني باليـاء هو كـذب ولحن أيضـاً ، لأنـه واويُّ العين من : ساد يسود اهـ .

فقول المصلي عليـه صلى الله عليـه وسلم : اللهم صـل على سيـدنـا محمـد وعلى آل سيدنا محمد الخ فيه امتثـال أمره صلى الله عليـه وسلم حيث علَّمهم فقال : « قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد » ، وفيـه زيـادة الإخبـار

بالواقع الذي أعلنه رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله : « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة » ، ولا شك أن ذلك هو عين الأدب الذي هو أفضل وأكمل .

الحكم الثاني : وجوب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم

الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم تجب إذا ذكر اسمه الشريف صلى الله عليه وسلم على الذاكر والسامع ، واستدلّ العلماء على وجوب الصلاة إذا ذكر صلى الله عليه وسلم بأمور :

أولاً : بما ورد عنه صلى الله عليه وسلم من الأمر المؤكد بذلك ، فقد روى النسائي عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من ذُكِرتُ عنده فليصلِّ علي » وعزاه في (الحصن الحصين) إلى النسائي والطبراني في الأوسط ، وقال الإمام النووي في (الأذكار) : إسناده جيد ، وقال البيهقي : رجاله ثقات . اهـ .

وثانياً : بما ورد من الوعيد الشديد لمن لم يصلِّ عليه إذا ذُكر صلى الله عليه وسلم ، جاء ذلك في عدة من الأحاديث الثابتة : فمنها الوعيد بالإبعاد والبُعد ، وبالرَّغْمِ ، وبالشقاء ، وبالبخل وبالجفاء ، لمن لم يصلّ على النبي صلى الله عليه وسلم إذا ذكر ، وأنه يخطئ طريق الجنة ؛ عياذاً بالله تعالى .

أما إبعادُه وإرغامُ أنفه :

فقد جاء ذلك في أحاديث كثيرة عن عدة من الصحابة بأسانيدَ متعددةٍ ، فمن ذلك : ما رواه ابن حبان في صحيحه عن مالك بن

الحسن بن الحـويرث عن أبيـه عن جـده رضي الله عنـه قـال : صَعِـد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر ، فلما رقِيَ عتبـة قـال : « آمين » ، ثم رقي أخرى فقال : « آمين » ثم رقي عتبة ثالثة فقال : « آمين » ، ثم قـال : « أتاني جبريل عليه السلام فقال : يا محمـد مَن أدرك رمضـانَ فلم يُغفر لـه فأبعده الله ! فقلت : آمين ، قال : ومن أدرك والديه أو أحـدَهمـا فـدخل النـار فـأبعـده الله ! فقلت : آمين ، قـال : ومن ذُكرتَ عنـده فلم يصـل عليك فأبعده الله ! قل : آمين فقلت : آمين » .

وروي عن ابن عبـاس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليـه وسلم ارتقى على المنبر فـأمّن ثـلاث مرات ، ثم قـال : « أتـدرون لِمَ أمَّنْتُ ؟ » قلنا : الله ورسوله أعلم ، فقال صلى الله عليه وسلم : « جاءني جبريل عليه السلام فقال : إنه مَنْ ذُكرتَ عنده فلم يصلِّ عليك فأبعـده الله وأسحقـه ! قلت : آمين ، قال : ومن أدرك أبو يـه أو أحـدَهمـا الكبرُ فلم يَبَرَّهمـا دخل النار فأبعـده الله وأسحقـه ! قلت : آمين ، قـال : ومن أدرك رمضـانَ فلم يُغفر له دخل النـار فـأبعـده الله وأسحقـه ! فقلت : آمين » رواه الطبراني بإسنادٍ لَيّن .

ورواه الطبراني أيضـاً والبزار من طريـق أخرى عن عبـد الله بن الحارث بن جَزْء الزَّبيدي[1] .

وعن كعب بن عُجْرة رضي الله عنـه قـال : قـال رسـول الله صلى الله عليـه وسلم : « احضُروا المنبر » فحضرنـا ، فلمـا ارتقى درجـة قـال :

---

(١) انظر ترغيب المنذري .

« امين » ، فلما ارتقى الثانية قال : « آمين » ، فلما ارتقى الدرجة الثالثة قال : « آمين » ، فلما نزل قلنا يارسول الله : لقد سمعنا منك اليوم شيئاً ماكنا نسمعه ، قال : « إن جبريل عَرَض لي ، فقال :بَعُد من أدرك رمضانَ فلم يُغفر له ، قلت : آمين ، فلما رَقَيْتُ الثانية قال : بَعُد من ذكرت عنده فلم يصل عليك ، فقلت : آمين ، فلما رقيت الثالثة قال : بَعُد من أدرك أبويه الكبرُ عنده أو أحدهما فلم يُدخلاه الجنةَ قلت : آمين » رواه الحاكم وقال : صحيح الإسناد .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صَعِد المنبر فقال : « آمين ، آمين ، آمين » قيل : يارسول الله إنك صَعِدتَ المنبر فقلتَ : آمين آمين آمين ، فقال : « إن جبريل عليه السلام أتاني فقال : مَنْ أدرك شهر رمضان فلم يُغفر له فدخل النار فأبعده الله ! قل : آمين . فقلت : آمين ، ومن أدرك أبويه أو أحدَهما الكبرُ فلم يَبَرَّهما فمات فدخل النار فأبعده الله ! قل : آمين . فقلت : آمين ، ومن ذكرتَ عنده فلم يصل عليك فمات فدخل النار فأبعده الله تعالى ! قل : آمين . فقلت: آمين » . رواه ابن خزيمة وابن حبان في صحيحه واللفظ له كما في (ترغيب) المنذري .

وفي هذه الأحاديث دلالةٌ صريحة على وجوب الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم إذا ذُكر ، لما ورد من إبعادِ الله تعالى وسُحقه له ، ولأنه صلى الله عليه وسلم ذكر من لم يصل عليه صلى الله عليه وسلم إذا ذُكر - ذكره في سياق أهل الذنوب العظام والخطايا الكبار ، وهم العاقُّون لآبائهم حيثُ لم يَبَروهم عند كبرهم ، والذين أدركهم رمضان فلم يتوبوا فيه إلى ربهم ، ولم

يستغفروا من ذنوبهم حتى تنالهم رحمةُ الله ومغفرته في شهر رمضان ، بل قصَّروا وأعرضوا ، ولذا جاء في رواية ابن حبان كما تقدم أنه صلى الله عليه وسلم قال في جميع أولئك الثلاثة : « فدخل النار فأبعده الله تعالى » ومن هنا تفهم أن هناك وعيداً بالنار لمن لم يُصَل على النبي صلى الله عليه وسلم إذا ذكر .

وأما إرغامُ أنفِ مَن لم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم :

فقد روى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رَغِمَ أنفُ رجلٍ ذكرتُ عنده فلم يصل عليَّ ، ورغم أنف رجل دخل عليه رمضان ثم انسلخ قبل أن يغفر له ، ورغم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكبر فلم يُدخلاه الجنة » قال الترمذي : حديث حسن غريب .

قال الحافظ المنذري : رَغِم بكسر الغين المعجمة أي : لصق بالرَّغام وهو التراب ؛ ذُلاًّ وهواناً .

وقال ابن الأعرابي : هو بفتح الغين ، ومعناه : ذل . اهـ .

وقال العلامة القرطبي في (شرحه على مختصر مسلم) : يحتمل أن يكون معناه : صَرَعه الله تعالى لأنفه فأهلكه ، وهذا إنما يكون في حق مَن لم يقم بما يجب عليه ، وأن يكون بمعنى : أذله الله ، لأن من ألصق أنفه الذي هو أشرف أعضائه بالتراب الذي هو موطئ الأقدام أخسِّ الأشياء ، فقد انتهى في الذل إلى الغاية القصوى[1] . اهـ .

---

(١) انظر شرح ابن علان .

وأما شقاءُ مَن لم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم إذا ذكر :

فقد روى ابن السني عن جابر رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَن ذكرتُ عنده فلم يصل علي فقد شَقيَ »[1] . والشقاء : هو حرمان الخير والوقوع في الشر ، وإنما شقي تارك الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم حين ذكر لأنه حَرَم نفسه فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ـ المقرّب لدخول الجنة والمبعد عن النار ـ ويكون ذلك قد قرب نفسه من النار ، لأنه لم يُقرّبها إلى الجنة بالصلاة عليه صلى الله عليه وآله وسلم .

وفي (شرح الأذكار) للعلامة ابن عَلاَّن رحمه الله تعالى : قال ابن صَعْد التِّلْمِساني في كتابه (مفاخر أهل الإسلام) : **إن قيل** : ما معنى اشتراك تاركِ الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم ، وتاركِ حقّ رمضان ، وتاركِ برّ والديه ، في عقوبة متحدة هي الهلاك وما في معناه من البُعد والهوان ؟ .

فالجواب : أن العقوبة اتحدتْ لاتحاد الجناية ، إذ المتروكُ في الثلاثة شيء واحد هو تعظيم الله تبارك وتعالى .

بيان ذلك : أن شهر رمضان هو شهر الله ﴿ الذي أُنزل فيه القرآن هدىً للناس ﴾ الآية ، فمن عظّمه وقام بحقه إيماناً واحتساباً فقد عظم الله تعالى واختصّ بمزيّة الغفران ، والفاء في قوله : « فلم يغفر له » معناها : الاستبعاد ، أي : بعيد ممن اتّصف بالعقل والإيمان أن يجدَ سبيلاً إلى

---

(١) وقد رمز الحافظ السيوطي في (الجامع الصغير) إلى حسنه .

تعظيمه ، فيخالفَ ذلك إلى انتهاك حرمته ، وابتذال حقه ، فإنْ فعلَ ذلك وتركَ القيامَ بواجبه استحقَّ من الله تعالى البعدَ والذل والهوان .

وكذا برُّ الوالدين ، لأن برَّهما هو تعظيمهما وتوقيرهما ، وذلك مستلزِم لتعظيم الله تعالى وتنزيهه ، إذْ قَرَن الله تعالى الإحسان إليهما بتوحيده وعبادته ، فقال : ﴿ وقضى ربُّك ألا تعبدوا إلا إياهُ وبالوالدين إحساناً ﴾ ، ومعنى الفاء في : « فلم يُدخلاه الجنة » الاستبعادُ أيضاً ، أي بعيد من أهل الإحسان إليهما ، لاسيما في حال كِبَرهما إذا الفَرضُ القيامُ بحقهما والتَّحَفِّي - أي المبالغة في الإكرام - بشأنها ، فإنْ حُرم ذلك بأنْ أهانهما واستصغر حقهما صار من أهل الجنايات ، فاستوجب الحِرمانَ والبعدَ من جميع الخيرات .

وأما الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم : فهي عبارة عن طلب تعظيمه وإجلاله من الله تعالى ، وهو في الحقيقة تعظيم لله تعالى ، قال تعالى : ﴿ مَنْ يُطعِ الرسولَ فقد أطاعَ الله ﴾ فمن عظَّم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلاة عليه عند ذكره ، وأظهر تبجيلَه ورفعةَ قدره استحقَّ من الله تعالى التعظيمَ وعلوَّ المكانة ، ومَنِ استخفَّ بما أبانه الله وأرشده إليه من باهر فضله وإثارة بدره وبركة الصلاة عليه عند سماع ذكره : فقد استوجب الطرد والخزي والإهانة ، وكان خليقاً بعقاب البعد والخوف إن لم يصلّ عليه صلى الله عليه وسلم ، وقولُه : « فلم يصل عليَّ » الفاء معناها : الاستبعاد أيضاً ، أي : بعيد من معتقِدِ الإيمان أن يتمكن من إجراء كلمات معدودات على لسانه يستوجب بهن عشر صلوات من الله عز وجل - وكفى به فائدة - ؛ إلى غير ذلك مِن رفع الدرجات ، ثم

يتعمدُ تَرْكَ ذلك حتى يفوته هذا الخير الكثير ، فيكون بالذل والغضب والبعد هو الجدير . اهـ .

وأما عقوبة تارك الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم حين يُذكر - بالبخل :

فعن علي كرم الله وجهه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « البخيل مَن ذكرتُ عنده فلم يصلِّ عليَّ » رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح غريب ، ورواه النسائي وابن حبان في صحيحه والحاكم وصححه عن الإمام حسين بن علي رضي الله عنهما كما في (ترغيب) المنذري .

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال : خرجت ذاتَ يوم فأتيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « ألا أُخبركم بأبخل الناس ؟ » قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : « مَن ذكرت عنده فلم يصل علي فذلك أبخل الناس » . قال الحافظ المنذري : رواه ابن أبي عاصم في كتاب (الصلاة) من طريق علي بن يزيد عن القاسم . اهـ ورواه أبو نعيم كما في (جلاء الأفهام) .

قال العلامة الفاكهاني : وهذا أقبحُ بخلٍ وأسوأُ شحٍّ ، لم يبق بعده إلا البخلُ بكلمة الشهادة ، أعاذنا الله تعالى وجميعَ المؤمنين ، قال : وهو يقوِّي قول من قال : بوجوب الصلاة عليه كلما ذكره ، وإليه أُميل . اهـ . صلى الله عليه وسلم .

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « البخيل من ذكرتُ عنده فلم يصلِّ عليَّ ، فإنه مَن صلى عليَّ مرة صلى الله

عليه عشراً » صلى الله عليه وسلم كلما ذكر . رواه النسائي ، قال في (جلاء الأفهام) : وهذا إسناد صحيح ، والأمر ظاهر في الوجوب .

وروى سعيد بن منصور بإسناده عن الحسن قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كفى به شحاً أن أذكر عند رجل فلا يصلي عليَّ »[1] .

وأما عقوبة تارك الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم إذا ذكر صلى الله عليه وسلم ـ عقوبته بأنْ يُخطئ طريقَ الجنة :

فقد ورد ذلك من عدة طرق يقوِّي بعضها بعضاً :

فعن الإمام حسين بن الإمام علي رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَن ذُكِرتُ عنده فخَطِئَ الصلاةَ عليَّ خَطِئَ طريقَ الجنة » رواه الطبراني .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَن نسيَ الصلاة عليَّ خَطِئَ طريقَ الجنة » . قال الحافظ المنذري : رواه ابن ماجه والطبراني وغيرهما عن جُبارة بن المغلِّس ، وهو مختلف في الاحتجاج به ، وقد عُدَّ هذا من مناكيره اهـ .

قال عبد الله : لكنْ تعدُّد طرق هذا الحديث عن عدة من الصحابة بأسانيد متعددة تقوِّيه وتجعلُه حسناً ، ولذلك رمز الحافظ السيوطي إلى حسنه في (الجامع الصغير) ؛ وهو الحق .

---

(١) كما في (الجامع الصغير) رامزاً لحسنه .

وقد ذكر العلامة المناوي : أن المراد بالنسيان هنا : الترك ، نظير قوله تعالى في توبيخ الفاجر : ﴿ أَتَتْكَ آياتُنا فنَسيتها وكذلك اليوم تُنْسى ﴾ . أي : تركتَ آياتنا فجزاؤك أنك تترك من الرحمة وتوضع في العذاب ، وليس المراد بالنسيان هنا : الذهول ، لأن الناسي ـ أي : الذي ذَهَل من حفظه ـ غير مكلَّف أي : ليس بمؤاخذ .

وأما جفاء مَن لم يصلِّ على النبي صلى الله عليه وسلم إذا ذكر :

فقد روى عبد الرزاق في (مصنفه) عن معمر عن قتادة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من الجفاء أن أُذكر عند رجل فلا يصلي عليَّ »[1] . صلى الله عليه وسلم .

قال الحافظ السخاوي : قوله « من الجفاء » هو بفتح الجيم والمد وهو ترك البر والصلة ، ويُطلق أيضاً على غِلَظ الطبع والجفاء البعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم .

فهذا الوعيد والإنكار الشديد على مَن لم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم حين يذكر : دليلٌ صريح في وجوب الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم إذا ذكر ، على أنه جاء الأمر الصريح بذلك والأمر يقتضي الوجوب مالم يصرِفْه صارف .

---

(١) قال الحافظ السخاوي في (القول البديع) بعد أن أورده : أخرجه النميري هكذا من وجهين من طريق عبد الرزاق وهو في (جامعه) ورواته ثقات . اهـ وقال في (جلاء الأفهام) : ولو تركنا هذا المرسل وحده لم نحتج به ، ولكن له أصول وشواهد قد تقدمت من تسمية تارك الصلاة عليه عند ذكره ـ بخيلاً وشحيحاً ، والدعاء عليه بالرغم ، وهذا من موجبات جفائه صلى الله عليه وسلم .

فقد روى الترمذي عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من ذكرتُ عنده فليصلِّ عليَّ ، فإنه من صلى علي مرة صلى الله عليه عشراً » . ورواه الطبراني وابن السني أيضاً ، ورمز الحافظ السيوطي إلى صحته ، وقال النووي في الأذكار : وإسناده جيد . وقال الهيثمي : رجاله ثقات .

وقد استدل العلماء بهذه الأحاديث المتقدمة ونحوها على وجوب الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم إذ ذكر ، وذلك من وجوه متعددة :

الوجه الأول : أن النبي صلى الله عليه وسلم أَمَّن على دعاء جبريل عليه السلام برَغام أنف مَن لم يصل عليه صلى الله عليه وسلم ، وهو أن يُلصق أنفه بالرَّغام - أي : التراب - إذلالاً ، حيث لم يعظِّم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك بأن يصليَ عليه حين يُذكر ، فكان جزاؤه الدعاءَ عليه بالإذلال ، هذا دليلُ وجوبِ الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم إذا ذكر ، إذْ لو كان تاركاً لمستحبٍّ لما استَحَق الدعاءَ عليه بالذل والهوان .

الوجه الثاني : ماجاء في رواية ابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم صَعِد المنبر فقال : « آمين . آمين . آمين » ثم قال : « من ذكرتَ عنده فلم يصل عليك فمات فدخل النار فأبعده الله ! قل : آمين » ، قال صلى الله عليه وسلم : « فقلت : آمين » الحديث كما تقدم ، ففي هذا دليل وجوب الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم إذا ذكر ، لأن تارك ذلك مستحِق للنار والإبعاد .

الوجه الثالث : أنه جاءت أحاديثُ كثيرةٌ تبيِّن أن مَن لم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم حين يذكر فإنه بخيل ، بل أبخل الناس ، كما

تقدم ، بل كفاه بذلك بخلاً وشحاً ، فإنه لاأبخل ولا أشح منه ، كما روى سعيد بن منصور بإسناده عن الحسن رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كفى به شحاً أن أذكر عنده فلا يصلي عليَّ » كما تقدم .

وروى قاسم بن أَصبَغ بإسناده المتصل إلى الحسن أيضاً قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بحسْب المؤمن مِن البخل أن أُذكر عنده فلم يصلِّ عليّ » صلى الله عليه وسلم[1] .

فوَصْفُ تارك الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم بالبخل دليلُ وجوبِ الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم ، وذلك لأن البخل ذميم كلَّ الذم ، فإنه أعظم الداءات النفسية البغيضة ، كما قال صلى الله عليه وسلم : « وأيُّ داءٍ أَدْوَأُ مِن البخل » ؟ ، وقد قَرَن الله تعالى ذكر البخيل بالاختيال والفخر أي : الكِبْر ؛ قال تعالى : ﴿ والله لايحب كل مختال فخور ، الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ﴾ ، ولأن البخيل مانعُ حقٍّ وَجَب عليه ، فإن مَن أدى ماوجب عليه كاملاً لا يسمى بخيلاً ، فما ظنك بالذي لا يؤدي حق من له أعظمُ حق وأكبر حق من جميع حقوق الخلق ، ألا وهو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، الذي هو سببٌ في سعادة الدنيا والآخرة ، وقد جاء هادياً للعالمين ورحمةً للمؤمنين ، ومنقذاً للإنسان من شرور الدنيا ومفاسدها ومضارِّها ، ومن مكاره الآخرة وأهوالها وكُرُباتها وعذابها ، ومنقذاً للبشرية من جهالاتها وظلماتها وظلمها وغَيِّها وطغيانها .

---

(١) انظرهما في (جلاء الأفهام) لابن القيم رحمه الله تعالى .

أفلا يستحق هذا الرسول العظيم ، المحسن الكريم الرؤوف الرحيم ، أن يُعظم ويثنى عليه ، بل يُستفرغَ الوُسْع في شكره ومدحه إذا ذكر ، فلا أقل من أن يُصلَّى عليه إذا ذكر ، صلى الله عليه وسلم كلما اسْمُه ذكر ، ووصفُه نُشر صلى الله عليه وسلم .

الوجه الرابع : إن مما يدل على وجوب الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم حيثُ يُذكر : ماتقدم من الأحاديث الدالة على أن من ترك الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم حين يذكر ، فإنه يُخطئ طريق الجنة ، ولا شك أن من أخطأ طريقَ الجنة فلم يَهتد إليها سبيلاً ، فإن أمامه طريقَ النار ، لأنها طريقان لا ثالث لهما .

الوجه الخامس : ماتقدم في الحديث أن من لم يصلّ على النبي صلى الله عليه وسلم عند ذكره فقد جفاه ، فإن جفاءَ أيّ مؤمن لا يجوز بل حرام ، فكيف بمن يجفو رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ؟ ! فهو أحرم ، وذلك لأن جفاءه صلى الله عليه وسلم منافٍ لمحبته صلى الله عليه وسلم الواجبة على كل مسلم ، وجفاؤه صلى الله عليه وسلم منافٍ لما يجب على المسلم من تقديم محبته صلى الله عليه وسلم على النفس والوالد والولد والناس أجمعين ، وعلى المال والأهل والعشيرة وما هنالك ، فقد ثبت في الصحيح أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما قال : يارسول الله لأنتَ أحبُّ إليَّ من كل شيء إلا نفسي ، قال له صلى الله عليه وسلم : « لا ياعمر ، حتى أكونَ أحبَّ إليك من نفسك » فقال عمر : فوالله لأنت الآن أحبُّ إليّ من نفسي ، فقال صلى الله عليه وسلم : « الآن ياعمر » .

وجاء في الصحيحين عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم : « لا يؤمن أحدكم حتى أكونَ أحبَّ إليه من والده وولده والناس أجمعين » .

ومن المعلوم أن جفاءه صلى الله عليه وسلم يُنافي تلك المحبةَ الواجبة ، بل ينافي التوقير الذي أوجبه الله تعالى بقوله : ﴿ وتُوَقِّروه ﴾ .

الوجه السادس : أن من لم يصلِّ عليه صلى الله عليه وسلم حين يذكر فقد شَقِيَ ، كما تقدم قوله صلى الله عليه وسلم : « مَن ذكرتُ عنده فلم يصل عليَّ فقد شقي » ، وفي رواية : « شقي عبدٌ ذُكِرت عنده فلم يصلِّ عليّ » .

الوجه السابع : أن الله تعالى نهى العبادَ أن يجعلوا دعاءَ الرسول بينهم كدعاء بعضهم بعضاً ، قال تعالى : ﴿ لا تجعلوا دعاءَ الرسولِ بينكم كدعاء بعضِكم بعضاً ﴾ الآية .

فنهاهم سبحانه أن ينادُوا النبيَّ صلى الله عليه وسلم باسمه أو لقبه ، كما يُنادي بعضُهم بعضاً ، بل يدعونه بلقب التعظيم والتكريم ، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما : كانوا يقولون : يا محمد ، ياأبا القاسم ، فنهاهم الله عز وجل عن ذلك إعظاماً لنبيه صلى الله عليه وسلم ، قال : فقولوا : يانبي الله يارسول الله .

وجاء نحو ذلك أيضاً عن مجاهد وسعيد بن جبير ، وقال قتادة : أمر الله أن يُهاب نبيُّه صلى الله عليه وسلم ، وأن يُبَجَّلَ وأن يعظم وأن يُسَوَّد ـ أي : بأن يدعى بلقب السيادة ـ لأنه سيد ولد آدم أجمعين صلى الله عليه وسلم ، وقال مقاتل في قوله تعالى : ﴿ لا تجعلوا دعاءَ الرسولِ بينكم كدعاء

بعضكم بعضاً ﴾ . يقول سبحانه : لا تسَمُّوه إذا دعوتموه : يا محمد ، ولا تقولوا : يابن عبد الله ، ولكنْ شرِّفوه ، فقولوا : يا نبي الله يا رسول الله اهـ .

وقال مالك عن زيد بن أسلم في قوله تعالى : ﴿ لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً ﴾ قال : أمرهم الله تعالى أن يُشرفوه اهـ ، أي : يخاطبوه بألقاب التشريف والتكريم .

ولا شك أن ذلك كلَّه من باب وجوب توقيره وتعظيمه صلى الله عليه وسلم ، فكذلك أيضاً ينبغي أن يُخص باقتران اسمه بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم ، ليكون ذلك فرقاً بين ذكر اسمه صلى الله عليه وسلم وبين ذكر غيره ، كما أن الأمر بدعائه صلى الله عليه وسلم بوصف الرسول والنبي ليفرِّق بين خطابه صلى الله عليه وسلم وبين خطاب غيره ، فلو كانت الصلاة عليه عند ذكره ليست واجبة صلى الله عليه وسلم لكان ذِكره كذِكر غيره في ذلك ، مع أنه في الشرع ليس كذلك .

وتفسير الآية السابقة بما بيَّناه من واجب تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم وتكريمه في دعائه وخطابه ، هو الذي عليه جمهور السلف رضي الله عنهم ، كما تقدم نقله .

وهناك قول آخر حول الآية الكريمة وهو : أن المعنى لا تجعلوا دعاءه إياكم كدعاء بعضكم بعضاً ، فتؤخِّروا الإجابة بالاعتذار والعلل أو الانشغال ، كما هو الحال بين بعضكم ، ولكن بادروا إليه إذا دعاكم بسرعة الإجابة والتعجُّل بالطاعة ؛ فعلى هذا يكون المصدر ـ وهو الدعاء ـ مضافاً

إلى الفاعل ، وعلى القول الأول يكون مضافاً إلى المفعول .

والقول الأول هو الأصح والأسدُّ ، لأن القول الثاني جاءت فيه آية خاصة ، قال تعالى : ﴿ ياأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يُحْيِيكم ﴾ ، وإن القرآن الكريم بعيد عن التكرار ، على أن سياق الآيات الكريمة يبيِّن اتجاه كل واحدة إلى المعنى اللائق .

وثمة قول آخر حول قوله تعالى : ﴿ لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً ﴾ وهو : أن المعنى لا تعتقدوا أن دعاءه صلى الله عليه وسلم على غيره كدعاء غيره ، فإنَّ دعاءه مستجاب ، فاحذروا أن يَدْعوَ عليكم فتهلِكوا . ولكن القول الأول هو الأظهر ، فإنه سبحانه قال : ﴿ لا تجعلوا دعاء الرسولِ بينكم كدعاء بعضكم بعضاً ﴾ ، ولم يقل كدعاء بعضكم على بعض . والله تعالى أعلم .

وقد اختلف العلماء هل تجب الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم كلما ذكر ، وإن تعددت في المجلس الواحد ألف مرة ، أم يجب إذا تعدد ذكره صلى الله عليه وسلم في المجلس أن يُصلَّىٰ عليه مرة واحدة ، ولكن يستحبُّ تعداد الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم بتكرار اسمه الشريف ؟

قال في (التنوير) و (شرح الدر المختار) و (حاشيته ردّ المحتار) ما ملخصه : واختلف الطحاوي والكَرْخي في وجوب الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم على السامع والذاكر ـ أي : ذاكر اسمه الشريف صلى الله عليه وسلم ابتداءً لا في ضمن الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم ـ اختُلف في وجوب ذلك كلما ذكر صلى الله عليه وسلم ، والمختار عند الطحاوي وجماعة

من الحنفيـة ، والحَلِيمي وجماعـة من الشـافعيـة ، وحكي عن اللخمي من المالكية ، وابن بطـة من الحنـابلـة ، وقـال ابن العربي من المـالكيـه : إنـه الأحـوط تكراره ـ أي : تكرار الـوجـوب كلما ذكر ولـو اتحـد المجلس في الأصح ، لالأن الأمر يقتضي التكرار ، بـل لأنـه تعلّق وجـوبُها بسببٍ متكرر وهـو الـذكر ـ أي : ذكر اسمـه الشريف صلى الله عليـه وسلم ـ فيتكرر ـ أي الوجوب ـ بتكرره ، وتصير دَيْناً بالترك فتقضى ، لأنها حقُّ عبدٍ كالتشميت ، أي : لأنها حقه صلى الله عليـه وسلم فيقضى كالتشميت للعاطس .

قال : والمذهب استحباب تكرار الصلاة عليـه صلى الله عليـه وسلم إذا تكرر اسمـه الشريف في المجلس الـواحـد ، أي أن الـواجب مرة ، ولكن التكرار مستحب ، قال في (الدر) : وعليه الفتوى .

وقال في (الدر المختـار) أيضاً : والمعتمـد من المـذهب قول الطحـاوي ـ أي : تكرار وجـوب الصـلاة عليـه صلى الله عليـه وسلم إذا تكرر اسمـه الشريف ، وقـال في (رد المحتـار) : قـال في الخـزائن : وصححـه في (التحفة) وغيرها وجعله في (الحاوي) قول الأكثر ، وفي (شرح المنيـة) أنـه الأصح وقـال العيني في شرح المجمع : وهو مـذهبي ، وقـال البـاقـاني : وهو المعتمد من المذهب ورجحه في البحر . اهـ .

قـال الحـافـظ ابن الصـلاح رحمـه الله تعـالى : ينبغي أن يحـافـظ على الصلاة والتسليم عنـد ذكره صلى الله عليـه وسلم ، وأن لا يسـأم من تكرير ذلك عند تكريره ، فإن ذلك ـ أي تكرير الصلاة والتسليم كلما ذكر صلى الله عليـه وسلم ـ من أكبر الفـوائـد التي يتعجّلها طلبـة الحـديث وحَمَلتـه

وكتبته ، قال : ومن أغفل ذلك حرم حظاً عظيماً ، قال : ومانكتبه من ذلك فهو دعاء نثبته لا كلام نرويه ، فلا تتقيد بالرواية ولا تقتصر فيه على مافي الأصل ، وهكذا الأمر في الثناء على الله تعالى عند ذكر اسمه : عز وجل اهـ .

وقال الحافظ السخاوي رحمه الله تعالى : روى أبو القاسم التيمي في (ترغيبه) من طريق أبي الحسن الحراني قال : كان أبو عَروبة الحراني لا يترك أحداً يقرأ عليه الأحاديث إلا ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ، ويبيِّن ذلك ، وكان يقول : بركةُ الحديث كثرةُ الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدنيا ، ونعيم الجنة في الآخرة إن شاء الله تعالى ، قال : وروينا عن وكيع بن الجراح من طريق ابن بَشْكُوال وغيره قال : لولا الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث ماحدَّثتُ أحداً ، وفي رواية أخرى أنه قال : لولا أن الحديث أفضل عندي من التسبيح ماحدَّثت ، وفي رواية أخرى قال : لو أعلم أن الصلاة ـ أي التطوع ـ أفضلُ من الحديث ماحدثت اهـ[1] .

الحكم الثالث في سنية الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم

تُسنُّ الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في مواضع متعددة ، نذكر جملة منها ليتنبه الغافل عنها .

أولاً : وراء الأذان ، وذلك لما جاء في الحديث الذي رواه مسلم وأصحاب السنن عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه سمع

---

(١) كا في (القول البديع) ص ٢٤٩ .

النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « إذا سمعتُم المؤذنَ فقولوا مثلَ ما يقول ، ثم صلُّوا عليَّ ، فإنه من صلى عليَّ صلاةً صلى الله عليه بها عشراً ، ثم سَلُوا الله لي الوسيلةَ ، فإنها منزلة في الجنة لاتنبغي إلا لعبد من عباد الله ، وأرجو أن أكون أنا هو ، فمن سأل الله لي الوسيلةَ حلَّتْ له الشفاعة » .

وروى الإمام أحمد والطبراني عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مَن قال حين ينادي المنادي : اللهم ربَّ هذه الدعوةِ التامةِ والصلاةِ النافعةِ صلِ على محمد وارضَ عني رضاً لاسخطَ بعده : استجاب الله له دعوته » .

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول إذا سمع المؤذن : « اللهم ربَّ هذه الدعوةِ التامةِ والصلاة القائمة صلِّ على محمد وأعطه سُؤْله يوم القيامة » ، وكان يُسمعها مَن حوله ، ويُحب أن يقولوا مثل ذلك إذا سمعوا المؤذن . قال : ومن قال مثل ذلك إذا سمع المؤذنَ وجبتْ له شفاعةُ محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة[1] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مَن سَمِع النداءَ فقال : أشهد أن لاإله إلا الله وحده لاشريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، اللهم صلِّ على محمد ، وبلِّغْه درجةَ الوسيلةِ عندك ، واجعلْنا في شفاعته يوم القيامة ، وجبتْ له الشفاعة »[2] .

---

(١) قال الحافظ المنذري : رواه الطبراني في الكبير والأوسط اهـ .

(٢) قال الحافظ المنذري : رواه الطبراني في الكبير ، وفيه إسحاق بن عبد الله بن كيسان ـ وهو لين الحديث ـ اهـ .

ثانيا : الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم أولَ الدعاء وأوسطه وآخره .

تسنُّ الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم أول الدعاء وأوسطه وآخره ، والجمع بين ذلك كلِّه في الدعاء هو أقوى في الإجابة وفي مضاعفة الأجر والثواب .

أما استحباب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم أول الدعاء : فلما جاء عن فَضالةَ بن عُبيد رضي الله عنه قال : بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعدٌ إذ دخل رجل فصلى فقال : اللهم اغفر لي وارحمني ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عجَّلت أيها المصلي ، إذا صليتَ فقعدتَ فاحْمدِ اللهَ بما هو أهلُه ، وصلِّ عليَّ ثم ادعُه » قال فضالة : ثم صلى رجل آخر بعد ذلك فحمد الله وصلى على النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « أيها المصلي ادعُ اللهَ تُجَبْ » رواه الترمذي وأبو داود والنسائي نحو هذا .

وروى الترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال : كنت أصلي والنبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر معه ، فلما جلستُ بدأت بالثناء على الله تعالى ثم بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ثم دعوتُ لنفسي ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « سَلْ تُعْطَهْ » .

وأما استحباب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم آخر الدعاء ، وتوسيط الدعاء بين الصلاتين عليه صلى الله عليه وسلم : فقد نقل الإمام الغزالي عن أبي سليمان الداراني رضي الله عنه قال : إنما استُحبَّ الدعاء بين الصلاتين لأنها لا تردُّ ، والكريم لا يناسبه قبول الطرفين ورد الوسط اهـ .

وروى الحسن بن عَرَفة بإسناده عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ما من دعاء إلا بينه وبين السماء حجابٌ حتى يُصلّى على محمد صلى الله عليه وسلم ، فإذا صلى على النبي محمد صلى الله عليه وسلم انخرق الحجاب واستجيب الدعاء ، وإذا لم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم لم يستجب الدعاء »[1] .

وروى الترمذي عن سعيد بن المسيب عن عمر رضي الله عنه أنه قال : إن الدعاء موقوف بين السماء والأرض لا يصعد منه شيء حتى يصلّى على نبيك صلى الله عليه وسلم .

والأحب والأفضل في الدعاء أن يصلى فيه على النبي صلى الله عليه وسلم أوله وأوسطه وآخره ، وأن لا يقتصر على الصلاة على النبي آخر الدعاء ، وذلك لما ورد عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تجعلوني كقَدَحِ الراكب : إن الراكب يملأ قدحه ، فإذا فرغ وعلق معاليقه ، فإنْ كان فيه ماء شرب حاجته ، أو الوضوء توضأ ، وإلا أهْرَاقَ القدحَ ، فاجعلوني في أول الدعاء ، وفي أوسطه ، ولا تجعلوني في آخره »[2] .

---

(١) قال في (جلاء الأفهام) بعد روايته : والثابت وقفه على علي رضي الله عنه اهـ قلت : وحينئذ يكون له حكم المرفوع أيضاً ، لأنه لا مجال للرأي في ذلك ، كما هو معلوم عند المحدثين .

(٢) رواه البزار في مسنده والبيهقي في شُعَبه وأبو نعيم في الحلية ، وعبد الرزاق في جامعه كلهم من طريق يعقوب بن زيد بن طلحة ، وهو مرسل ومعضل . قال الحافظ السخاوي : فإن كان يعقوب أخذه من غير موسى تقوّت به رواية موسى ، والعلم عند الله تعالى . اهـ من كلام القسطلاني ملخصاً ، انظر شرح ابن علان على الأذكار .

ثالثاً : الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم عند دخول المسجد ، وعند الخروج منه .

يستحب لمن يدخل المسجد أن يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم عند دخوله ، وعند خروجه منه : وذلك لما جاء في الحديث عن السيدة فاطمة الكبرى رضي الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل المسجد صلى على محمد وسلَّم ، وقال : « ربِّ اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك » ، وإذا خرج صلى على محمد وسلَّم وقال: «ربِّ اغفر لي وافتح لي أبواب فضلك» . رواه الترمذي وهذا لفظه .

وعند ابن ماجه وغيره : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل المسجد قال : « اللهم صلِّ على محمد وسلم » الحديث .

وروى ابن خزيمة في صحيحه وابن حبان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا دخل أحدكم المسجدَ فليسلِّمْ على النبي صلى الله عليه وسلم ، وليقل : اللهم افتح لي أبواب رحمتك ، وإذا خرج فليسلِّم على النبي صلى الله عليه وسلم وليقل : اللهم أجرني من الشيطان الرجيم » .

وفي رواية المسند عن السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها ونفعنا الله تعالى ببركاتها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل المسجد يقول : « بسم الله ، والسلام على رسول الله ، اللهم اغفر لي ذنوبي ، وافتح لي أبواب رحمتك » وإذا خرج قال : « بسم الله ، والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اللهم اغفر لي ذنوبي ، وافتح لي أبواب فضلك »[١] .

---

(١) عزاه في الفتح الكبير للمسند وابن ماجه والطبراني .

رابعاً : الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم عند التقاء المسلم بأخيه المسلم .

روى أبو يعلى عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مامن عبدَيْن متحابَّيْنِ يستقبل أحدهما صاحبه ، ويصليان على النبي صلى الله عليه وسلم ، إلا لم يتفرقا حتى يغفر لهما ذنوبهما ما تقدم منها وما تأخر »[٢] .

وقال الحافظ السخاوي في (القول البديع) : وأما الصلاة عليه عند لقاء الإخوان : فعن أنس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما من عبدَيْن متحابَّيْنِ في الله عز وجل ـ وفي رواية ـ : ما من مسلمين يستقبل أحدهما صاحبه ـ وفي رواية ـ : يلتقيان فيتصافحان ويصلِّيان على النبي صلى الله عليه وسلم إلاَّ لم يتفرقا حتى يُغفر لهما ذنوبهما ما تقدم وما تأخر » أخرجه الحسن بن سفيان وأبو يعلى في مسنديهما ، وابن حبان في الضعفاء وابن بَشْكُوال والرشيد العطار ثم قال : قد حكى الفاكهاني عن بعض الفقراء المباركين أنه أخبره : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرى النائم ، فقلت : يا رسول الله أنت قلت : ما من عبدين متحابين في الله يلتقيان فيصافح أحدهما صاحبه فقال النبي صلى الله عليه وسلم : «إلاَّ لم يتفرقا حتى يغفر لهما ذنوبهما ما تقدم منها وما تأخر ، والدعاء بين صلاتين عليَّ لا يردُّ » . اهـ . صلى الله عليه وسلم كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون .

---

(٢) انظر (ترغيب) المنذري .

خامساً : الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم عند اجتماع القوم في مجالسهم .

يسن للمسلمين أن يصلوا على النبي صلى الله عليه وسلم إذا اجتمعوا إلى بعضهم ، وأن يُزَيِّنوا مجالسهم بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم ، وقد جاءت الأحاديث المتعددة في فضل الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم في الجامع وعظيم ثوابها ، وجاءت أحاديث في التحذير من ترك الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في المجتمعات ، ومن تفرُّق القوم من مجلسهم قبل أن يصلوا عليه صلى الله عليه وسلم .

أما الأحاديث الواردة في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في المجالس والمجتمعات : فمن ذلك :

ما جاء عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن لله سَيَّارةً من الملائكة يطلبون حِلَق الذكر ، فإذا أتَوْا عليهم حفُّوا بهم ثم يقفون وأيديهم إلى السماء إلى ربِّ العِزَّة تبارك وتعالى فيقولون : ربنا أتينا على عبادٍ من عبادك يعظِّمون آلاءَك ، ويتلون كتابك ، ويصلُّون على نبيك محمد صلى الله عليه وسلم ، ويسألونك لآخرتهم ودنياهم ، فيقول الله تبارك وتعالى : غَشُّوهم رحمتي ، فهم الجلساء لا يَشْقى بهم جليسهم »[1] .

---

(١) عزاه الحافظ المنذري إلى الإمام البزار ، وكذا في (جلاء الإفهام) وقال الحافظ السخاوي : رواه البزار وسنده حسن ، وإن كان فيه زائدة بن أبي الرقاد وهو منكر الحديث وزياد النميري وهو ضعيف ، فإن لحديثهما شواهد ، مع أنهما قد وثقا أيضاً . والله أعلم . اهـ .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « زَيِّنوا مجالسكم بالصلاة عليَّ ، فإن صلاتكم عليَّ نور لكم يوم القيامة »[1] .

وأما الأحاديث المحذِّرة من ترك الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في المجالس والمجتمعات :

فقد جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما قعد قوم مقعداً لم يذكروا اللهَ عز وجل فيه ، ولم يُصلوا على النبي صلى الله عليه وسلم إلا كان عليهم حَسرةً يوم القيامة - وإن دخلوا الجنة - للثواب »[2] ، قال الحافظ المنذري : رواه أحمد بإسناد صحيح ، وابن حبان في صحيحه ، والحاكم وقال فيه : على شرط البخاري ا هـ .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ما جلس قوم مجلساً لم يذكروا الله تعالى فيه ، ولم يصلوا على نبيهم صلى الله عليه وسلم ؛ إلا كان عليهم تِرَةٌ - أي حق وتَبِعة - فإن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم » . قال الحافظ المنذري : رواه أبو داود والترمذي واللفظ له وقال : حديث حسن ا هـ .

وقال المنذري : - التِرَة - بكسر التاء المثناة فوق وتخفيف الراء ، هي : النقص ، وقيل : التبعة ا هـ .

---

(١) أورده في الجامع الصغير ، وعزاه للديلمي في الفردوس رامزاً لضعفه .

(٢) أي : تعتريهم الحسرة قبل دخولهم الجنة لما يرون من عظيم ثواب الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم .

وروى النسائي في سننه الكبرى عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما اجتمع قوم ثم تفرقوا عن غير ذكر الله عز وجل وصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم إلا قاموا على أنتنِ جيفةٍ » .

قال العلامة المناوي رحمه الله تعالى : فيتَأكد ذكرُ الله تعالى والصلاةُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم عند إرادة القيام من المجلس ، وتحصُل السنة في الذكر والصلاة بأي لفظ كان ، لكن الأكمل في الذكر : « سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك » . ـ أي : للحديث الوارد في ذلك ـ وفي الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم مافي آخر التشهد ـ أي : الصلاة الإبراهيمية ـ لأنها أفضل صيغ الصلوات على النبي صلى الله عليه وسلم ، لأنه صلى الله عليه وسلم علَّمها لأصحابه ، وأمرهم أن يجعلوها في صلواتهم لربهم ، التي هي أفضل العبادات وأقرب القربات .

سادساً : الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم عند كتابة اسمه الشريف .

ينبغي لمن يكتب اسم النبي صلى الله عليه وسلم في كتاب أن يقرنه بكتابة الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم ، وقد جاء ذلك في أحاديث متعددة الأسانيد : فمن ذلك :

ما رواه الطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَن صلى عليّ في كتابٍ لم تَزَلِ الملائكةُ تستغفرُ له

ما دام اسمي في ذلك الكتاب »[1] .

وروى سليمان بن الربيع بإسناده[2] عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من صلى عليَّ في كتاب لم تزل الصلاةُ جاريةً له ما دام اسمي في ذلك الكتاب » .

وروى أبو الشيخ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة يستغفرون له ما دام اسمي في ذلك الكتاب »[3] .

وقد نقل كثير من علماء الحديث المحققين نقلاً ثابتاً عن كثير من أئمة الحديث من السلف الصالح أنواعاً من رؤيا المنام لهم بعد موتهم تتضمن البشائر العظيمة ، والفضل الكبير الذي أكرمهم الله تعالى بسبب كتابتهم الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم عند كتابه اسمه الشريف صلى الله عليه وسلم ، ومن المعلوم شرعاً أن رؤيا المنام بشارةٌ من الله تبارك وتعالى ، وأن رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة ، وما كان من النبوة فإنه لا يكذب ، كما جاء ذلك في صحيح البخاري وغيره .

---

(١) قال الحافظ المنذري : رواه الطبراني وغيره ، وروي من كلام جعفر بن محمد موقوفاً عليه وهو أشبه . اهـ . قلت : والموقوف في مثل هذا له حكم الرفع ؛ لأنه من الأمور التي لا مجال للرأي فيها . وقول الحافظ المنذري : رواه الطبراني وغيره : ذلك الغير هو ما ذكرناه بعد رواية الطبراني .

(٢) انظر (جلاء الأفهام) .

(٣) قال في (جلاء الأفهام) : بعدما أورد هذا الحديث : رواه إسحاق بن وهب العلاف عن بشر بن عبيد ، قال : وفي الباب عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه وابن عباس وعائشة رضي الله عنهم .

فمن ذلـك : مـا جـاء في (جلاء الأفهـام) عن الحسن بن محمـد قـال : رأيت أحمد بن حنبل رحمه الله في النوم ، فقال لي : يـا أبـا علي لو رأيتَ صلاتَنا على النبي صلى الله عليه وسلم في الكتاب كيف تُزْهر بين أيدينا !. قال الحافظ السخاوي : روى ذلك ابن بَشْكُوال .

قـال : ونقـل أيضـاً عن أبي الحسن بن علي الميـوني أنـه قـال : رأيت الشيخ أبا الحسن بن عيينة في المنـام بعـد موتـه ، وكأنَّ على أصـابع يـديـه شيئاً مكتوباً بلون الذهب أو بلون الزعفران ، فسألتـه عن ذلـك وقلت : يا أستاذي أرى على أصابعك شيئاً مليحاً مكتوباً ما هو ؟ فقال : يـا بني هذا لكتـابتي لحـديث رسول الله صلى الله عليـه وسلم ، أو قـال : لكتـابتي (صلى الله عليه وسلم) في حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[١] .

قال : وذكر الخطيب : حدثنا مكي بن علي قال : حـدثنـا أبو سليمـان الحراني قـال : قـال رجل من جـواري يقـال لـه أبـو الفضـل ، وكان كثير الصوم والصلاة : كنت أكتب الحـديث ولا أصلي على النبي صلى الله عليـه وسلم ، فرأيته صلى الله عليـه وسلم في المنـام فقـال : « إذا كُتبتَ أو ذُكرتَ فلِمَ لا تصلي عليَّ » ؟ ، ثم رأيته صلى الله عليه وسلم مرة من الزمن فقـال : « بلغتني صلواتُـك عليَّ ، فـإذا صليتَ عليَّ أو ذُكرتَ فقل : صلى الله عليـه وسلم »[٢] .

وقال سفيان الثوري : لو لم يكن لصاحب الحديث فـائـدة إلا الصلاة

---

(١) انظر (جلاء الأفهام) .

(٢) انظر (جلاء الأفهام) لابن القيم ، و (الـدر المنضود) لابن حجر الهيتمي ، و (القول البديع) .

على النبي صلى الله عليه وسلم لكفى ، فإنه صلى الله عليه وسلم يصلي عليه ما دام في ذلك الكتاب (صلى الله عليه وسلم) .

وقال محمد بن أبي سليمان : رأيت أبي في النوم ، فقلتُ : يا أبتي ما فعل الله بك ؟ فقال : غفر لي ، فقلت : بِمَ ذلك ؟ قال : بكتابتي الصلاةَ على النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

وقال بعض أهل الحديث : كان لي جار فمات فرؤي في المنام ، فقيل له : ما فعل الله بك ؟ فقال : غفر لي ، قيل : بِمَ ذاك ؟ قال : كنت إذا كتب ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ في الحديث ـ كتبت (صلى الله عليه وسلم) . رواه ابن بَشْكُوال كما في (جِلاء الأفهام) و (القول البديع) .

وقال سفيان بن عيينة : حدثنا خلف صاحب الخلقان قال : كان لي صديق رضي الله عنه يطلب معي الحديث ، فمات فرأيتُه في منامي ، وعليه ثياب خضر يجول فيها ، فقلت : ألستَ كنت معي تطلب الحديث ؟ قال : بلى ، قلت : فما الذي صيَّرك إلى هذا ؟ ، فقال : كان لا يمرُّ حديث فيه ذكر محمد صلى الله عليه وسلم إلا كتبت في أسفله (صلى الله عليه وسلم) فكافأني ربي هذا الذي ترى عليَّ[1] .

وقال عبد الله بن الحكم : رأيتُ الشافعي في النوم ، فقلت : ما فعل الله بك ؟ فقال : رَحِمني وغفر لي وزفني إلى الجنة كما تُزَفُّ العروس ، ونَثَر عليَّ كما يُنثر على العروس ، فقلت : بِمَ نلتَ هذا ؟ فقال لي : لما

(٣) وعزاه في (القول البديع) إلى الخطيب وابن بشكوال .

كتبتُ في كتـاب (الرسـالـة) من الصـلاة على النبي صلى الله عليـه وسلم قلت : فكيف ذلك ، قـال : كتبت : وصلى الله على محمـد عـدد مـا ذكره الذاكرون وعدد ما غفل عن ذكره الغافلون ، قال : فلمـا أصبحتُ نظرتُ إلى (الرسـالـة) فـوجـدتُ الأمر كما رأيت ـ أي في النـوم ـ صلى الله عليـه وسلم .

وروى الخطيب بإسناده عن أبي إسحاق الـدارمي المعروف بنَهْشَل أنـه قـال : كنت أكتب الحـديث في تخريجي للحـديث (قـال النبي صلى الله عليه وسلم تسليماً) قال : فرأيت النبي صلى الله عليـه وسلم في المنـام فكأنـه قد أخذ شيئاً مما أكتبه فنظر فيه . فقال : « هذا جيِّد » .

وقـال عبيـد الله بن عمرو : حـدثني بعض إخواني ممن أثـق بـه قـال : رأيت رجلاً من أهـل الحـديث في المنـام ، فقلت : مـاذا فعـل الله بـك ؟ فقال : رَحِمني وغفر لي . قلت : وممَّ ذلـك ؟ قـال : كنتُ إذا أتيتُ على اسم النبي صلى الله عليه وسلم كتبت (صلى الله عليه وسلم) .

وقد روى الحافظ أبو موسى في كتابه عن جماعة من أهل الحـديث أنهم رُؤوا بعد موتهم ، وأُخبروا أن الله تعالى غفر لهم بكتابتهم الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في كل حديث[1] .

ورُؤيَ الإمام أبو زرعة رحمـه الله تعـالى في المنـام يصلي بـالملائكـة في السماء ، فقيــل لــه : بِمَ نلتَ هــذا ؟ فقــال : كتبتُ بيــدي ألفَ ألفِ حديثٍ ، إذا ذكرتْ النبي صلى الله عليه وسلم أصلي : (صلى الله عليه وآله

---

(١) نقل ذلك كله في (جلاء الأفهام) وفي (القول البديع) .

وسلم) وقد قال صلى الله عليه وسلم : « مَن صلَّى عليَّ مرة صلى الله عليه بها عشراً » .

قال في (الدر المنضود) : وأخرج جمع - أي : جماعة من كبار أهل العلم - عن أبي الحسن الشافعي أنه رأى النبيَّ صلى الله عليه وسلم في النوم فقال : بِمَ جُوزي الشافعيُّ عنك يا رسول الله حيث يقول في كتاب (الرسالة) : وصلى الله على سيدنا محمد عدد ما ذكره الذاكرون وعدد ما غفل عن ذكره الغافلون ؟ فقال له صلى الله عليه وسلم : « جُزِي عني أنه لا يُوقف للحساب يوم القيامة » .

ورآه صلى الله عليه وسلم بعضُ العلماء فقال : يا رسول الله ، محمدُ بن إدريس ابنُ عمك هل خصصتَه بشيء أو نفعته بشيء ؟ فقال : « نعم ، سألتُ الله تعالى أن لا يحاسبه » . فقلت : يا رسول الله بِمَ ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : « لأنه كان يصلي علي صلاة لم يصل عليَّ أحد مثلها » ، وذكر ما مر من الصيغة .

قال في (الدر المنضود) : وعند البيهقي أن الشافعي رضي الله عنه رُئي ، فقيل له : ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لي ، فقيل له : بماذا ؟ قال : بخمس كلمات كنت أصلي بهن على رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقيل له : وماهن ؟ قال : كنت أقول - اللهم صل على محمد عدد من صلى عليه ، وصلِّ على محمد عدد من لم يصل عليه ، وصلِّ على محمد كما أمرتَ أن يصلَّى عليه ، وصل على محمد كما تُحبُّ أن يصلَّى عليه ، وصل على محمد كما ينبغي أن يصلَّى عليه .

ونقل الحافظ السخاوي عن أبي طاهر المخلِّص من رواية ابن بَشْكوال

أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في النوم ، فسلَّم عليه فأدار وجهه عنـه ، فدار إليه من الجانب الآخر فأدار وجهه عنـه ، فـاستقبلـه وقـال : يـانبي الله لم تُدير وجهك عني ؟ قـال : « لأنـك إذا ذكرتني في كتـابـك لاتصلي علي » . قـال : فمن ذلـك الـوقت إذا كتبت « النبي » كتبت : صلى الله عليه وسلم تسليماً كثيراً كثيراً كثيراً اهـ .

وكان رجـل يكتب الحـديث ولا يكتب الصلاة عليـه صلى الله عليـه وسلم ـ شحاً منه على الورق ، فوقعت الأكلة في يده اليمنى .

فنسأل الله تعالى أن يوفقنا للصلاة دائماً عليه صلى الله عليه وسلم .

ورؤي الإمام محمد بن زكي الدين المنـذري عنـد وصول الملـك الصـالح وتزيين المـدينـة لـه ، فقـال للرائي : فرحتم بـالسلطـان ؟ فقلت : نعم ، فرح الناس به ، فقال : أما نحن فقد دخلنا الجنـة وقبلنـا يـدي النبي صلى الله عليه وسلم وقال : « أبْشِروا ؛ كلُّ مَنْ كتب بيده (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم) فهو معي في الجنة »[١] .

اللهم بجاهه صلى الله عليه وسلم اجعلنا منهم .

ومن ثَمَّ قال الحافظ ابن الصلاح رحمه الله تعالى : ينبغي أن يُحـافِـظ المحدث على الصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذكره ، ولا يسـأم من تكرير ذلـك عنـد تكرره فـإن ذلـك من أكبر الفـوائـد التي يتعجلها طلبةُ الحديث وكَتَبتُه ، ومن أغفل ذلك حُرِم حظاً عظيماً ، وقـد

---

(١) قال الحافظ السخاوي بعد ماذكر هذه الرؤيا بإسنادها ، قـال : وهـذا سنـد صحيح ، والمرجو من الله تعالى حصول ذلك ، وانظرها في (الدر المنضود) أيضاً .

روينا لأهل ذلك منامات صالحة ، وما يكتبه من ذلك فهو دعاء يُثبته لا كلام يَرويه ، فلذلك لا يُتَقَيَّد فيه بالرواية ، ولا يُقْتَصر فيه على ما في الأصل . اهـ .

قال العلامة الهيثمي رحمه الله تعالى : ثم حذَّر ابن الصلاح رحمه الله تعالى **من التقصير** في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم **صورةً** كما يفعله بعض المحرومين يشيرون إليها بنحو « صلعم » بدلاً من صلى الله عليه وسلم ، **ومن التقصير معنىً** بأن لا يضم إليها التسليم ، أي : لما مر من كراهة إفراد أحدهما عن الآخر ، قال : وقد وقع لجماعة من المحدثين أنهم كانوا لا يكتبون « وسلم » فرأوا النبي صلى الله عليه وسلم في النوم وهو منقبض أو عاتبٌ أو موبِّخ على ترك ذلك ويقول لبعضهم : « لِمَ تحرمُ نفسك أربعين حسنة » لأن « وسلم » أربعة أحرف ، وكل حرف بعشر حسنات . اهـ .

ومن ذلك ماروواه الحافظ رشيد الدين العطار عن أبي سليمان الحراني بسنده قال : رأيتُ النبي صلى الله عليه وسلم في المنام ، فقال لي : « ياأبا سليمان إذا ذكرتني في الحديث وإذا صليتَ علي ألا تقول : وسلم ، وهي أربعة أحرف بكل حرف عشر حسنات ، تترك أربعين حسنة ؟ » .

وروى ابن الصلاح عن حمزة الكتاني قال : كنت أكتب الحديث ولاأكتب « وسلم » فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم فقال لي : « مالك لا تتمُّ الصلاة علي ؟ » . فما كتبت بعد ذلك : « صلى الله عليه » إلا كتبت « وسلم » .

قال الإمام النووي في شرح مسلم : وقد نصَّ العلماء على كراهة الاقتصار على الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم من غير تسليم والله أعلم اهـ .

قال الإمام القسطلاني : وكذا صرَّح ابن الصلاح بكراهة الاقتصار على قوله : عليه السلام ، يعني للنبي صلى الله عليه وسلم مطلقاً اهـ كما في (شرح الأذكار) ٣ : ٣٣١ .

سابعاً : استحباب الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم عند كل كلام خير ذي بالٍ .

يستحب افتتاح كلام الخير بالحمد لله تعالى والثناء عليه ، ثم بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم .

أما الابتداء بالحمد لله : فقد جاء في سنن أبي داود ومسند أحمد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « كلُّ كلامٍ لا يبدأ فيه بحمد الله فهو أَجْذَمُ » .

وأما الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم عند بدء كلام الخير : فقد روى أبو موسى المديني بإسناده عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « كل كلام لا يُذكَرُ الله فيه فيبدأ به وبالصلاة عليَّ فهو أقطعُ ممحوقٌ من كل بركة[1] » .

وفي رواية ابن منده : « كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بذكرِ الله تعالى ثم الصلاةِ عليّ فهو أقطعُ أكتعُ ممحوقُ البركةِ[2] » .

---

(١) انظر (جلاء الأفهام) .

(٢) انظر (جلاء الأفهام) لابن القيم ، و (الدر المنصود) لابن حجر الهيتمي ، و (القول البديع) .

ثامناً : الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في افتتاح الوعظ والتذكير ونشر العلم ، لاسيا عند قراءة الحديث الشريف .

ينبغي المحافظة على الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في ابتداء تبليغ العلم ، وعند افتتاح التذكير والقِصص ، وافتتاح الدروس ، وعِند خَتْم ذلك أيضاً ، ويتأكد ذلك عند قراءة الحديث النبوي ابتداءً وانتهاءً .

قال الإمام النووي في (الأذكار) : يُستحب لقارىء الحديث وغيره ممن في معناه إذا ذَكَر رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أن يَرفع صوتَه بالصلاة عليه والتسليم عليه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولا يُبالغ في الرفع مبالغةً فاحشةً ، قال : وممن نص عليه الإمام الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي وآخرون ، قال رحمه الله : وقد نقلته إلى علوم الحديث ، ونص العلماء من أصحابنا وغيرهم على أنه يُستحب أن يرفع صوته بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد التلبية اهـ من (الأذكار) .

وقد روى إسماعيل بن إسحاق قال : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال : حدثنا حسين بن علي ـ الجُعْفي ـ عن جعفر بن برقان أنه قال : كتب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه : أما بعد فإن أناساً من الناس قد التمسوا الدنيا بعمل الآخرة ، وإن من القُصّاص قد أحدثوا في الصلاة على خلفائهم وأمرائهم عِدْل صلاتهم على النبي صلى الله عليه وسلم ، فإذا جاءك كتابي هذا فَمُرْهم أن تكون صلاتُهم على النبيين ودعاؤهم للمسلمين عامة ، ويَدَعوا ماسوى ذلك[1] .

---

(١) انظر (الدر المنضود) و (شرح الأذكار) لابن علان ٣ : ٣٣٩ .

وروى أبو نُعيم عن الأوزاعي قال : كتب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه إلى عماله أن يأمروا القُصَّاص أن يكون جُلُّ إطنابهم ودعائهم الصلاةَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم[1] .

فحقيق بالمحدِّث والواعظ والمدرس أن يفتتح كلامه بحمد الله تعالى ، ثم بالصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن يختم ذلك أيضاً بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم .

ويدخل في ذلك أيضاً : استحباب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في فاتحة الرسائل ، وقد روى الواقدي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه كتب إلى بعض عماله : بسم الله الرحمن الرحيم من أبي بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى طريفة بن حاجز : سلام عليك ، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، وأسأله أن يصلي على محمد صلى الله عليه وسلم ، أما بعد ....إلى آخر الكتاب .

قال الحافظ الهيتمي : فهو من سُنة الخلفاء الراشدين ، وقد مضى عليه عمل الأمة في أقطار الأرض الخ . اهـ .

قال الإمام النووي في (الأذكار) : يُروى عن حماد بن سلمة أن مكاتبةَ المسلمين كانت : من فلان إلى فلان أما بعد : سلام عليك فإني أحمد إليك اللهَ الذي لا إله إلا هو ، وأسأله أن يصلي على محمد وعلى آل محمد الخ ...

تاسعاً : الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم عند طَرَفي النهار .

---

(١) انظر (جلاء الأفهام) .

عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من صلى عليَّ حين يُصبح عشراً ، وحين يمسي عشراً : أدركتْه شفاعتي يوم القيامة[1] » .

عاشراً : الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم عند إرادة النوم ، وعند قلّة النوم .

عن أبي قِرْصافة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من أوى إلى فراشه ، ثم قرأ : ﴿ تبارك الذي بيده الملك ﴾ ثم قال : اللهم ربَّ الحِلِّ والحرام ، وربَّ الرُّكْن والمقام ، وربَّ المشعر الحرام ، بحق كل آية أنزلتها في شهر رمضان ، بلِّغْ روح محمد صلى الله عليه وسلم تحيةً وسلاماً ـ أربع مرات ـ وكَّلَ الله به ملكين حتى يأتيا محمداً صلى الله عليه وسلم فيقولان له : إن فلان بن فلان يقرأ عليك السلامَ ورحمةَ الله ، فأقول : على فلان بن فلان مني السلامُ ورحمةُ الله وبركاته[2] » .

قال في (القول البديع) : وذكر ابن بَشْكُوال عن عبدوس الرازي أنه وَصَف لإنسان قليل نومُه إذا أراد أن ينام أن يقرأ : ﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبي ، يٰأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ﴾ . أي : ويأتي بعد الآية بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم .

---

(١) أخرجه في (الجامع الصغير) رامزاً لحسنه .

(٢) قال الحافظ السخاوي : رواه أبو الشيخ ، ومن طريقه الديلمي في مسند الفردوس ، وكذا الضياء في (المختارة) وقال : لاأعرف هذا الحديث إلا بهذا الطريق . وقال ابن القيم : إنه معروف من قول أبي جعفر ، وإنه أشبه . والله تعالى أعلم . اهـ .

الحادي عشر : الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم إذا قام الرجل من نوم الليل .

روى النسائي في (سننه الكبرى) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : يضحك الله عز وجل - أي يرضى تمام الرضا - إلى رجلين : رجل لقيَ العدوَّ وهو على فرس من أمثل خيل أصحابه ، فانهزموا وثبت ، فإن قُتل استشهد ، وإن بقي فذلك يضحك الله تعالى إليه ، ورجل قام في جوف الليل لا يعلم به أحد فتوضأ فأسبغ الوضوء ، ثم حَمِد الله تعالى ومجدَّه ، وصلَّى على النبي صلى الله عليه وسلم واستفتح القرآنَ ، فذلك الذي يضحك الله إليه ، يقول : انظُروا إلى عبدي قائماً لا يراه أحدٌ غيري .

وروى الحافظ عبد الرزاق بلفظ : رجلان يضحك الله تعالى إليهما ... الحديث[1] .

الثاني عشر : الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم عند طنين الأذن .

عن أبي رافع رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إذا طنَّتْ أُذُن أحدِكم فليذْكُرني وَلْيصلِّ عليَّ ، ولْيقُل : ذكر الله من ذكرني بخير » وفي رواية : « ذكر الله بخير من ذكرني »[2] .

---

(١) انظر (جلاء الأفهام) .

(٢) عزاه في (الجامع الصغير) إلى الحكيم الترمذي والعقيلي والطبراني وابن عدي ، وعزاه أيضاً في (القول البديع) إلى المكارم وابن أبي عاصم وأبي موسى المديني ، وقد رواه الطبراني في المعاجم الثلاثة ، وقال الحافظ الهيثمي : إسناد الطبراني في الكبير حسن اهـ . قال المناوي في (فيض القدير) : وبه بطل قول من زعم ضعفه فضلاً عن وضعه =

وقد شرح العلامة المُنَاويُّ قوله صلى الله عليه وسلم : « فليذكرني » قال : بأن يقول : محمد رسول الله ، أو نحوه . « وليصلِّ علي » أي يقول : صلى الله عليه وسلم .

قال الزيلعي : فيه عدمُ الاكتفاء بالذكر حتى يصليَ عليه صلى الله عليه وسلم ، وليقل « ذكر الله من ذكرني بخير » . قال : وذلك أن الأرواح ذاتُ طهارة ونزاهة ، ولها سمع وبصر متصل ببصر العين ، ولها سُطوع في الجوّ تجول وتحول ، ثم تصعد إلى مقامها الذي بدأت ، فإذا تخلصت من شغل النفس أدركتْ من أمر الله تعالى ما يَعجز عنه البشر فهماً ، ولولا شغلها رأت العجائب ، لكنها تدنَّستْ بما تلَبَّسَتْ ، فتوسَّختْ بما تَقَمَّصت من ثياب الذات ، وتكدرت بما تشربت من كأس حب الخطيئآت .

وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لما قيل له : إلى أين ؟ قال : « إلى سدرة المنتهى » فهو هناك يقول : « رب أمتي أمتي » حتى يُنفَخ في الصور النفخة الأولى أو الثانية .

فطنينُ الأُذن من قِبَل الروح تجده لخفَّتها وطهارتها وسطوعها وشوقها إلى المقام الذي فيه المصطفى صلى الله عليه وسلم ، فإذا طنَّت الأذن فانظر لما جاءت من الخير ، فلذلك قال صلى الله عليه وسلم : « فليصلِّ علي » لأنه صلى الله عليه وسلم ذكره عند الله في ذلك الوقت ، وطلب له منه شيئاً استوجب به الصلاة ، فيصلي عليه إذاً لحقِّه صلى الله عليه وسلم . اهـ .

= قال : أقول : المتن صحيح ، فقد رواه ابن خزيمة في صحيحه باللفظ المذكور عن أبي رافع ، وهو ـ أي ابن خزيمة في صحيحه ـ ممن التزم تخريج الصحيح ولم يطلع عليه المصنف ـ أي الحافظ السيوطي ـ ولم يستحضره اهـ . من (فيض القدير) .

نعم هذا كله بالنسبة للمؤمنين المتعلقةِ قلوبُهم برسول الله صلى الله عليه وسلم ، المتعارفة أرواحُهم بروحه الشريفة صلى الله عليه وسلم في عالم الأرواح ، كما أشار إلى ذلك صلى الله عليه وسلم بقوله : « الأرواحُ جنودٌ مجنَّدة ، فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف » .

وأما غير المؤمنين فطنين آذانهم لها أسباب أخرى روحية ، ولكنها ظلمانية سفلية ، وليست بعلوية ولا سِدْرِيّة .

الثالث عشر : الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم عند نسيان الحديث .

روى ابن السُّني بإسناده عن عثمان بن أبي حرب الباهلي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَن أراد أن يحدِّث بحديث فنسيَه فليصلِّ عليَّ ، فإنَّ في صلاته عليَّ خَلَفاً من حديثه ، وعسى أن يَذكره » ، ورواه الديلمي وابن بشكوال .

وروى أبو موسى المديني عن أنس مرفوعاً : « إذا نسيتم شيئاً فصلُّوا عليَّ تذكروه إن شاء الله تعالى » .

الرابع عشر : الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم عقب الصلوات .

وهذا من جملة المواطن التي يستحب بها الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم ، وقد عقد كثير من العلماء لذلك فصلاً خاصاً ، ومنهم الحافظ أبو موسى المديني ، وأورد في ذلك حكاية عن طريق عبد الغني بن سعيد قال : سمعت إسماعيل بن أحمد بن إسماعيل الحاسب قال : أخبرني أبو بكر محمد بن عمر قال : كنت عند أبي بكر بن مجاهد ، فجاء الشيخ الشبلي فقام أبو

بكر بن مجاهد فعانقه وقبَّل بين عينيه ، فقلتُ له - أي لابن مجاهد - : يا سيدي تفعل هذا بالشبلي وأنت وجميع مَن ببغداد يتصوَّر أنه مجنون ؟! .

فقال لي - أبو بكر بن مجاهد - : فعلتُ به كما رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل به ، وذلك أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام - وقد أقبل الشبلي - وَقام إليه وقبَّل بين عينيه .

فقلت : يا رسول الله أتفعل هذا بالشبلي ؟! .

فقال صلى الله عليه وسلم : « هذا يقرأ بعد صلاته ﴿ لقد جاءكم رسولٌ من أنفُسِكم ﴾ إلى آخرها ، ويُتْبعها بالصلاة عليَّ » .

وفي رواية : «إنه لم يُصل صلاةً فريضة إلا ويقرأ خلفها ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم ﴾ إلى آخر السورة ويقول ثلاث مرات : صلى الله عليك يا محمد» .

قال : فلما دخل الشبلي سألته عما يذكر بعد الصلاة فذكر مثله[1] .

قال في (القول البديع) : وهي - أي الحكاية - عند ابن بشكوال من طريق أبي القاسم الخفاف قال : كنت يوماً أقرأ القرآن على رجل يكنى أبا بكر وكان ولياً لله ، فإذا بأبي بكر الشبلي قد جاء إلى رجل يكنى بأبي الطيِّب ، وكان من أهل العلم ، فذكر قصة طويلة ، وقال في آخرها : ومشى الشبلي إلى مسجد أبي بكر بن مجاهد فدخل عليه فقام له ، فتحدث أصحاب ابن مجاهد بحديثهما ، وقالوا له : أنت لم تقم لعلي بن عيسى الوزير وتقوم للشبلي ؟! ، فقال : ألا أقوم لمن يعظمه رسول الله صلى الله

(١) انظر (جلاء الأفهام) ، وعزاه الحافظ السخاوي أيضاً إلى ابن بشكوال وعبد الغني بن سعيد .

عليه وسلم ؟ رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال لي : « يا أبا بكر إذا كان في غد فسيدخل عليك رجل من أهل الجنة ، فإذا جاءك فأكرمه » . قال ابن مجاهد : فلما كان بعد ذلك بليلتين أو أكثر رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي : « يا أبا بكر أكرمك الله كما أكرمتَ رجلاً من أهل الجنة » . فقلت : يا رسول الله لِمَ استحقَّ الشبلي هذا منك .

فقال : « هذا رجل يصلي خمس صلوات يذكرني في أَثَر كل صلاة ، ويقرأ ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم ﴾ الآية يقول ذلك منذ ثمانين سنة ، أفلا أكرم من يفعل هذا ؟ ».

قال الحافظ السخاوي : ويُستأنس لهذا ـ أي لمشروعية الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم عقب الصلوات ـ بحديث أبي أُمامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مَن دعا بهؤلاء الدعوات في دُبُرِ كلِّ صلاةٍ مكتوبةٍ حلَّتْ له الشفاعة مني يوم القيامة : اللهم أعطِ محمداً الوسيلةَ ، واجعل في المصطَفَيْنَ محبتَه ، وفي العالينَ درجتَه ، وفي المقربين دارَه » . رواه الطبراني .

الخامس عشر : الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم عند خَتْم القرآن الكريم .

تطلب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم عند خَتْم القرآن الكريم ، لأن الموضع موضعُ دعاء ، وقد روى ابن أبي داود في (فضائل القرآن) عن الحَكَم قال : أرسل إليّ مجاهد وعَبْدة ابن أبي لُبابة قالا : أَرسلْنا إليك أنا

نريد أن نختم القرآن ، وكان يقول : إن الدعاء يُستجاب عند ختم القرآن ، ثم يدعو بدعوات .

وروى أيضاً في كتابه عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال : مَن خَتَم القرآن فله دعوةٌ مستجابة .

وعن مجاهد قال : تَنزل الرحمةُ عند ختم القرآن .

وروى أبو عبيد في (فضائل القرآن) عن قتادة قال : كان بالمدينة رجل يقرأ القرآن من أوله إلى آخره على أصحاب له ، فكان ابن عباس رضي الله عنهما يضع عليه الرُّقَباء ، فإذا كان عند الختم جاء ابن عباس رضي الله عنهما فشهده .

وقد نص الإمام أحمد رضي الله عنه على الدعاء عقب الختمة ، وقال : كان أنس رضي الله عنه إذا ختم القرآن جمع أهله وولده[1] .

السادس عشر : الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم عند الهمّ والكَرْب والشدائد .

تُطلب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم عند الكربات والشدائد وتراكم الهموم ، فإنها تفرّج ذلك عن المكروب وتكشف عنه ، وذلك لما جاء في حديث أُبيٍّ بن كعب رضي الله عنه ـ وقد تقدم ـ وفيه : أجعلُ لك صلاتي كلَّها يا رسول الله ؟ ـ أي أجعل دعائي كله صلاة عليك ـ صلى الله عليه وسلم ، فقال صلى الله عليه وسلم : « إذاً تُكْفَى همَّك ويُغفَر ذنبُك » . الحديث .

(١) انظر (جلاء الأفهام) .

وأخرج الطبراني عن السيد جعفر الصادق رضي الله عنه قال : (كان أبي ـ أي السيد محمد الباقر ـ رضي الله عنهما إذا كَرَبه أمر قام فتوضأ وصلى ركعتين ثم قال في دُبُر صلاته : اللهم أنت ثقتي في كل كرب ، ورجائي في كل شدة ، وأنت لي في كل أمر نزل بي ، ثقةٌ وعِدَةٌ ؛ فكم من كَرْب قد يضعفُ عند الفؤاد ، وتقلُّ فيه الحيلة ، ويَرغب عنده الصديق ، ويَشمتُ به العدو ، أنزلتُه بك وشكوتُه إليك ففرجتَه وكشفتَه ، فأنت صاحبُ كلِّ حاجة ، وولي كل نعمة ، وأنت الذي حفظتَ الغلام بصلاح أبويه ، فاحفظني بما حفظتَه به ، ولا تجعلني فتنة للقوم الظالمين .

اللهم وأسألك بكل اسمٍ هو لك سميتَه في كتابك ، أو علمتَه أحداً من خلقك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك ، وأسألك باسمك الأعظم الأعظم الأعظم ، الذي إذا سُئلتَ به كان حقاً عليك أن تجيب ـ أن تصلي على سيدنا محمد وعلى آل محمد ، وأسألك أن تقضي حاجتي)[1] . اللهم أنت أعلم بحاجاتي فاقضها .

السابع عشر : الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في دعاء الحاجة .

عن عبد الله بن أبي أوفى قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « من كان له إلى الله عز وجل حاجة ، أو إلى أحد من بني آدم ، فليتوضأ وليُحسنْ وضوءه وليصل ركعتين ، ثم لِيُثْنِ على الله عز وجل ، وليصل على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم ليقل : لا إله إلا الله

---

(١) انظر (الدر المنضود) .

الحليم الكريم ، لا إله إلا الله سبحان الله ربِّ العرشِ العظيم ، والحمد لله رب العالمين ، أسألك مُوْجباتِ رحمتك ، وعزائم مغفرتك ، والغنيمةَ من كل بِرٍّ ، والسلامةَ من كل ذنب ، لا تدعْ لي ذنباً إلا غفرته ، ولا هماً إلا فرجْتَه ، ولا حاجةً هي لك رضاً إلا قضيتَها يا أرحم الراحمين »[1] .

وعن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ كانت له حاجة إلى الله تعالى فلْيُسبغ الوضوء ولْيصلِّ ركعتين ، يقرأ في الأولى بالفاتحة وآية الكرسي ، وفي الثانية بالفاتحة وآمن الرسول - يعني أواخر سورة البقرة - ثم يتشهد ويسلم ويدعو بهذا الدعاء : اللهم يا مؤنس كل وحيد ، ويا صاحب كل فريد ، ويا قريباً غيرَ بعيد ، ويا شاهداً غيرَ غائب ، ويا غالباً غيرَ مغلوب ، يا حيٌّ يا قيومُ ، يا ذا الجلال والإكرام ، يا بديع السموات والأرض ، أسألك باسمك الرحمن الرحيم ، الحي القيوم ، الذي عَنَتْ له الوجوه ، وخشعتْ له الأصوات ، ووَجِلتْ له القلوب من خشيته : أن تصلي على محمد وعلى آل محمد ، وأن تفعل بي كذا - أي يذكر حاجته ويسميها - فإنه تقضى حاجته »[2] .

الثامن عشر : استحباب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم عند خطبة الرجل المرأة في النكاح .

---

(١) قال في (القول البديع) : أخرجه الترمذي وابن ماجه والطبراني وعبد الرزاق الطبسي في الصلاة الخ ، وكذا أورده في (جلاء الأفهام) معزواً إلى الطبراني بإسناده وروايته .

(٢) قال الحافظ السخاوي : أخرجه الديلمي في مسنده ، وأبو القاسم التيمي في ترغيبه بسند ضعيف اهـ . من (القول البديع) .

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى في (الأذكار) : يُستحب أن يبدأ الخاطب بالحمد لله والثناء عليه ، والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويقول : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، جئتكم راغباً في فتاتكم ، أو في كريمتكم فلانة بنت فلان ، أو نحو ذلك اهـ .

قال الحافظ السخاوي رحمه الله تعالى : وقد روينا عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : ﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبي ﴾ قال : يعني أن الله يُثني على نبيكم ويغفر له ، وأمر الملائكة بالاستغفار له ﴿ يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه ﴾ أثنوا عليه في صلاتكم وفي مساجدكم ، وفي كل موطن ، وفي خطبة النساء فلا تنسوه[1] .

وقال الحافظ أيضاً : وروينا عن أبي بكر بن حفص قال : كان ابن عمر رضي الله عنهما إذا دُعيَ إلى نكاح قال : لا تزدحموا علينا أيها الناس ، الحمد لله وصلى الله على محمد ، إن فلاناً خطب إليكم ، فإنْ أنكحتموه فالحمد لله ، وإنْ رددتموه فسبحان الله . اهـ .

قال : وعن العُتْبيِّ عن أبيه قال : خطبنا عمر بن عبد العزيز في نكاح امرأة من أهله فقال : الحمد لله ذي العزة والكبرياء ، وصلى الله على محمد خاتم الأنبياء ، أما بعد : فإن الرغبة منك دَعَتك إلينا ، والرغبة منا فيك أجابتْك ، وقد أحسن ظناً بك مَن أودعك كريمتَه ، واختارك لحرمته ،

---

(١) قال الحافظ بعد ذلك : أخرجه إسماعيل القاضي بسند ضعيف اهـ . وكذا أورده في (جلاء الأفهام) .

وقد زوجناك على ما أمر الله تعالى به من إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان . اهـ .

التاسع عشر : استحباب الإكثار من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة وليلة الجمعة .

كان صلى الله عليه وسلم يأمر الصحابة ويحثُّهم على الإكثار من الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم في يوم الجمعة وليلتها ، ويبيِّنُ لهم أن لها في يوم الجمعة عَرْضاً عليه خاصاً ، وأن لها شأناً خاصاً ، وقد جاء ذلك في عدة من الأحاديث عن عدة من الصحابة رضي الله عنهم .

فعن أوس بن أوس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أفضل أيامكم ـ وفي رواية ابن حبان : إن من أفضل أيامكم ـ يوم الجمعة ، فيه خُلق آدم عليه السلام ، وفيه قُبض ، وفيه النفخة ، وفيه الصعقة ، فأكثروا علي من الصلاة فيه ، فإن صلاتكم معروضة عليّ » ، قالوا : يا رسول الله كيف تُعرضُ صلاتنا عليك وقد أَرَمْتَ ـ يعني : بليتَ . أي : بعد الموت ـ ، فقال : « إن الله عز وجل حَرَّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء »[1] .

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أكثروا علي من الصلاة كل يوم جمعة ، فإنه مشهود تَشْهَده الملائكة ، وإن أحداً لن يصلي علي إلا عُرضتْ عليَّ صلاتُه حتى يفرغ منها » قال أبو الدرداء : قلت : وبعد الموت ؟ ، قال صلى الله عليه

(١) قال المنذري في موضعين في (الترغيب) : رواه أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والحاكم وصححه . اهـ انظر ١ : ٤٩١ ، ٢ : ٥٠٣ .

وسلم : « إن الله حَرَّم على الأرض أن تـأكل أجسـاد الأنبيـاء عليهم الصلاة والسلام »[1] .

وعن أبي أُمـامـة رضي الله عنـه قـال : قـال رسـول الله صلى الله عليـه وسلم : « أكثروا عليَّ من الصلاة في كل يوم الجمعة ، فـإن صلاة أمتي تُعرض علي في كل يـوم جمعـــة ، فمن كان أكثرهم علي صـلاة كان أقربَهم مني منزلة »[2] .

وعن أنس رضي الله عنـه قـال : قـال رسول الله صلى الله عليـه وسلم : « أكثروا الصلاةَ عليَّ يوم الجمعة فإنـه أتـاني جبريل آنفـاً من ربـه عز وجل فقال : مـا على الأرض من مسلم يصلّي عليـك مرة واحـدة إلا صليت أنـا وملائكتي عليه عشراً » . رواه الطبراني[3] .

وفي روايـة أبي الفرج في كتـاب (الـوفـاء) زيـادة : « ولا يكـون لصلاتـه منتهىً دون العرش لا تمرُّ بملـك إلا قـال : صلوا على قـائلهـا ، كما صلى على النبي محمد صلى الله عليه وسلم

وعند ابن أبي عاصم زيادة : « وعُرِضتْ علي يوم القيامة »[4] .

وعن أنس رضي الله عنـه أن النبي صلى الله عليـه وسلم قـال : « أكثروا

---

(1) رواه ابن ماجه بإسناد جيد كما في (ترغيب) المنذري و (الجامع الصغير) .

(2) رواه البيهقي بإسناد حسن كما في (الدر المنضود) و (القول البديع) .

(3) قـال المنـذري : رواه الطبراني عن أبي الظلال عنـه ، وأبو الظـلال وثـق ، ولا يضر في المتابعات اهـ .

(4) انظر (جلاء الأفهام) و (القول البديع) و (الدر المنضود) .

الصلاةَ عليّ يوم الجمعة ، فإن صلاتكم تُعرض عليَّ »[1] .

وروى الخطيب بإسناده عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مَن قال في يوم الجمعة : اللهم صلِّ على محمد النبي الأمي وعلى آلهِ وسلِّمْ ثمانين مرة غُفرتْ له ذنوب ثمانين عاماً » .

وروى الديلمي عن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً : « مَن صلَّى عليَّ يوم الجمعة كانت له شفاعةٌ عندي يوم القيامة »[2] .

وقال محمد بن يوسف العابد ، عن الأعمش ، عن زيد بن وهب قال : قال لي ابن مسعود رضي الله عنه : يا زيد بن وهب : لا تَدَعْ إذا كان يوم الجمعة أن تصلِّيَ على النبي صلى الله عليه وسلم ألفَ مرة ، تقول : اللهم صلِّ على محمد النبي الأمي[3] . وأورده في (الدر المنثور) معزواً للشيرازي في (الألقاب) .

وأخرج البيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « أكثروا الصلاةَ عليَّ في الليلة الغراء واليوم الأزهر : ليلةِ الجمعة ويومِ الجمعة »[4]

وروى البيهقي بإسناده عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أكثروا الصلاةَ عليّ في الليلة الغراء واليوم

(١) عزاه في (جلاء الأفهام) إلى محمد بن إسماعيل الوراق ثم ذكر أنه صالح للاستشهاد .
(٢) ذكره والذي قبله في (الدر المنضود) وكذا في (القول البديع) .
(٣) كما في (جلاء الأفهام) و (الدر المنضود) .
(٤) كذا في (الفتح الكبير) .

الأزهر ، فإن صلاتكم تُعرضُ عليَّ »[1] .

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أكثروا الصلاة علي في الليلة الزهراء واليوم الأغر ، فإن صلاتكم تُعرض عليَّ ، فأدعو لكم وأستغفر »[2] . والليلة الزهراء هي ليلة الجمعة ، واليوم الأغر هو يومها .

قال الشيخ العارف الكبير أبو طالب المكي رضي الله عنه : أقل الإكثار ثلاثمائة مرة . اهـ .

فينبغي للمسلم أن يواظب يوم الجمعة وليلتها على الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثمائة مرة ، والأحب والأفضل أن يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة ألف مرة ، وذلك لما تقدم من الحديث أنه صلى الله عليه وسلم قال : « من صلى عليَّ يوم الجمعة ألف مرة لم يَمُتْ حتى يَرى مقعدَه من الجنة » ، ولما تقدم عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه كان يأمر التابعين أن يصلوا على النبي صلى الله عليه وسلم ألف مرة .

ويستحسن أن تكون الصيغة يوم الجمعة بلفظ : « اللهم صلِّ على سيدنا محمد عبدِك ونبيِّك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلِّمْ » ، وذلك لما روى ابن بَشْكُوال والدارقطني واللفظ له عن أبي هريرة مرفوعاً : « مَن صلى عليَّ يوم الجمعة ثمانين مرة غفر الله تعالى له ذنوب ثمانين سنة » قيل : يا رسُول الله كيف الصلاةُ عليك ؟ قال :

---

(١) كذا في (الفتح الكبير) .

(٢) رواه ابن بشكوال كما في (القول البديع) .

« تقـول : اللهم صـلِّ على محمـد عبـدك ونبيـك ورسـولـك النبي الأمي ؛ وتعقد واحدة »[1] . فذلك خير وأولى ، ومن زاد على عـدد الألف زاده الله تعالى خيراً وبرّاً .

هـذا ؛ وقـد كتب عمر بن عبـد العزيز رضي الله عنـه إلى الآفـاق أن انشُروا العلم يوم الجمعة فإن غائلة العلم ـ أي آفـة العلم ـ النسيـان ، وأكثِروا الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة[2] .

ونشرُ العلم يوم الجمعة محبوبٌ ، لأنه يوم مشهود ، تشهـده ملائكـة الله تعـالى ، فهي تشهـد مجـالسَ العلم أيضـاً وتحضُرهـا ، وترفـع ذلـك إلى الله تعالى ، لأن مجالسَ العلم فيها الهدى والنور النازل من عنـد الله تعـالى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونشر العلم وتعليمـهُ من أفضل القربـات إلى الله تعالى ، ولناشره ثواب أفضل الصدقات .

روى الطبراني في الكبير وغيره ، عن سمرة بن جنـدب رضي الله عنـه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ماتصدقَ الناس بصدقـة مثل علم يُنشر » .

وعنه صلى الله عليـه وسلم قـال : « وأَجودُكم من بعـدي رجلٌ عَلم علمـاً فنشر علمه ، يبعث يوم القيامة أمةً وحده » رواه أبو يعلى والبيهقي .

---

(١) قـال الحـافـظ السخـاوي بعـد مـا أورد ذلـك في (القول البـديـع) : قلت : وحسنـه العراقي ، ومن قبله أبو عبـد الله بن النعمان ، ويحتـاج إلى نظر ، وقـد تقـدم نحوه من حديث أنس قريباً . اهـ .

(٢) انظر (الـدر المنضود) و (القـول البـديـع) وعـزاه لابن وضـاح ـ وابن بشكـوال من طريقه ـ والنميري .

وأخرج البيهقي في (حياة الأنبياء) والأصبهاني في (الترغيب) عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَن صلى عليَّ مائةً في يوم الجمعة وليلة الجمعة قضى الله له مائة حاجةٍ : سبعين من حوائج الآخرة ، وثلاثين من حوائج الدنيا ، ثم وكلَّ الله بذلك ملكاً يُدخله عليَّ في قبري كما يُدخَل عليكم الهدايا ، إن علمي بعد موتي كعلمي في الحياة » كذا في (الحاوي) للحافظ السيوطي ، قال : ولفظ البيهقي : « يُخبرني بمن صلى عليَّ باسمه ونسبه فأُثْبِتُه عندي في صحيفة بيضاء »، وأورده في (الدر المنثور) وعزاه للبيهقي في (الشعب) وابن المنذر في (تاريخه) وابن عساكر . ا هـ .

وفي هذه الأحاديث النبوية التي ذكرنا : دليل صريح على أنه ينبغي الإكثار من الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة وليلتها ، لما في ذلك من عظيم الأجر والخير والبر ، بسبب فضل ذلك اليوم وليلته ، ومضاعفات الثواب فيهما ، وحُقَّ لسيد الأنام وأفضل الأنام سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام الإكثار من الصلاة عليه ، في يوم هو سيد الأيام وأفضل الأيام ، وهو يوم الجمعة فقد جاء عن أبي لبابة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن يوم الجمعة سيد الأيام وأعظمها عند الله تعالى ، وهو أعظم عند الله من يوم الأضحى ويوم الفطر وفيه خمس خِلال : خلق الله تعالى فيه آدم ، وأهبط الله فيه آدم إلى الأرض ، وفيه تَوَفى الله آدم ، وفيه ساعةٌ لا يسأل الله فيها العبدُ شيئاً ألا أعطاه إياه مالم يسأل حراماً ، وفيه تقوم الساعة ، مامِن ملكٍ مقرَّب ولا سماء ولا أرض ولا رياح ولا جبال ولا بحر إلا وهنَّ يُشْفِقْنَ من يوم الجمعة » قال

المنذري : رواه أحمد وابن ماجه بلفظ واحد ، وفي إسنادهما مَن احتج به أحمد وغيره ، ورواه أحمد والبزار من حديث سعد بن عبادة . ا هـ ملخصاً .

العشرون : استحباب كثرة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم عند أداء مناسك الحج والعمرة .

يُستحبُّ للحاج والمعتمر أن يُصليَ على النبي صلى الله عليه وسلم حين يؤدي المناسك :

فيستحب ذلك عند التلبية لما رواه الدار قطني والشافعي وإسماعيل القاضي ، عن القاسم بن محمد ـ وهو ابن أبي بكر الصديق رضي الله عنهم قال : كان ـ على عهد الصحابة ـ يستحب للرجل إذا فرغ من تَلْبيته أن يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم[1] .

وكذا يُستحبُّ ذلك عند الطواف وعند الوقوف على الصفا والمروة :

فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه خطب الناس بمكة فقال : إذا قدم الرجل منكم حاجّاً فَلْيَطُفْ بالبيت سبعاً ، وليصلِّ عند المقام ركعتين ، ثم ليبدأ بالصفا فيستقبل البيت ، فيكبر سبع تكبيرات ، بين كل تكبيرتين : حمدُ الله تعالى وثناء عليه وصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، ومسألة ـ أي دعاء ـ لنفسك ، وعلى المروة مثلُ ذلك[2] .

---

(١) كذا في (القول البديع) .

(٢) قال في (القول البديع) : أخرجه البيهقي وإسماعيل القاضي وأبو ذر الهروي ، وإسناده قوي ، وصححه شيخنا ـ أي ابن حجر ـ وهو عند سعيد بن منصور بمعناه . ا هـ .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان يكبّر على الصفا ويقول : لاإله إلا الله وحده لاشريك له ، له الملك وله الحمد ، يحيي ويميت ، وهو على كل شيء قدير ، ثم يصلّي على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم يدعو ويُطيل القيام والدعاء ، ثم يفعل على المروة مثلَ ذلك[1] .

وتُستحب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم عند استلام الحجر :

فعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان إذا أراد أن يستلم الحجر قال : اللهم إيماناً بك ، وتصديقاً بكتابك ، واتّباعاً لسنة نبيك ، يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ويستلمه[2] .

ويستحب الإكثار من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في موقف عرفة :

فعن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مامن مسلم يقفُ عشيةَ عرفةَ بالموقف ، فيستقبل القبلة بوجهه ثم يقول : لاإله إلا الله وحده لاشريك له ، له الملك وله الحمد ، يحيي ويميت ، وهو على كل شيء قدير مائة مرة ، ثم يقرأ : ﴿ قل هو الله أحد ﴾ مائة مرة ثم يقول : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد وعلينا معهم - مائة مرة ، إلا قال الله تبارك وتعالى : ياملائكتي ماجزاءُ عبدي هذا ؟ سبَّحني وهلَّلني ، وكبَّرني ، وعظَّمني ، وعَرَفني ، وأثنى عليَّ ، وصلى على نبيٍّ ، إشهدوا أني قد غفرت له ، وشفعتُه في نفسه ، ولو سألني عبدي هذا لشفعته

---

(١) قال السخاوي : أخرجه إسماعيل القاضي .

(٢) قال السخاوي : أخرجه الطبراني وأبو ذر الهروي .

في أهـل المـوقف كلهم » رواه البيهقي في (شُعَب الإيمــان) (وفضــائــل الأوقـات) وقـال في (الشُّعَب) : هــذا متن غريب ليس في إسنــاده من ينسب إلى الوضع . ا هـ ، قال الحافـظ السخـاوي : وكلهم موثَّقون ، لكنْ فيهم الطلحي وهو مجهول[1] .

---

(١) قـال السخـاوي : وصوب البيهقي أن اسمـه عبـد الله بن محمـد والعلم عنـد الله تعـالى . ا هـ .

من فضائل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم

إن فضائل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم هي كثيرة ، يعجزُ القلم عن إحصائها ، وتضيقُ الكتب عن استقصائها ، وإنَّما نذكر منها جملة موجزة :

١ ـ إن من يُصلي على النبي صلى الله عليه وسلم يصلِّي الله عليه عشرَ صلوات :

روى مسلم وأصحاب السنن عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَن صلَّى علي صلاةً واحدة صلى الله عليه عشراً » .

وروى الإمام أحمد عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتَّبَعته حتى دخل نخلاً ، فسجد فأطال السجود ، حتى خِفتُ أو خشيت أن يكون الله قد توفاه أو قبضه ، قال : فجئت أنظر ، فرفع رأسه صلى الله عليه وسلم فقال : « مالك ياعبد الرحمن » ؟ قال فذكرت ذلك له ، قال : فقال : « إن جبريل عليه السلام قال لي : ألا أُبشِّرك ، إن الله عز وجل يقول : مَن صلى عليك صلَّيت عليه ، ومَن سلَّم عليك سلَّمتْ عليه » وفي رواية : « فسجدت لله تعالى شكراً » وستأتي بقية طرقه .

٢ ـ من صلى عليه صلى الله عليه وسلم صلى عليه رسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم :

فعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من صلَّى عليَّ بَلَغَتني صلاته وصليت عليه ، وكتب له سوى ذلك عشرُ حسنات » رواه الطبراني في الأوسط بإسناد لابأس به . ا هـ من (ترغيب) المنذري .

٣ ـ إن من صلى على النبي صلى الله عليه وسلم صلَّتْ عليه ملائكة الله تعالى :

فعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أكثِروا الصلاةَ علي يوم الجمعة ، فإنه أتاني جبريل آنفاً عن ربه عز وجل فقال : ماعلى الأرض من مسلم يصلي عليك مرة واحدة إلا صليت أنا وملائكتي عليه عشراً » . قال الحافظ المنذري : رواه الطبراني .

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : مَن صلى على النبي صلى الله عليه وسلم صلاة واحدة صلى الله عليه وملائكته سبعين صلاةً . قال المنذري : رواه أحمد بإسناد حسن . ا هـ . وقال في (الدر المنضود) وحكمه الرفع ، إذ لا مجال للرأي فيه . ا هـ .

وعن عامر بن ربيعة عن أبيه رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب ويقول : « مَن صلَّى علي لم تَزَلِ الملائكةُ تصلي عليه ماصلى عليَّ » . رواه أحمد وابن أبي شيبة وابن ماجه والسند حسن كما قال الحافظ الهيثمي ، وفي رواية : « مامن عبد يصلي عليَّ إلا صلت عليه

الملائكة مادام يصلي عليَّ ، فَلْيُقِلَّ العبدُ من ذلك أو لِيُكْثِرْ » كما في (الفتح) معزواً لأحمد وابن ماجه والضياء .

٤ ـ من صلى عليه صلى الله عليه وسلم رُفعتْ درجاته ، وزِيدتْ حسناته ، ومحيت عنه من سيئاته :

روى النسائي والطبراني عن أبي بُردة بن نِيار رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَن صلى عليَّ من أمتي صلاةً مخلصاً من قلبه : صلى الله عليه بها عشر صلوات ، ورفعه بها عشر درجات ، وكتب له بها عشر حسنات ، ومحا عنه بها عشر سيئات » . كما في (الترغيب) للمنذري[١] .

وعن أبي طلحة الأنصاري رضي الله عنه قال : أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً طَيِّب النفس يُرى في وجهه البِشْر ، قالوا : يا رسول الله أصبحتَ اليوم طَيِّبَ النفس يُرى في وجهك البشر ؟! فقال صلى الله عليه وسلم : « أجلْ أتاني آتٍ من ربي عز وجل فقال : مَن صلى عليك مِن أمتك صلاةً كتب الله له بها عشر حسنات ومحا عنه عشر سيئات ، ورفع له عشر درجات ، وردَّ عليه مثلها » قال في الترغيب للمنذري : رواه أحمد والنسائي .

وفي رواية لأحمد : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء ذات يوم والسرور يُرى في وجهه صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يا رسول الله إنا

(١) قال الحافظ السخاوي : رواه ابن أبي عاصم في (الصلاة) له ، والنسائي في (عمل اليوم والليلة) و (السنن) والبيهقي في (الدعوات) والطبراني ورجاله ثقات ، وإسحاق بن راهَوْيه والبزار بسند رجاله ثقات ؛ ثم ساق لفظ البزار .

لنرى السرور في وجهك ؟ ، فقال : « إنه أتاني الملك فقال : يا محمد أما يُرضيك أن ربك عز وجل يقول : إنه لا يصلي عليك أحدٌ من أمتك إلا صليتُ عليه عشراً ، ولا سلَّم عليك أحد من أمتك إلا سلمت عليه عشراً ؟ فقال : بلى » . قال المنذري : رواه ابن حبان في صحيحه بنحو هذا . اهـ .

قال القاضي عياض رحمه الله تعالى في معنى صلاة الله تعالى على من يصلي على نبيه صلى الله عليه وسلم : رَحِمَه وضُوعِفَ له أجره ، كقوله تعالى : ﴿ من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ﴾ وقد تكون الصلاة على وجهها وظاهرها ـ أي بمعنى الثناء والتعظيم ـ كلاماً يُسمِعُهُ الملائكةَ ، تعظيماً للمصلي وتشريفاً له ، كما جاء في الحديث القدسي : « وإنْ ذكرني في ملأ ذكرتُه في ملأ خيرٍ منه » .

وقد أفادت الأحاديث السابقة الإخبارَ بأن الله تعالى هو يصلي على من يصلي على نبيه صلى الله عليه وسلم عشراً ، وإنَّ ذكر الله تعالى للعبد هو أعظم من الحسنة مضاعفة ، وذلك أن الله تعالى لما لمْ يجعلْ جزاء ذكره سبحانه إلا ذكره حيث قال : « فإنْ ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خيرٍ منه » ، كذلك جعل جزاء ذكر نبيه وحبيبه صلى الله عليه وسلم ؛ فمن صلى على حبيبه صلى الله عليه وسلم صلى الله تعالى عليه فذكره برحمته وثنائه عليه ، وإكرامه وبره إليه .

قال العلامة الشيخ برهان الدين بن أبي شريف رحمه الله تعالى : من صرَّف فكره وأعمل الفكرة ، تواردتْ عليه رُسُل المسَّرة بما أتحفه مولاه عز وجل من المبرَّة وسَرِّه ، يالها من بشارة تخللتْ من العروقِ المسالك ! أين صلاةُ العبد من صلاة الملك المالك ؟! فكيف والعبدُ يصلي على النبي صلى

الله عليه وسلم مرةً والله تعالى يصلي عليه عشراً ، فكم أجرى له مولاه ثواباً عمياً وأجراً ا هـ . من (شرح الأذكار) لابن عَلاَّن .

وعن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ما مِن عبدٍ يذكرني فيصلِّي عليَّ إلا كتب الله له عشر حسنات ، ومحا عنه عشر سيئات ، ورفع له عشر درجات »[1] .

وفي الثواب العظيم ، والأجر الكبير ، والمضاعفات في الصلوات والتسليمات لمن صلى على النبي صلى الله عليه وسلم : إعلامٌ بتكريم الله تعالى لحبيبه صلى الله عليه وسلم ، وإعلانٌ بفضله على سائر الأنبياء والمرسلين صلوات الله تعالى عليه وعليهم أجمعين ، ولذلك لما بشَّره جبريل عليه السلام بذلك سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم شاكراً لله تعالى على هذه العطية الخصوصية ، والتحفة السنية .

فقد روى الإمام أحمد والحاكم وصحح إسناده عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتَّبَعْتُه حتى دخل نخلاً ـ أي : بستان نخل ـ فسجد فأطال السجود حتى خِفتُ أو خشيت أن يكون الله قد توفاه أو قبضه ، قال : فجئت أنظر ، فرفع صلى الله عليه وسلم رأسه فقال : « مالكَ يا عبد الرحمن » ؟ قال : فذكرت ذلك له ، قال : فقال صلى الله عليه وسلم : « إن جبريل عليه السلام قال لي : ألاَّ أبشِّرُك ؟ إن الله عز وجل يقول : من صلى عليك صليتُ عليه ، ومن سلم عليك سلمت عليه » زاد في رواية : « فسجدت لله شاكراً » .

---

(١) رواه النسائي والحافظ رشيد الدين العطار بسند حسن كذا في (القول البديع) .

قال الحافظ المنذري : ورواه ابن أبي الدنيا وأبو يعلى ولفظه : كان لا يُفارق رسولَ الله صلى الله عليه وسلم مِن خمسة أو أربعة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لما ينويه من حوائجه بالليل والنهار ، قال : فجئته وقد خرج فاتبعته ، فدخل حائطاً من حيطان الأشراف ، فصلى فسجد فأطال السجود ، فبكيت وقلت : قبض الله روحه صلى الله عليه وسلم ، قال : فرفع رأسه فدعاني فقال : « مالك » ؟ فقلت : يارسول الله أطلتَ السجود وقلتُ ، قبض الله روح رسوله صلى الله عليه وسلم لاأراه أبداً فقال : « سجدت شكراً لربي فيما أبلاني[1] في أمتي : مَنْ صلى عليّ صلاة من أمتي كتب الله له عشر حسنات ، ومحا عنه عشر سيئات » .

٥ ـ من صلى على النبي صلى الله عليه وسلم كان له ذلك عِدْل عشر رقابٍ أعتقها لوجه الله تعالى :

عن البراء بن عازب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من صلى عليَّ مرة كتب الله تعالى له عشر حسنات ، ومحا عنه عشر سيئات ، ورفعه الله عشر درجات ، وكنَّ له عِدل عشر رقاب » . قال المنذري : رواه ابن أبي عاصم في كتاب الصلاة ، عن مولى للبراء لم يسمه ـ عنه ـ أي عن البراء رضي الله عنه . ا هـ .

٦ ـ إنها سبب في مغفرة الذنوب ، وذلك على حسب إيمان المؤمن وحبه وإخلاصه في صلاته على النبي صلى الله عليه وسلم :

روى ابن أبي عاصم والطبراني عن أبي كاهل رضي الله عنه قال : قال

---

(١) أي : فيما أنعم عليَّ وأكرمني في أمتي إذا هم صلوا عليَّ صلى الله عليه وسلم .

لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ياأبا كاهل مَن صلّى عليَّ كُلَّ يوم ثلاث مرات ، وكلَّ ليلةٍ ثلاث مرات ؛ حباً وشوقاً إليّ كان حقاً على الله أن يغفر ذنوبه تلك الليلةَ وذلك اليوم » . وقد أورده المنذري بصيغة - رُوِي - وذكره في (جلاء الأفهام) بإسناده .

٧ - الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم تستغفر لصاحبها وتؤانسه في قبره :

فعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من عبد صلّى عليَّ صلاة إلا خرج بها ملك حتى يجيء بها وجه الرحمن عز وجل فيقولُ ربُّنا تبارك وتعالى : اذهبوا بها إلى قبر عبدي تستغفر لصاحبها وتَقَرُّ بها عينه »[1] .

٨ - ومن خصائص الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم : أن يشفع رسول الله صلى الله عليه وسلم بصاحبها :

روى ابن أبي داود عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع يقول : «إن الله عز وجل قد وَهَب لكم ذنوبكم عند الاستغفار، فمن استغفر بنيَّةٍ صادقة غفر له ، ومن قال : لا إله إلا الله رجح ميزانه ، ومَنْ صلّى عليَّ كنتُ شفيعه يوم القيامة»[2] .

---

(١) رواه الديلمي في الفردوس ، وأورده في (جلاء الأفهام) بإسناده عن إبراهيم بن رشيد . وقال الحافظ السخاوي : أخرجه أبو علي بن البناء ، والديلمي في مسند الفردوس . ا هـ .

(٢) كذا في (جلاء الأفهام) و (الصلات والبشر) وقال : أخرجه الحسن بن أحمد البناء بسند جيد . اهـ .

٩ ـ ومن فضائل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم : أنها تنفي الفقر ، وتَفيضُ بالخير والبركة :

وقد جاء ذلك من عدة طرق بأسانيد متعددة يقويّ بعضها بعضاً :

فروى أبو نعيم عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله : ماأقربُ الأعمال إلى الله تعالى ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : « صدقُ الحديث ، وأداء الأمانة » فقلت : يارسول الله زدْنا ، قال : « صلاةُ الليل وصومُ الهواجر » قلت : يارسول الله زدنا ، قال : « كثرةُ الذكرِ والصلاةُ عليّ تنفي الفقر » قلت : زدنا يارسول الله ، قال صلى الله عليه وسلم : « مَن أمَّ فليخفِّفْ ، فإنَّ منهم الكبيرَ والعليلَ والضعيفَ وذا الحاجة »[1] .

وروى الحافظ أبو موسى المديني بإسناده عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فشكا إليه الفقر وضيق العيش أو المعاش ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا دخلتَ منزلك فسلِّم إنْ كان فيه أحدٌ أو لم يكن فيه أحد ، ثم سلِّم عليَّ ، واقرأ ﴿ قل هو الله أحد ﴾ مرة واحدة » ففعل الرجل فأَدَرَّ الله عليه الرزقَ حتى أفاد على جيرانه وقراباته[2] .

١٠ ـ من فضائل الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم : أن مَن أكثر منها يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى الناس به :

---

(١) انظر (جلاء الأفهام) و (الدر المنضود) .

(٢) انظر (الدر المنضود) و (جلاء الأفهام) و (القول البديع) ص ١٢٩ .

روى الترمذي وحسَّنه عن أنس رضي الله عنـه أن النبي صلى الله عليـه وسلم قال : « أولى الناسِ بي يوم القيامة : أكثرهم عليَّ صلاةً » .

قال ابن حِبَّان : في هذا الحديث دليلٌ على أن أولى النـاس برسول الله صلى الله عليه وسلم في القيامة ـ أي : أقربهم منه ـ أصحـابُ الحـديث ، إذ ليس في هذه الأمة أكثرُ صلاةً عليه صلى الله عليه وسلم منهم . اهـ .

قال العلامة الهيتمي : وكذا قال غيره : فيـه بشـارةٌ عظيمـة لأصحـاب الحـديث ، لأنهم يصلون على النبي صلى الله عليـه وسلم قولاً وفعلاً ، نهـاراً وليلاً ، عند القراءة والكتابة ، فهم أكثرُ الناس صلاةً ، لذلك اختصوا بهذه المنقبة من بين سائر فِرَق العلماء . اهـ[1] .

١١ ـ ومن فضـائـل الصـلاة عليـه صلى الله عليــه وسلم : أن بركتهـا وخيراتها تُدرِكُ الرجلَ المصليَ وولدَه وولدَ ولده :

كما روي عن حذيفة رضي الله عنه أنه قال : الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم تُدرِك الرجلَ وولدَه وولد ولده[2] .

اللهم صـلِّ على سيـدنـا محمـد كما أمرتَنـا أن نصلي عليــه ، وكما تحبُّ أن يُصلَّى عليه ، وكما يُحبُّ أن يصلَّى عليه ، وكما هو أهلُه عندك ، وعلى آلـه وصحبه وسلِّم ، وعلينا معهم أجمعين .

☆ ☆ ☆

---

(١) انظر (الدر المنضود) .

(٢) كما في (الـدر المنضود) وقـال الحـافـظ السخـاوي ص ١٣١ : رواه ابن بشكـوال بسنـد ضعيف . اهـ .

تحذير الجلساء مِن ترك الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في مجالسهم

ينبغي لمن جلس في مجلس أن لا يقوم من مجلسه حتى يذكر الله تعالى ، ويصليَ فيه على رسوله صلى الله عليه وسلم ، ومَن لم يفعل ذلك فسوف يكون ذلك المجلسُ عليه حسرةً يوم القيامة وندامة :

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ما جلس قومٌ مجلساً لم يذكروا الله فيه ولم يُصلُّوا على نبيهم إلاَّ كان عليهم تِرَةً[1] ، فإن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم »[2] .

وروى ابن مَنيع في (مسنده) عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أيُّما قومٍ جلسوا في مجلس ثم تفرَّقوا قبل أن يذكروا الله تعالى ويُصلوا على النبي صلى الله عليه وسلم كان ذلك المجلسُ عليهم تِرَةً يوم القيامة » يعني : حسرةً[3] .

---

(١) قال ابن حجر الهيتمي : الترة ـ بفوقية مكسورة ، فراء مخففة مفتوحة ، فتاء ـ : الحسرة كما جاء في الرواية الأخرى ، وقيل : هي النار ، وقيل : هي الذنب ، وقال ابن الأثير في النهاية : هي النقص والتبعة . اهـ .

(٢) قال الحافظ المنذري : رواه أبو داود والترمذي ـ واللفظ له ـ وقال : حديث حسن ، ورواه بهذا اللفظ ابن أبي الدنيا والبيهقي . اهـ .

(٣) قال المنذري في (الترغيب) : رواه أحمد بإسناد صحيح ، وابن حبان في صحيحه ، والحاكم وقال : صحيح على شرط البخاري اهـ .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ماقعد قومٌ مقعداً لم يذكروا اللهَ عز وجل فيه ولم يصلوا على النبي صلى الله عليه وسلم إلا كان عليهم حسرةً يوم القيامة ـ وإنْ دخلوا الجنة للثواب »[1] .

قال ابن حجر الهيتمي : إنهم يتحسَّرون على ترك الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في الموقف ، لما فاتهم من ثوابها ، وإن كان مصيرهم إلى الجنة ، لا أن الحسرة تلازمهم بعد دخولها . اهـ .

وروى الحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ماجتمع قوم ثم تفرَّقوا عن غير ذكرِ الله عزَّ وجلَّ وصلاةٍ على النبي صلى الله عليه وسلم إلاَّ قاموا عن أنتنِ جيفة »[2] .



(١) كما في (جلاء الأفهام) وانظر (القول البديع) .

(٢) قال في (الدر المنضود) : جاء هذا الحديث بسند صحيح على شرط مسلم . اهـ .

فوائد الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم

اعلم أيُّها الأخ المؤمن بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم : أن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم لها فوائدُ فضلٍ وخير ، وعوائدُ إحسان وبرٍّ ، لا يعلم حصرَها وقدرَها إلا الله تعالى ؛ الذي ربط تلك الفوائد والعوائد بتلك الصلوات على حبيبه الأكرم صلى الله عليه وسلم ،ونحن نذكر منها جملةً موجزة ، تعلِّم الجاهل ، وتنبِّه الغافل ، وتذكِّر العاقل ، قال تعالى : ﴿ وذكِّرْ فإن الذكرى تنفعُ المؤمنين ﴾ .

الفائدة الأولى : أن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم هي سببُ القرب من النبي صلى الله عليه وسلم يوم القيامة :

فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أولى الناس بي يوم القيامة أكثرُهم عليَّ صلاةً »[١] .

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أكثروا عليَّ من الصلاة في كل يوم الجمعة ، فإن صلاة أمتي تُعرض عليَّ في كل يوم جمعة ، فمن كان أكثرهم عليّ صلاةً كان أقربَهم مني منزلة »[٢] .

---

(١) رواه الترمذي وابن حبان في صحيحه .

(٢) قال الحافظ المنذري : رواه البيهقي بإسناد حسن . اهـ .

قال الحافظ ابن حِبَّان في قوله صلى الله عليه وسلم : « أولى الناس بي يوم القيامة أكثرُهم علي صلاة » : أي أقربُهم مني يوم القيامة ، قال : وفيه بيانٌ أن أولاهم به صلى الله عليه وسلم هم أهل الحديث ، إذ ليس من هذه الأمة قوم أكثر صلاةً على النبي صلى الله عليه وسلم منهم . اهـ .

وقال الخطيب البغدادي : قال لنا أبو نعيم : هذه مَنْقَبة شريفة يختصُّ بها رواة الآثار ونَقَلتها ، لأنه لا يُعرف لعصابة ـ أي : جماعة ـ من العلماء من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم أكثرُ مما يُعرف لهذه العصابة نَسْخاً ـ أي : كتابةً ـ وذكراً ـ أي : باللسان والجَنَان .

وأخرج الحافظ ابن حجر عن سفيان الثوري أنه قال : لو لم يكن لصاحب الحديث فائدةٌ إلا الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم لكفاه ، فإنه يُصلِّي عليه ما دام في الكتاب . اهـ .

أما حدُّ الإكثار : فقد قال الشيخ العارف أبو طالب المكي : أقل الإكثار ثلاثمائة اهـ .

وقال الشيخ ابن حجر الهيتمي : أقول : إن الإكثار لا يحصل إلا بتفريغ أكثر أوقات العبادة لها ـ أي : للصلاة عليه صلى الله عليه وسلم ـ كما قيل في قوله تعالى : ﴿ والذاكرين الله كثيراً والذاكرات ﴾ . قال : ويُحتمل ضبط ذلك ـ أي ضبط حد الإكثار ـ بأنه يُظهرها حتى يعرفَ فيها بين الناس[1] اهـ .

---

(١) انظر (الدر المنضود) وشرح ابن علان على (أذكار) النووي .

الفائدة الثانية : أنها سببٌ لِشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم بصاحبها شفاعةً خاصة :

فعن رويفع بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قال : اللهم صل على محمد ، وأنزله المقعَد المقرَّبَ عندك يوم القيامة ، وجبت له شفاعتي »[1] .

وروى الطبراني عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ صلَّى عليَّ حين يصبح عشراً ، وحين يمسي عشراً أدركتْه شفاعتي يوم القيامة »[2] .

الفائدة الثالثة : أن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم زكاةٌ للمصلي وطهارةٌ له :

روى ابن أبي شيبة وأبو الشيخ وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صلوا عليَّ فإن الصلاة عليَّ زكاة لكم » .

وروى ابن أبي عاصم عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صلوا عليَّ ، فإن الصلاة عليّ كفارة لكم ، فمن صلى عليَّ صلى الله عليه عشراً » .

ففي الحديث الأول بيان بأن الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم زكاة للمصلي ، ومن المعلوم أن الزكاة تشتمل على معنى النَّماء والبركة والطهارة ، كما هو الشأن في زكاة الأموال فإنها تُنَمِّيه وتطهِّرُه .

---

(١) قال الحافظ المنذري : رواه البزار والطبراني في الكبير والأوسط ، وبعض أسانيدهم حسن . اهـ .

(٢) أورده في (الجامع الصغير) رامزاً لحسنه .

وأما الحديث الذي بعده : ففيه أن الصلاة عليه صلى الله عليه وآله وسلم هي كفارة ، وهي تدل على محو الذنب وآثارِه من نفس المذنب ومن صحيفته .

فقد دل هذان الحديثان على أنَّ الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم بها تحصُل طهارة النفس من أدناسها ومساويها ،وبها يثبت النماء والزيادة في كمالاتها ومحاسنها ، وفي ذلك تكون التخلية والتحلية ، وإلى هذين الأمرين ـ أي : تخلية النفس من الرذائل وتحليتها بالفضائل ـ يرجع كمالُ النفس وسعادتُها ، وبهذا يعلم أنه لا كمال للنفس إلا بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، فإنها من لوازم محبته ومتابعته وتقديمه على كل مخلوق سواه .

ومن ثَمة قال المحققون من العارفين رضي الله عنهم : مَنْ لم يجد الشيخ المرشد الكامل فعليه بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فإنها له كالمرشد الكامل ، وممن نبَّه لذلك العارف بالله تعالى أحمد رَزُّوق في القاعدة المائة والرابعة عشر ؛ وقد روى إسماعيل القاضي في (كتاب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم) بإسناده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صلوا عليَّ فإن صلاتكم علي زكاة لكم » قال : « واسألوا الله ليَ الوسيلةَ » قال : « والوسيلة أعلى درجةٍ في الجنة ، لا ينالها إلا رجلٌ ، وأرجو أن أكون أنا ذلك الرجلَ » .

الفائدة الرابعة : أن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم تقوم مقام الصدقة من الأجر والثواب لِذي العُسْرة :

روى ابن حبان في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أيَّما رجلٍ مسلمٍ لم يكن عنده صدقة

فليقل في دعائه : اللهم صلِّ على محمد عبدك ورسولك ، وصلِّ على المؤمنين والمؤمنات ، والمسلمين والمسلمات ، فإنها زكاة »[1] .

وعن أبي سعيد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ربما كسَبَ رجلٌ مالاً من حلال فأطعم نفسه ، ـ ورجل[2] يكون له مال فيه الصدقة ـ فقال : ـ أي : الرجل الأول ـ اللهم صل على محمد عبدك ورسولك وعلى المؤمنين والمؤمنات ، والمسلمين والمسلمات ، فإنه له زكاة »[3] .

الفائدة الخامسة : الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم سببٌ لكفاية همِّ الدنيا والآخرة :

روى الطبراني بإسناد حسن عن محمد بن يحيي بن حَبَّان عن أبيه عن جده رضي الله عنه أن رجلاً قال : يا رسول الله أجعلُ ثلثَ صلاتي عليك ؟ قال : « نعم إنْ شئتَ » قال : الثلثين ؟ قال : « نعم إنْ شئتَ » ، قال : فصلاتي كلَّها ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذاً يكفيك الله ماأهمَّك من أمر دنياك وآخرتك » .

وعن أُبيٍّ بن كعب رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه

---

(١) أي : طهارة له من ذنوبه وخطاياه لما صح عنه صلى الله عليه وسلم أن الصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار .

(٢) أي : والحال أنَّ هناك رجل له مال كثير وتجب فيه الصدقة ولم يتصدق ، ولكن الذي ليس له مال سوى ما يطعم نفسه راح يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم فإن ذلك له أجر زكاة وصدقة .

(٣) قال ابن حجر الهيتمي : رواه أبو يعلى وإسناده حسن . ا هـ .

وسلم إذا ذهب رُبُع الليل قام فقال : « يـا أيها النـاس اذكروا الله اذكروا الله ، جاءت الراجفة ، تتبعها الرادفة ، جاء الموتُ بما فيه » ، قـال أبي بن كعب : فقلت : يـا رسول الله إنّي أُكثر الصلاةَ عليـك فكم أجعلُ لـك من صلاتي ؟ قال : « ماشئتَ » قلت : الربعَ ؟ قـال : « مـاشئتَ وإن زدتَ فهـو خير لـك » قلت : النصفَ ؟ قـال : « مـاشئت وإن زدتَ فهـو خير لـك » قـال : فقلت : الثلثين ؟ قـال : « مـاشئت وإن زدت فهـو خير لك » ، قلت : أجعل لك صلاتي كلها ؟ فقال صلى الله عليـه وسلم : « إذاً تُكفَى همَّـك ويُغفَر لـك ذنبُـك » . قـال الحـافـظ المنـذري : رواه أحمـد والترمذي والحاكم وصححه ، وقال الترمذي : حديث حسن صحيح .

قال المنذري : وفي رواية لأحمد عنـه قـال : قـال رجل يـا رسول الله أرأيتَ إن جعلت صلاتي كلَّهـا عليـك ؟ قـال : « إذاً يكفيـك الله تبـارك وتعالى ماأهمَّك من دنياك وآخرتك » وإسناده جيد .

وقـال المنـذري في معنى قول أبي بن كعب : إني أكثر الصلاة عليـك ، فكم أجعـلُ لـك من صـلاتي ، قـال : معنـاه : أكثر الـدعـاءَ ـ أي أكثر من دعائي ربي وسؤالي إياه ـ فكم أجعلُ لك من دعائي صلاةً عليـك . ا هـ . والمعنى : هل أجعـل ربـع دعـائي صـلاةً عليـك أم نصفـه أم الثلثين ؟ أم أجعل دعائي كلَّه صلاة عليك ؟ صلى الله عليه وسلم .

ومن هذه الأحاديث التي ذكرناها يتضحُ أن هناك عدةً من الصحابـة سألوا النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، ومـا ذاك إلا لاهتمامهم بـالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وإعظامهم لشأنها .

قال الحافظ السخاوي : هذا الحديث أصلٌ عظيم لمن يدعو عقب قراءته فيقول : اجعل ثوابَ ذلك لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال فيه : أجعلُ لك صلاتي كلها ؟ قال : «إذاً تُكْفَى همَّك ..» الحديث .

الفائدة السادسة : أن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم هي سببٌ عظيم في البراءة من النفاق والبراءة من النار :

فعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ صلَّى عليَّ صلاةً واحدة صلى الله عليه بها عشراً ، ومن صلى عليَّ عشراً صلى الله عليه مائة ، ومن صلى عليَّ مائة كتب الله تعالى له بين عينيه براءةً من النفاق وبراءة من النار ، وأسكنه الله يوم القيامة مع الشهداء »[1] .

وهذه مَنْقَبةٌ كبرى وفائدة جلى ، فإن البراءة من النفاق بها يكون كمال الإيمان ، وإن البراءة من النار يكون بها الحفظ من العصيان ، والسكنى مع الشهداء في الجنان بها يكون الرضوانُ الأكبرُ من الرحمن ، جلَّ وعزَّ .

الفائدة السابعة : الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم هي سببٌ عظيم في قضاء الحاجات في الدنيا والآخرة :

روى الحافظ ابن مَنْدَهْ وغيره عن جابر رضي الله عنه قال : قال

---

(١) عزاه الحافظ المنذري إلى الطبراني في الصغير قال : وفي إسناده إبراهيم بن سالم بن شبل الهجيمي ، لاأعرفه بجرح ولا تعديل . ا هـ وقال في (مجمع الزوائد) ١ : ١٦٣ : رواه الطبراني في الصغير والأوسط وقال : فيه إبراهيم بن سالم بن شبل الهجيمي ولم أعرفه ، وبقية رجاله ثقات . ا هـ .

رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من صلى عليَّ كل يوم مائةَ مرةٍ قضى الله له مائة حاجة : سبعين منها لآخرته ، وثلاثين منها لدنياه »[1] .

وروى الحافظ أحمد بن موسى بإسناده عن جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من صلى علي مائة صلاةٍ حين يصلي الصبح قبل أن يتكلم : قضى الله له مائة حاجة ، عجَّل له منها ثلاثين حاجة - أي : في الدنيا - وأخَّر له سبعين ، ومن المغرب مثل ذلك ... »[2] . أي : وبعد صلاة المغرب مثل ذلك .

الفائدة الثامنة : الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم تفتح أبواب الخير وتنفي الفقر :

أخرج أبو نعيم بسنده عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ماأقربُ الأعمال إلى الله تعالى ؟ فقال : « صدقُ الحديث وأداءُ الأمانة » . قال : فقلت يا رسول الله زدنا . فقال : « صلاةُ الليل وصومُ الهواجر » قلت : يا رسول الله زدنا . قال : « كثرةُ الذكر والصلاة عليَّ تنفي الفقر » قلت : يا رسول الله زدنا . قال : « مَن أَمَّ قوماً فليخفِّفْ فإن فيهم الكبيرَ والعليلَ وذا الحاجة »[3] .

---

(1) قال في (جلاء الأفهام) بعد ماأورده : قال الحافظ أبو موسى المديني : هذا حديث حسن . ا هـ .

(2) انظر (جلاء الأفهام) .

(3) في سنده ضعف كما في (جلاء الأفهام) و (الدر المنضود) وغيرهما ، وقال في (القول البديع) : أخرجه القرطبي بلا إسناد من حديث أبي بكر الصديق وجابر بن عبد الله .. إلخ .

وروى البيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً : « مَن قرأ القرآن وحَمِد الرب وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم واستغفر ربه فقد طَلَبَ الخيرَ من مظانّه »[1] .

وعن الحسن البصري مرفوعاً : « مَن قرأ القرآن وحَمِد ربَّه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم فقد التمسَ الخيرَ مِن مظانّه »[2] .

الفائدة التاسعة : الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم هي نور للإنسان على الصراط يوم القيامة :

روى أبو سعيد في كتاب (شرف المصطفى صلى الله عليه وسلم) أنه صلى الله عليه وسلم قال : « صلاةٌ عليَّ نورٌ على الصراط يوم القيامة » .

وروى الديلمي بإسناده عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « زيِّنوا مجالسكم بالصلاة عليَّ ، فإن صلاتكم عليَّ نورٌ لكم يوم القيامة »[3] .

الفائدة العاشرة : أن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم أمانٌ لصاحبها من أهوال يوم القيامة ونجاةٌ له :

فعن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « يا أيها الناس إن أنجاكم يوم القيامة من أهوالها ومواطنها أكثرُكم عليَّ صلاةً في دار الدنيا ، إنه قد كان في الله وملائكته كفايةٌ إذ يقول الله : ﴿ إن الله

---

(١) رواه البيهقي في (الشعب) كما في (القول البديع) .

(٢) انظر (القول البديع) ص ١٣٠ .

(٣) انظر (الفتح الكبير) .

وملائكته يصلُّون على النبي ﴾ الآية ، فأمر بذلك المؤمنين يُثيبُهم »[1] .

الفائدة الحادية عَشْرةَ : أن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم هي سبب عظيم في مغفرة الذنوب ومحو الخطايا :

تقدم في الحديث أن من صلى عليه صلى الله عليه وسلم محيت عنه عشر سيئات ، وفي رواية : حُطَّت عنه عشر خطيئات ، ورُفعت له عشر درجات .

وروى النُّمَيْري وابن بشكوال عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه موقوفاً عليه قال : الصلاةُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمحقُ للخطايا من الماء للنار ، والسلامُ على النبي صلى الله عليه وسلم أفضلُ من عِتق رقبة ، وحبٌّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضلُ من مُهَج الأنفس . أو قال : مِن ضرب السيف في سبيل الله تعالى . قال العلامة ابن حجر الهيتمي : وله حكم المرفوع ؛ إذ مثله لا يُقال من قِبَل الرأي . ا هـ كما في (الدر المنضود) له .

الفائدة الثانيةَ عَشْرةَ : أن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم هي سببٌ عظيم في نزول الرحمة :

روى البزار عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن لله سيّارةً من الملائكة يطلبون حِلَق الذكر ، فإذا أَتَوْا عليهم حَفُّوا بهم ، ثم يقفون وأيديهم إلى السماء إلى رب العزة تبارك وتعالى

---

(١) قال في (القول البديع) : وأخرجه أبو القاسم التيمي في (الترغيب) له والخطيب ـ ومن طريقه ابن بشكوال ـ ا هـ . وأورده الإمام السبكي بإسناده في (الطبقات) .

فيقولون : ربنا أَتَيْنا على عباد من عبادك ، يعظِّمون آلاءَك ، ويَتْلون كتابك ، ويصلون على نبيك محمد صلى الله عليه وسلم ، ويسألونك لآخرتهم ودنياهم ، فيقول الله تبارك وتعالى : غَشُّوهم رحمتي ، فهم الجلساءُ لا يَشقى بهم جليسُهم »[1] .

الفائدة الثالثة عشرة : أن الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم هي سبب عظيم في تيسير السَّيْر على الصراط يوم القيامة :

روى الحافظ أبو موسى المديني وغيره عن عبد الرحمن بن سَمُرَةَ رضي الله عنه قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاتَ يوم ونحن في المسجد ، فقال : « إني رأيتُ البارحةَ عجباً :

رأيت رجلاً من أمتي قد احتوشَتْه[2] ملائكةُ العذاب ، فجاء وضوؤه فاستنقذه من ذلك .

ورأيت رجلاً من أمتي يأتي على النبيين وهم حِلَق حِلَق[3] كلما مرَّ على حَلْقة طُرد ، فجاءه اغتساله من الجنابة ، فأخذ بيده فأجلسه إلى جنبي .

ورأيتُ رجلاً من أمتي قد بُسِط عليه من عذاب القبر ، فجاءته صلاته فاستنقذتْه من ذلك .

---

(١) أورده المنذري في (الترغيب) وذكره في (الدر المنضود) وقال : أخرجه البزار بسند حسن وإن كان فيه راو منكر وآخر ضعيف ، لأن له شواهد مع أنهما قد وثقا . ا هـ .

(٢) أي : أحاطت به الملائكة الموكلون بالتعذيب .

(٣) أي : دوائر دوائر ، كما في (فيض القدير) .

ورأيت رجلاً من أمتي قد احتوشَتْه الشياطينُ ، فجاءه ذكرُ الله تعالى فخلَّصه منهم .

ورأيتُ رجلاً من أمتي يلهثُ عَطَشاً ، فجاء صيام رمضان فسقاه .

ورأيتُ رجلاً من أمتي مِن بين يديه ظلمة ، ومن خلفه ظلمة ، وعن يمينه ظلمة ، وعن شماله ظلمة ، ومن فوقه ظلمة ، ومن تحته ظلمة ، فجاءته حَجتُه وعُمرتُه فاستخرجاه من الظلمة .

ورأيت رجلاً من أمتي جاء ملك الموت ليقبِض روحَه ، فجاءه برُّه بوالديه فردَّه عنه .

ورأيتُ رجلاً من أمتي يكلِّم المؤمنين ولا يكلِّمونه ، فجاءته صلةُ الرَّحِم فقالت : إن هذا كان واصلاً لرَحِمِه ، فكلمهم وكلَّموه وصار معهم .

ورأيت رجلاً من أمتي يتَّقي وَهَج النار بيديه عن وجهه ، فجاءته صدقتُه فصارت ظلاً على رأسه ، وسِتْراً على وجهه .

ورأيتُ رجلاً من أمتي جاءته زَبانيَة العذاب ، فجاءه أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر فاستنقذه من ذلك .

ورأيت رجلاً من أمتي أُهْوي في النار ، فجاءته دموعه اللاتي بكى بها في الدنيا من خشية الله تعالى فأخرجتْه من النار .

ورأيت رجلاً من أمتي قد هوت صحيفته إلى شماله ، فجاءه خوفه من الله تعالى فأخذ صحيفته فجعلها في يمينه .

ورأيت رجلاً من أمتي قد خَفَّ ميزانه ، فجاءه أفراطه[1] فثقّلوا ميزانه .

ورأيتُ رجلاً من أمتي على شفير جهنم ، فجاءه وَجَلُه من الله تعالى فاستنقذه من ذلك .

ورأيت رجلاً من أمتي يرعَدُ كما ترعَدُ السَّعْفة[2] ، فجاءه حسنُ ظنِّه بالله تعالى فسكَّن رِعْدَتَه .

ورأيت رجلاً من أمتي يزحف على الصراط مرةً ويحْبو مرة ، فجاءته صلاته عليَّ فأخذتْ بيده فأقامتْه على الصراط حتى جاز .

ورأيت رجلاً من أمتي انتهى إلى أبواب الجنة ، فغُلِّقت الأبواب دونه ، فجاءته شهادة أن لا إله إلا الله فأخذتْ بيده فأدخلته الجنة »[3] .

---

(١) جمع فرط ـ بفتح الفاء والراء ـ وهو الولد الصغير يموت قبل والديه .

(٢) السعفة : غصن النخل .

(٣) أورده في (الجامع الصغير) وعزاه إلى الحكيم الترمذي والطبراني ، وقال الشارح المناوي : وكذا أخرجه الديلمي والحافظ أبو موسى المديني وغيرهم ، قال : وعزاه الحافظ العراقي إلى الخرائطي في الأخلاق . قال : وسنده ضعيف اهـ . وقال الحافظ الهيثمي في (مجمع الزوائد) : رواه الطبراني بإسنادين في أحدهما سليمان بن أحمد الواسطي ، وفي الآخر خالد بن عبد الرحمن المخزومي ، وكلاهما ضعيف . وقال في (الدر المنضود) : أخرجه جمع من طرقٍ بعضها حسن عن عبد الرحمن بن سمرة ، ثم ذكر الحديث ، وقال الحافظ أبو موسى المديني : إنه حديث حسن جداً ، كما نقل ذلك في (سعادة الدارين) وغيره ، ومن المقرر في علم الحديث أن كثرة الطرق تشد عزم الضعيف وتقويه ، وربما صار حسناً لغيره ، كما هو مقرر في موضعه ، وقال الحافظ السخاوي : رواه الطبراني في الكبير ، والديلمي في (مسند الفردوس) وابن شاذان في (مشيخته) مطولاً ، قال : وهو عند أبي موسى المديني في (الترغيب) وقال الرشيد العطار : هذا أحسن طرقه ، وأخرجه التيمي وغيره . اهـ ملخصاً .

الفائدة الرابعةَ عَشْرَة : أن الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم هي سببٌ لعَرْض اسم المصلِّي على النبي صلى الله عليه وسلم ، وذكر اسمه في حضرته الشريفة :

روى البزار عن عمار بن ياسر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله تعالى وكَّل بقبري مَلَكاً أعطاه أسماء الخلائق ، فلا يصلِّي عليَّ أحد إلى يوم القيامة إلا أبلغني باسمه واسم أبيه : هذا فلان بن فلان قد صلَّى عليك » .

قال الحافظ المنذري : رواه أبو الشيخ وابن حبان ولفظه : قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن لله تبارك وتعالى مَلَكاً أعطاه الله أسماع الخلائق ، فهو قائم على قبري إذا مِتُّ فليس أحدٌ يصلِّي علي إلا قال : يا محمد صلى عليك فلان بن فلان ، قال : فيصلي الربُّ تبارك وتعالى على ذلك الرجل بكل واحدة عشراً »[1] .

ورواه الطبراني في الكبير بنحو هذه الرواية ، وبرواية ثانية بلفظ[2] : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن لله مَلَكاً أعطاه الله سَمْع العباد فليس من أحدٍ يُصلِّي عليَّ إلا أَبْلَغَنيها ، وإني سألتُ ربي أن لا يصلي عليَّ عبدٌ صلاة إلا صلى عليه عَشْرُ أمثالها »[3] .

---

(١) انظر هذه الرواية في شرح المناوي على (الجامع الصغير) أيضاً .

(٢) أورد هذه الرواية في (الجامع الصغير) .

(٣) قال الحافظ الهيثمي : فيه نعيم بن ضمضم ضعيف ، وابن الحميري لم أعرفه ، وبقية رجاله رجال الصحيح . ا هـ من (فيض القدير) ٢ : ٤٨٣ . وفي رواية السبكي كما في (الطبقات) زيادة : « وإن الله عز وجل أعطاني ذلك » .

ويكفي العبدَ المسلمَ شرفاً ونُبلاً وكرامة وفضلاً أن يُذكر اسمُه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد جاء في هذا المعنى قول بعضهم :

ومَنْ خَطَرتْ منه ببالكَ خَطْرةٌ حقيقٌ بأن يسمو وأن يتقدَّما

وقال الآخر :

أهلاً لمنْ لم أكنْ أهلاً لموقعه قولُ المبشِّر بعد اليأس بالفَرَجِ
لك البشارةُ فاخلعْ ماعليكَ فقد ذُكِرتَ ثَمَّ على مافيك من عِوَجِ

الفائدة الخامسةَ عَشْرة : الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم هي سببٌ عظيم في زيادة محبة العبد للنبي صلى الله عليه وسلم ، وفي سبب محبته صلى الله عليه وسلم لمن يصلِّي عليه :

روى الترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أَولى الناسِ بي يوم القيامة أكثرُهم عليَّ صلاةً » . رواه ابن حبان في صحيحه .

فأولى الناسِ بحبِّه صلى الله عليه وسلم وبقربِه وبشفاعته الخاصة صلى الله عليه وسلم هو أكثرُهم عليه صلاةً .

ومِن مذهبي حبُّ النبيِّ وآلِهِ وللناسِ فيما يَعشقون مذاهبُ

الفائدة السادسةَ عَشْرة : أن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم هي سببٌ في تذكير المنْسيِّ :

روى الديلمي عن عثمان عن أبي حرب الباهلي مرفوعاً : « من أراد أن

يُحَدَّث بحديث فنسيه فليصل عليَّ ، فإن في صلاته عليَّ خَلَفاً في حديثه ، وعساه أن يذكره » .

الفائدة السابعةَ عَشْرةَ : أنَ الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم هي سببٌ لدخول صاحبها تحت ظل العرش يوم القيامة :

روى الديلمي عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً : « ثلاثٌ تحتَ ظلِّ العرش يوم القيامة : مَن فرَّج عن مكروب من أمتي ، وأحيا سنتي ، وأكثر الصلاة عليَّ »[1]

الفائدة الثامنةَ عَشْرةَ : الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم يَعُمّ خيرُها ونورُها لجميع المسلمين والمؤمنين :

أخرج ابن حبان في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « أيُّما رجلٍ من المسلمين لم يكنْ عنده صدقةٌ فليقل في دعائه : اللهم صلِّ على محمد عبدك ورسولك وصل على المؤمنين والمؤمنات ، والمسلمين والمسلمات : فإنها زكاة » وقال صلى الله عليه وسلم : « لا يشبع مؤمن خيراً حتى يكون منتهاه الجنة »[2] وقد تقدم .

وفي رواية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أيُّما رجل كسَبَ مالاً من حلال فأطعم نفسَه وكساها ـ أي من المال ـ فمن دونه[3] من خلق الله

---

(١) انظر شرح الزرقاني على الموطأ والدر المنضود وعزاه بعضهم لفوائد الخلعي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه كما أفاد الحافظ السخاوي .

(٢) قال الحافظ المنذري : رواه ابن حبان في صحيحه من طريق درَّاج عن أبي الهيثم . ا هـ . وقال في (الدر المنضود) : إسناده حسن ا هـ .

(٣) قال العلامة المناوي : أي أطعم وكسا منه مَن دون نفسه من عياله وغيرهم . ا هـ .

تعالى فإنها له زكاة ، وأيُّما رجل مسلم لم تكن له صدقة فليقل في دعائه : اللهم صل على محمد عبدك ورسولك ، وصلِّ على المؤمنين والمؤمنات ، والمسلمين والمسلمات ، فإنها له زكاة[1] » أي : هي نماء وبركة وطهارة لقائلها .

الفائدة التاسعةَ عشْرةَ : الصلاةُ على النبي صلى الله عليه وسلم هي سببٌ عظيم في إجابة الدعاء :

روى الحافظ عبد الرزاق بإسناده عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : إذا أراد أحدكم أن يسأل اللهَ تعالى فليبدأْ بحمده والثناء عليه بما هو أهلُه ، ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم يسأل بعد فإنه أجدر أن ينجح أو يصيب[2] .

الفائدة العشرون : الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم سببٌ في نيل الثواب العظيم المضاعف :

عن أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه مرفوعاً : « قال مَن صلى عليَّ صلاة كتب الله له قيراطاً ، والقيراطُ مثلُ أحد »[3] .

قال العلامة المناوي في شرح هذا الحديث : أي مثل جبل أُحد في

(١) هذا لفظ رواية (الجامع الصغير) معزواً لابن حبان والحاكم وأبي يعلى . وقال المناوي : قال القسطلاني : وهو مختلف فيه لكن إسناده حسن اهـ . وقال المناوي : فاستفدنا - أي من هذا الحديث - أن الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم تقوم مقام الصدقة لذي العسرة ، وإنها سبب لبلوغ المآرب وإفاضة المطالب وقضاء الحاجات في الحياة وبعد الممات . اهـ .

(٢) قال الحافظ السخاوي : أخرجه أبو علي بن البنا والديلمي في مسند الفردوس اهـ .

(٣) عزاه في (الجامع الصغير) لعبد الرزاق في الجامع رامزاً لحسنه اهـ .

عِظَم القَدْر ، وهذا يستلزم دخول الجنة ، لأن مَن لا يدخلها لا ثواب لـه ، قال : والمراد بالقيراط هنا نصيب من الأجر ، وهو من مجاز التشبيه ، شبَّه المعنى العظيم بالجسم العظيم ، وخصَّ القيراط بالذكر لأنه غالب مـا تقع بـه المعاملة إذ ذاك كان به ، فالمراد تعظيم الثواب ، فمَثَّل للعيان بأعظم الجبال خلقاً وأكثرها إلى النفوس المؤمنـة حبـاً ـ وهو جبل أُحُـد ـ قـال : ويمكن كونه حقيقةً .

قال عبد الله : وهو الحقُّ الذي عليه أهل الحقيقة ، بـأن يجعل الله تعـالى عمله يوم القيامة جِسماً ـ أي مثالياً ـ قدر أُحُد يوزن . كذا قرروه . ا هـ .

وهذا يرجع بحثه إلى عالم المثال الذي تكلمنا عليه في كتابنـا (الإيمـان بـالملائكـة عليهم السلام) ، وذكرنـا هنـاك نصـوص الحجـج من الكتـاب والسنة الدالة على أن هناك عـالمـاً يسمى عـالَمَ المثـال ، وهو عـالم واسع كل السَّعَة تتمثل فيه المحسوسات والمعنويـات والمعقولات ، والأشبـاح والأرواح على اختلاف مراتبها وأصنافها ، فارجع إليه تجد فيه خيراً كثيراً ، وعرفاناً كبيراً .



الإكثار من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في الأحوال كلها

ينبغي للمسلم أن يكثر من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في جميع أحواله مااستطاع ، فإن في الإكثار منها والمواظبة عليها خيراً كثيراً وفضلاً كبيراً :

روى الإمام أحمد عن أبي بن كعب رضي الله عنه أنه قال : قال رجل : يارسول الله أرأيت إن جعلت صلاتي كلها عليك - أي : ماذا يكون من الأجر إن جعلت دعائي كله صلاة عليك - ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : « إذاً يكفيك الله تبارك وتعالى ما أهمَّك من دنياك وآخرتك »[1] .

وعن محمد بن يحيى بن حَيَّان عن أبيه عن جده رضي الله عنه أن رجلاً قال : يا رسول الله : أَجعلُ ثلثَ صلاتي عليك ؟ قال صلى الله عليه وسلم : « نعم إن شئت » ، قال : الثلثين ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : « نعم إن شئت » ، قال : فصلاتي كلها ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إذاً يكفيك الله تعالى ما أهمَّك من أمر دنياك وآخرتك »[2] .

وقد تقدم حديث أبي بن كعب رضي الله عنه حيث قال : أجعلُ

---

(١) قال الحافظ المنذري : إسناده جيد .اهـ .

(٢) قال المنذري : رواه الطبراني بإسناد حسن . اهـ .

لـك صلاتي كلها يـا رسول الله ؟ فقـال صلى الله عليـه وسلم : « إذاً تُكْفى همَّك ويُغفَر ذنبُك » .

وفي هذا دليلٌ على أن عدَّةً من الصحـابـة سـألوا النبيَّ صلى الله عليـه وسلم عن ذلك ، فأجابهم بمـا يحملهم ويحثُّهم على الإكثـار من الصلاة عليـه صلى الله عليه وسلم ماﺍستطاعوا .

ولذلك كان الصحابـة رضي الله تعـالى عنهم يكثرون من الصلاة عليـه صلى الله عليه وسلم في جميع الأحوال .

فقـد روى ابن أبي شيبـة في (المصنف) لـه عن أبي وائـل قـال : ماشهدتُ عبد الله ـ أي ابن مسعود في مجمع ولا مأدبة فيقومُ حتى يحمَـدَ الله تعالى ويصلِّي على النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : وإنْ كان ـ أي : وإنه كان ـ مما يَتْبَعُ أغفلَ مكانٍ في السوق فيجلسُ فيه فيحمدُ الله تعالى ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم .

والمراد أنه كان يفعل ذلك معلناً به ، لينبِّه الغافلَ ويعلِّمَ الجاهل .

وروى أبو نعيم وابن بَشْكُوال عن سفيـان الثوري رحمـه الله تعـالى أنـه قال : بينما أنا حـاجٌّ إذ دخل عليَّ شـاب لا يرفع قـدمـاً ولا يضع أخرى إلا وهو يقول : اللهم صلِ على محمد وعلى آل محمد .

فقلت له : أبعلم تقول هذا ؟ .

فقال : نعم ، ثم قال : مَن أنتَ ؟

قلتُ : سفيان الثوري .

قال : العراقي ؟ قلت : نعم .

فقال : هل عرفتَ الله تعالى ؟ قلت : نعم .

قال : كيف عرفتَه ؟ . قلت: بأنه يُولج الليل في النهار ، ويُولج النهار في الليل ، ويصوّر الولدَ في الرَّحِم .

فقال : ياسفيان ماعرفتَ اللهَ حقَّ معرفتِه ! ! .

قلت : وكيف تعرفه ؟ - أي : كيف تعرفه أنت - .

قال : بفسخ العزائم والهمم ، ونقض العزيمة ، هممتُ ففسخ همتي ، وعزمتُ فنقض عزمي ، فعرفت أن لي رباً يدبِّرُني .

قال : قلت : صلواتك على النبي صلى الله عليه وسلم ؟ - أي : ماسبب إكثارك منها - .

فقال : كنتُ حاجاً ومعي والدتي ، فسألتني أن أدخلها البيت المعظم ، فوقعت وتورَّم بطنها واسودّ وجهها - أي : من شدة الألم والمرض - ، قال : فجلست عندها وأنا حزين ، فرفعت يديَّ نحو السماء ، فقلت : يارب هكذا تفعلُ بمن دخل بيتك ؟ قال : فإذا أنا بغمامة قد ارتفعت من قِبَل تهامة ، وإذا رجل عليه ثيابٌ بيضٌ ، فدخل البيت وأمرَّ يده ، على وجهها فابيضَّ ، وأمر يده على بطنها فابيضَّ ، فسكن المرض ، ثم مضى ليخرج فتعلقت بثوبه ، فقلت : مَن أنت الذي فرجتَ عني ؟

فقال : « أنا نبيك محمد صلى الله عليه وسلم » .

فقلت : يارسول الله فأوصني .

فقال صلى الله عليه وسلم : « لا ترفعُ قدماً ولا تضعُ أخرى إلا وأنت تصلي على محمد وعلى آل محمد »[1] . صلى الله عليه وسلم أبداً .

---

(١) انظر (القول البديع) ص ٢٤٠ .

ما جاء في فضل الإكثار من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم

لقد جاءت الأحاديث النبوية تبيّن فضل المكثرين من الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم، نذكر جملة منها :

أولاً - أن أولى الناس بشفاعته الخاصة هم أكثرُهم عليه صلاةً ، كما تقدم في الحديث عنه صلى الله عليه وسلم : « أولى الناس بي يوم القيامة أكثرُهم عليّ صلاةً » .

ثانياً - أن المكثر من الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم يلقى ربَّه وهو عنه راضٍ .

فعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من سرَّه أن يَلقى اللهَ راضياً فليكثِر الصلاةَ عليَّ »[1] .

ثالثاً - أن المكثر من الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم هو في ظلّ عرش الله تعالى يوم لا ظلَّ إلا ظلُّه .

عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ثلاثةً تحتَ ظل عرشِ الله يوم القيامة يوم لا ظلَّ إلا ظلُّه » قيل : مَن هم

(١) قال في (القول البديع) أخرجه الديلمي في (مسند الفردوس) وابن عدي في (الكامل) وأبو سعيد في (شرف المصطفى صلى الله عليه وسلم) وسنده ضعيف . اهـ .

يـا رسـول الله ؟ قـال : « مَن فرَّج عن مكروب من أمتي ، وأحيـا سنتي ، وأكثر الصلاةَ عليَّ » صلى الله عليه وسلم كثيراً[1] .

رابعاً ـ من أكثر من الصلاة عليـه صلى الله عليـه وسلم كان لـه شفيعـاً وشهيداً :

فعن أبي هريرة رضي الله عنــه عن النبي صلى الله عليــه وسلم قــال : « مَن صلَّى عليَّ عشراً صلى الله عليه مائـةً ، ومن صلى عليَّ مـائـة صلى الله عليـه ألفـاً ، ومن زاد صَبَـابـةً وشـوقـاً كنت لـه شفيعـاً وشهيـداً يـوم القيامة »[2] .

ويشهد لهذا الحديث ما رواه البيهقي عن أنس رضي الله عنـه أن النبي صلى الله عليـه وسلم قـال : « أكثروا من الصلاة عليَّ في يـوم الجمعـة وليلـة الجمعة ، فَمَنْ فعل ذلك كنت له شهيداً وشفيعاً يوم القيامة » .

خـامسـاً ـ أن المكثر من الصلاة عليـه صلى الله عليـه وسلم أقربُهم منـه منزلةً :

فعن أبي أُمـامـة رضي الله عنــه عن النبي صلى الله عليــه وسلم قــال : « أكثروا من الصلاة عليَّ في كل يوم جمعة ، فـإن صلاة أمتي تُعرَضُ عليَّ في كل يـوم جمعـة ، فمن كان أكثرُهم عليَّ صـلاةً كان أقربَهم مني منزلـةً » رواه البيهقي بإسناد حسن كما تقدم .

---

(١) رواه الديلمي عن أنس ، والخلعي في (فوائـده) عن أبي هريرة رضي الله عنـه ، كما في (القول البديع) و (شرح الموطأ) وغيرهما .

(٢) قال الحافظ السخاوي : أخرجه أبو موسى المديني بسندٍ قال الشيخ مغلطـاي : لا بـأس به . اهـ .

سادساً ـ أن المكثر من الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم يستكثرُ من صلوات الله تعالى وصلوات ملائكته عليه :

فعن عامر بن ربيعة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب ويقول : « مَن صلَّى علي صلاةً لم تَزَلِ الملائكةُ تصلي عليه ما صلى عليَّ ، فَلْيُقِلَّ عبدٌ من ذلك أو لِيُكْثِرْ » . قال المنذري : رواه أحمد وابن أبي شيبة وابن ماجه ، وهذا الحديث حسن في المتابعات[1] . اهـ .

وقد روى ابن شاهين وابن بشكوال وابن جرير الطبريُّ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَن صلَّى عليَّ صلاةً صلى الله عليه بها عشر صلوات ، فليقلَّ عبدٌ أو ليكثْر » . كما في (القول البديع) .

سابعاً ـ أن الإكثار من الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم هو الدليلُ الصادقُ على محبة النبي صلى الله عليه وسلم ، لأن مَن أحب شيئاً أكثر من ذِكْره ، ومَن أحبَّ امرأ أكثر من ذكر محاسنه ، وسعى جَهده في التقرب إليه ، وتحصيل كل ما يرضيه ويُدخل السرور عليه .

اللهم اجعلنا من المحبين الصادقين لحبيبك الأكرم صلى الله عليه وسلم ، فضلاً منك ونعمة ، بلا ابتلاءٍ ولا محنة .



(١) وقال السخاوي : رواه الطيالسي والبزار وأبو نعيم قال : وحسن شيخنا ـ أي ابن حجر ـ هذا الحديث اهـ .

جملةٌ من ثواب الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم

إن ثوابَ الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم عند الله تعالى كبيرٌ وأجرَها عظيمٌ ، وقد ذكر العلماء المحققون جُملاً من ثواب الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم تعداداً لها إثر بعضها ، لتنشط الهمم ، وتتحرك العزائم ، وتتوجَّه النيات إلى الإكثار من الصلوات عليه صلى الله عليه وسلم .

فمن ذلك ما جاء في (القول البديع) (وجلاء الإفهام) (والدر المنضود) وغير ذلك ، وقد تقدمت الأدلة عليها مفصَّلة .

فمن الثواب المرتّب على الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم :

أن الله تعالى الكبير المتعال يصلي على من يصلي عليه صلى الله عليه وسلم ، وقد قال العارفون رضي الله عنهم : لو أن إنساناً أراد أن يحيط علماً بنور صلاةٍ واحدة من صلوات رب العالمين لما استطاع ذلك .

وأن النبي صلى الله عليه وسلم هو أيضاً يصلّي على من يصلي عليه صلى الله عليه وسلم .

وأن ملائكة الله تعالى يصلون على من يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم .

وبها تكفيرُ الخطيئات ، ورفعُ الدرجات ، ومغفرةُ الذنوب ، وتزكيةُ الأعمال ، واستغفارها لقائلها ، وكتابة قيراط له مثل أُحُد من الأجر ، وبها الكيل بالمكيال الأوفى ، وكفاية هم الدنيا والآخرة لمن أكثر منها ، وبها مَحْو الخطايا ، وفضلها على عتقِ الرقاب ، وبها النجاة من الأهوال ، وشهادة الرسول صلى الله عليه وسلم بها .

ووجوبُ الشفاعة ، ورضى الله تعالى ورحمتُه والأمانُ من سخطه ، والدخولُ تحتِ ظل العرشِ ، وبها رُجْحان الميزان ، وورود الحوض ، والأمان من العطش ، والعِتق من النار ، والجَوَاز على الصراط ، ورؤية المقعد المقرّب من الجنة قبل الموت ، وكثرة الأزواج في الجنة .

وقيامُها مقام الصدقة للمعسر ، وهي زكاة وطهارة ، وينمو المال ببركتها ، وبها تنقضي من الحوائج مائةٌ بل أكثر ، وإنها عبادة ، وبها تزيينُ المجالس ونورُها ، وبها يُنْفى الفقر وضيق العيش ، ويلتمس بها مظانّ الخير ، وبها يَنْتفع المصلي عليه صلى الله عليه وسلم وولدُه وولدُ ولدُه ، وبها يتقرَّب إلى الله عز وجل وإلى رسوله ، ويكون أولى الناس به صلى الله عليه وسلم أكثَرهم عليه صلاة .

وإنها نورٌ لصاحبها ، وبها يُنْتَصر على الأعداء ، وبها يَطهُر القلب من النفاق ومن الصدأ ، وهي سببٌ عظيم لمحبة الناس لصاحبها ، وهي سبب عظيم لرؤية النبي صلى الله عليه وسلم في المنام ، وهي تمنعُ من اغتياب صاحبها ، وهي من أبرك الأعمال وأفضلها وأكثرها نفعاً في الدين والدنيا ، وهي سببٌ لطيب المجلس وأن لا يعود حسرةً على أهله يوم القيامة .

وهي تنفي عن العبد اسمَ البخل إذا صلى عليه صلى الله عليه وسلم حين يُذْكَر ، وبها ينجو العبد من الدعاء عليه برَغام أنفه إذا تركها عند ذكره ، وبها يَهْتدي صاحبها إلى طريق الجنة كما أن تاركها يخطئ طريق الجنة ، وهي سببٌ لتمام الكلام الذي ابتدئ بحمد الله تعالى والصلاة على رسوله صلى الله عليه وسلم ، وبها يخرج العبد من الجفاء .

قال ابن القيم رحمه الله تعالى : وإنها سبب لإبقاء اللهِ سبحانه الثناءَ الحسنَ للمصلي عليه بين أهل السماء والأرض ، لأن المصليَ عليه صلى الله عليه وسلم طالبٌ من الله تعالى أن يُثْنيَ على رسوله ويكرمه ويُشرّفه ، والجزاء من جنس العمل فلابد أن يحصل للمصلي نوع من ذلك .

وإنها سبب للبركة في ذات المصلي عليه صلى الله عليه وسلم وعمله وعمره وأسباب مصالحه ، لأن المصلي عليه صلى الله عليه وسلم داعٍ إلى ربه أن يبارك عليه وعلى آله صلى الله عليه وسلم ، وهذا الدعاءُ مستجابٌ والجزاء من جنسه .

وهي سبب عظيم لدوامِ محبة النبي صلى الله عليه وسلم وزيادتها وتَضاعُفها ، ولا ريبَ أن محبته صلى الله عليه وسلم هي عقدٌ من عقود الإيمان الذي لا يتم إلا به ، لأن العبد كلما أكثر من ذكر المحبوب واستحضاره في قلبه محاسنه ومعانيه الجالبة لحبّه : تَضَاعفَ حبُّه له ، وتزايد شوقُه إليه ، واستولى على جميع قلبه ، وإذا أعرض عن ذكره وإحضاره وإحضارِ محاسنه بقلبه : نقص حبُّه من قلبه .

ولا شيءَ أقرّ لعين المحب من رؤية محبوبه ، ولا أقرَّ لقلبه من ذكره وإحضار محاسنه ، فإذا قوي هذا في قلبه جرَى لسانه بمدحه والثناء عليه

وذكر محاسنه ، وتكون زيادَةُ ذلك ونقصانُه بحسب زيادة الحب ونقصانه في قلبه ، والحِسُّ شاهدٌ بذلك كما قيل :

عجبتُ لمن يقول : ذكرتُ حبِّي وهل أنسى فأذكرَ ما نسيتُ

كما أن الصلاةَ عليه صلى الله عليه وسلم هي سببٌ لمحبته للعبد ، فإنها إذا كانتْ سبباً لزيادة محبةِ المصلي عليه له فكذلك هي سببٌ لمحبته صلى الله عليه وسلم للمصلي عليه .

وهي أيضاً سببٌ عظيم لهداية العبد وحياة قلبه ، فإنه كلما أكثر الصلاةَ عليه صلى الله عليه وسلم وذكره استولَت محبتُه على قلبه حتى لا يبقى في قلبه معارضةٌ لشيء من أوامره صلى الله عليه وسلم ، ولا شكٌ في شيء مما جاء به ، بل يصيرُ ما جاء به صلى الله عليه وسلم مسطوراً في قلبه ، لا يزال يقرأه على تعاقب أحواله ، ويقتبسُ الهدى والفلاحَ وأنواعَ العلوم منه ، جعلنا الله تعالى منهم ، فضلاً منه ونعمة .

كما أن الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم هي سببٌ لعرض اسم المصلي عليه صلى الله عليه وسلم ، وسبب لذِكره عنده كما تقدم قوله صلى الله عليه وسلم : « إن صلاتكم معروضةٌ عليَّ » وقوله صلى الله عليه وسلم : « إن لله ملائكةً سياحين في الأرض يبلِّغوني عن أمتي السلام » . وكفى بالعبد شرفاً ونبلاً أن يذكر اسمه بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

كما أن الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم هي متضِّمنة لذكر الله تعالى وشكره ومعرفة إنعامه على عبيده بإرساله ، فالمصلي عليه صلى الله عليه وسلم قد تضمنتْ صلاته عليه : ذكرَ الله تعالى وذكرَ رسوله ، وسؤاله أن يجزيه بصلاته عليه ما هو أهله صلى الله عليه وسلم .

هذا وإن الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم من العبد هي دعاؤه ربَّه وسؤالُه بأن يُثني هو سبحانه على حبيبه صلى الله عليه وسلم ، ويزيدَ في تشريفه وتكريمه ورفعة ذكره ، ولا ريبَ أن الله تعالى يحبُّ ذلك ، ورسولَه صلى الله عليه وسلم يحبُّ ذلك أيضاً ، فالمصلي عليه صلى الله عليه وسلم قد صرف رغبته وسؤاله وطلبه إلى محابِّ الله تعالى ورسوله ، وآثر ذلك على طلبه حوائجَه ومحابَّه ، بل كان هذا المطلوبَ عنده من أحبِّ الأمور إليه وآثرها عنده ؛ فقد آثر ما يحبُّه الله ورسوله ، وآثر اللهَ تعالى ومحابَّه على ما سواه ، فالجزاء من جنس العمل ، وذلك أن من آثر الله تعالى على غيره آثره الله على غيره . اللهم آمين .

ومن فوائد الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم : أنها سببٌ في سَعَة العيش وبركة المعاش ويُسره ، فقد روى أبو موسى المديني عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فشكا إليه الفقر وضيق العيش والمعاش ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا دخلتَ منزلك فسلِّم إنْ كان فيه أحدٌ ، أو لم يكن فيه أحد ، ثم سلِّم عليَّ ، واقرأ ﴿ قل هو الله أحد ﴾ مرةً ، ففعل الرجل ، فأدرَّ الله تعالى عليه الرزق حتى أفاض على جيرانه وقراباته » وقد تقدم هذا الحديث فيما سبق .

قال الحافظ السخاوي بعد ما أورد هذا الحديث ، قال : وحكى أبو عبد الله القسطلاني رحمه الله تعالى أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فشكا إليه الفقر ، فقال له : « قل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، وهَبْ لنا اللهم من رزقك الحلالِ الطيبِ المبارك ما نصون به وجوهنا عن التَّرضِ إلى أحد من خلقك ، واجعل لنا اللهم إليه طريقاً سهلاً من غير تعب ولا

نَصَب ولا منَّةٍ ولا تبَعةٍ ، وجنِّبْنـا اللهم الحرامَ حيثُ كان وأين كان وعنـد من كان ، وحُلْ بيننا وبين أهله واقبضْ عنا أيديَهم ، واصرف عنـا قلوبهم حتى لانتقلَّب إلا فيما يُرضيــك ، ولا نستعينَ بنعمتــك إلا على مــا تحبُّ ياأرحم الراحمين » .

وروى الديلمي في مسنـد الفردوسَ عن عبـد الله بن عبـاس رضي الله عنهما مرفوعاً : « اللهم إني أسألـك يـاالله ، يـا رحمنُ ، يـا رحيمُ ، يـا جـارَ المستجيرين ، ياأمَنَ الخائفين ، ياعمادَ من لاعمادَ له ، ياسندَ من لاسندَ له ، ياذُخْرَ من لاذُخر له ، يـاحِرزَ الضعفـاء ، يـاكنز الفقراء ، يـاعظيم الرجـاء ، يـامُنقـذَ الهلكى ، يــامنجيَ الغرقى ، يــامحسنُ ، يــامُجْمِـلُ ، يامنعم ، يامفضِّل ، ياعزيز ، يا جبَّار ، يامنير ، أنت الـذي سَجَـدَ لـك سوادُ الليل وضـوءُ النهـار وشعـاع الشمس وحفيف الشجر ، ودويُّ المـاء ، ونور القمر ، ياالله ، أنت الله ، لاشريك لك ، أسألك أن تصليَ على محمد عبدك ورسولك وعلى آل محمد »[1] .



(١) كذا في (سعادة الدارين) .

بلوغ الصلاة للنبي صلى الله عليه وسلم وعَرْضُها عليه فوراً

عن الحسن بن علي رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « حيثما كنتم فصلُّوا عليَّ ، فإن صلاتكم تَبْلُغني »[1] .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ صلى عليَّ بلغتني صلاته ، وصليت عليه ، وكُتِبَ له سوى ذلك عشرُ حسنات »[2] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لاتَجعلوا بيوتَكم قبوراً ، ولا تجعلوا قبري عيداً ، وصلُّوا علي فإن صلاتكم تبلُغني حيثما كنتم »[3] .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن لله ملائكةً سيَّاحينَ في الأرض يبلِّغوني عن أمتي السلامَ » .

فهو صلى الله عليه وسلم تبلُغه صلاةُ مَن يصلِّي عليه ، كما روى أبو داود وأحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن رسول الله صلى الله

---

(١) قال الحافظ المنذري : رواه الطبراني في الكبير بإسناد حسن . ا هـ .

(٢) قال المنذري : رواه الطبراني في الأوسط بإسناد لابأس فيه . ا هـ .

(٣) رواه أبو داود في سننه ا هـ كما في (الفتح) وغيره .

عليـه وسلم قـال : « مـا مِن أحـدٍ يُسلِّم عليَّ إلا ردَّ الله إليَّ روحي حتى أردَّ عليه السلام »[1] .

فأكرِمْ وأنعِمْ بمن يصلِّي على النبي صلى الله عليـه وسلم فيصلِّي عليـه ، وبمن يسلِّم على النبي صلى الله عليـــه وسلم فيردُّ الســلامَ عليـــه صلى الله عليه وسلم .

وفي هــذا كلِّــه دليـلٌ على أنــه صلى الله عليــه وسلم هـو حيٌّ في قبره الشريف حياةً أكملَ وأعظمَ من حيـاة الـدنيـا ، وقـد جمع الإمـام البيهقيُّ جـزءاً في (حيـاة الأنبيـاء في قبـورهم) واستـدلَّ بكثيرٍ من الأحــاديث ، ومنها ما رواه مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مررتُ بموسى ليلةَ أُسريَ بي عند الكثيبِ الأحمر وهو قائم يصلي في قبره » ، وحديث اجتماعـه بـالأنبيـاء ليلـة الإسراء ، وقولُـه صلى الله عليـه وسلم : « فحـانَتِ الصلاةُ فـأمَمْتُهم » ـ أي : صلى بهم إمـامـاً ـ . وحـديث : « الأنبيــاء أحيــاءٌ في قبورهم يصلُّون » .

وروى الدارمي في (مسنـده) أن الأذان والإقـامـة تُركا أيـام الحَرَّة ، وأن سعيـد بن المسيب لم يَبْرَحْ مقيمـاً في المسجــد النبـوي ، فكان لا يَعرفُ وقتَ الصـلاة إلا بهمهمـة يسمعهـا من قبره الشريف صلى الله عليـه وسلم ، وقد روى هذه القصة غير الـدارمي بـأسـانيـد متعـددة ، ومنهم أبو نعيم في

---

(١) قـال العلامـة ابن علان نقـلاً عن السيـوطي : لفـظ أبي داود : « ردَّ الله عليَّ » ولفـظ رواية البيهقي وأحمد : « ردَّ الله إلي » بالهمزة بدل العين ، وهو ألطف وأنسب ا هـ . وقـال الحـافـظ السخـاوي : ورواه الطبراني والبيهقي بإسنــاد حسن ، بـل صححـه النووي .

(الـدلائـل) وابن سعـد في (الطبقــات) والـزبير بن بكار في (أخبــار المدينة) .

وروى أبو يعلى عن أبي هريرة رضي الله عنه قـال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « والذي نفسي بيـده لَيَنْزِلَنَّ عيسى بنُ مريم ، ثم لئِنْ قام على قبري فقال : يا محمد ، لأُجيبنَّـه » . انظر زوائـد المسـانيـد وغيرها .

وعن أبي هريرة رضي الله عنــه قــال : قــال رسـول الله صلى الله عليه وسلم : « من صلَّى عليَّ عند قبري سمعتُه ، ومن صلَّى عليَّ نائياً ـ أي بعيداً ـ أُبْلِغْتُه » رواه البيهقي كما في (الفتح) ورواه أبو الشيخ في (كتاب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم) بلفظ : « ومَنْ صلَّى عليَّ من بعيـد أُعلمته » وسيأتي تمام الكلام على هذا الحديث .

وأمـا الحـديث السـابـق عن أبي هريرة ، وفيـه قـولـه صلى الله عليه وسلم : « مـامِن أحـدٍ يُسلم علي إلا رد الله إلي روحي حتى أردَّ عليـه السـلام » صلى الله عليـه وسلم : فقـد قـال السُّبْكيُّ : إن روحـه الشريفـة صلى الله عليـه وسلم مشتغلـةٌ بشهود الحضرة الإلّهيـة والملأ الأعلى عن هـذا العـالم ـ أي : لأنـه صلى الله عليـه وسلم كان آخرَ كـلامــه « اللهم الرفيـق الأعلى » ـ فإذا سُلِّم عليه صلى الله عليـه وسلم تتوجّـه روحُـه الشريفـة إلى هـذا العـالَم لتُـدركَ سلامَ من يُسلِّمُ عليـه ، وتَرُدَّ عليـه ، ولا يلـزمُ عليـه استغراقُ الزمـان كلِّـه في ذلـك ، نظراً لاتصـال الصـلاة والسـلام عليـه في أقطار الأرض ، لأن أمور الآخِرة لاتدرك بـالعقل ـ أي العقل المحصور في عالم الدنيا ـ قال : وأحوال البرزخ أشبهُ بأحوال الآخرة . ا هـ .

نعم إن إقبالَه صلى الله عليه وسلم على المصلِّين والمسلِّمين عليه لا يَشْغَلـه عن توجهه إلى رب العزة ، وعن استغراقه بشهود الحضرة الإلَهية ، فإن الملأ الأعلى لا ينقاس بالملأ الأدنى ، وقد أخبر الله تعـالى عن حَمَلـة العرش ومَن حوله من الملأ الأعلى أنهم مستغرقون في تسبيح الله تعـالى وتحميـده ، ومع ذلـك فـإنهم يستغفرون لعبـاد الله المـؤمنين التـائبين المتَّبِعين لشريعـة الله تعالى ، قال تعالى : ﴿ الذين يَحمِلون العرشَ ومَنْ حَوْلَـه يُسبِّحون بحمـد ربِّهم ويُؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ﴾ الآية .

فتوجُّهُ الملأ الأعلى بالاستغفار والدعاء لمن تاب وأناب على مدى الأيام والأزمان ، لا يَشغَلُهم عن استغراقهم في تسبيح الله تعالى وتقـديسـه وتَلَقِّي الأوامرِ عنه ، والقيامِ بتنفيذها ، فـإن تلـك الحضرةَ واسعـةٌ جـداً ، وتلـك الحياة أعظم .

فسيـدنـا جبريلُ على نبينـا وعليـه الصلاة والسلام لم ينشغـل عن الله تعالى وتَلَقِّي أوامر الله تعالى ، وعن تسبيحه واستغراقه في حضرة الله تعالى حين كان يتلقَّى الوحيَ عن رب العزة ثم يتنزَّل فيبلِّغ الـوحيَ لأنبيـاء الله تعالى ، وسيدنا عَزرائيل على نبينا وعليه الصلاة والسلام لم ينشغل عن الله تعـالى وتلقِّي أوامرِه واستغراقِـه في حضرة الله تعـالى حين يقبضُ أرواحَ الأموات في الشرق والغرب والشمال والجنوب .

وهكذا سيدنـا إسرافيل وميكائيل على نبينـا وعليهم الصلاة والسلام ، فكلُّهم لم ينشغلوا عن ربهم حين يؤدُّون وظائفَهم التي أُمِروا بتنفيـذهـا ، كما أوضحنا في كتاب (الإيمان بالملائكة) فارجع إليه .

وإن أفضلَ خَلْق الله تعالى وأكرمَهم على الله تعالى سيدُنا محمدٌ صلى الله

عليه وسلم ، قد دعا ربه فقال : « اللهم الرفيقَ الأعلى » ، ولقد أعطاه الله تعالى مِن كمال القوة وسَعةِ الاستعداد والاستمداد والإمداد ما لا يَعلم قدرَه إلا اللهُ تعالى الذي أعطاه .

وقد أجاب الإمامُ البيهقيُّ جزاه الله تعالى خيراً : بأن معنى ردِّ الروح إليه صلى الله عليه وسلم أنها رُدَّت إليه عقب دفنه الشريف لأجل سلام من يُسلِّم عليه ، واستمرتْ في جسده الشريف صلى الله عليه وسلم ، فهو يردُّ السلام على المسلِّمين عليه صلى الله عليه وسلم أبداً[1] .

وقال بعض العلماء : المرادُ بردِّ روحه الشريفة صلى الله عليه وسلم : التفرُّغُ من الشغل وفراغ البال مما هو بصدده في البرزخ من النظر في أعمال أمته ، والاستغفارلهم من السيئات ، والدعاء بما يَكشِفُ البلاءَ عنهم .

وذلك كما ورد في الحديث الذي رواه البزار وغيره بالسند الحسن عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « حياتي خيرٌ لكم ومماتي خيرٌ لكم ، تُحدِثون ويُحْدَثُ لكم ، تُعرضُ عليَّ أعمالُكم فما رأيتُ من خيرٍ حَمِدتُ الله تعالى ، وما رأيتُ غيرَ ذلك استغفرتُ لكم » .

قال ابن علان رحمه الله تعالى في (شرح الأذكار) : وقد أُجيبَ عنه ـ أي عن الحديث السابق وهو قوله صلى الله عليه وسلم : « ردَّ الله تعالى إليَّ روحي » ، أجيب عن ذلك ـ بأجوبة أخرى أودعها الحافظ السيوطيُّ في جزء ، وارتضى منها أن قوله صلى الله عليه وسلم : « ردَّ الله علي روحي » جملةٌ حاليَّة ، قال : وقاعدة العربية أن جملة الحال إذا وقعتْ

---

(١) انظر (الدر المنضود) ص ١٣٠ وشرح ابن علان على (الأذكار) .

فعلاً ماضياً قُدِّر فيها (قد) كقوله تعالى : ﴿ أو جاؤُكم حَصِرَتْ صدورُهم ﴾ أي : قد حصرت ، لاسيا ، وقد أخرج البيهقي الحديث في (حياة الأنبياء) بلفظ : « قد ردَّ الله عليَّ روحي » . والجملة ماضَوِيَّة سابقة على السلام الواقع من كل أحد ، و « حتى » ليست تعليلية بل مجرد عطف بمعنى الواو ، فصار تقرير الحديث : مامن أحد يُسلِّم عليَّ إلا قد رد الله عليَّ روحي قبل ذلك فأردّ عليه .

قال ـ الحافظ السيوطي ـ : وإنما جاء الإشكالُ مِن ظنٍّ أن جملةَ « ردَّ الله عليَّ » بمعنى الحال أو الاستقبال ، وظنٍّ أن « حتى » للتعليل ، وليس كذلك ، وبهذا التقرير ارتفع الإشكال من أصله . ا هـ .

نعم جاء ذلك في الجواب الثاني من أجوبة الحافظ السيوطي في رسالته من كتاب (الحاوي) ، ثم قال الحافظ السيوطي : الوجه الرابع ـ وهو قوي جداً : أنه ليس المراد بردِّ الروح عودَها بعد المفارقة للبدن ، وإنما النبي صلى الله عليه وسلم في البرزخ مشغول بأحوال الملكوت مستغرِق في مشاهدة ربه ، كما كان في الدنيا من حالة الوحي ، وفي أوقات أُخَر ، فعبر عن إفاقته من تلك المشاهدة وذلك الاستغراق : بردِّ الروح .

قال : ونظيرُ هذا قولُ العلماء في اللفظة التي وقعت في بعض أحاديث الإسراء وهي قوله : « فاستيقظتُ وأنا بالمسجد الحرام » : ليس المرادُ الاستيقاظَ من نوم ، فإن الإسراء لم يكن مناماً ، وإنما المرادُ الإفاقة مما خامره من عجائب الملكوت . قال الحافظ السيوطي : وهذا الجواب الآن عندي أقوى ما يُجاب به عن لفظة الرد ، وقد كنت رجَّحتُ الثاني ، ثم قَوِيَ عندي هذا . ا هـ .

ولولا أن الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم تَبْلُغانه : لما أُمِرنا أن نقول في تشهُّد الصلاة : السلام عليك أيها النبيُّ ورحمةُ الله وبركاته ، نخاطبه بذلك صلى الله عليه وسلم خطاباً .

وقد يكشفُ الله تعالى لمن شاء فيَسمعُه ردَّ سلامه صلى الله عليه وسلم ، كما كشف لسعيد بن المسيب فسمع الأذان أوقات الصلوات كما تقدم .

وقال إبراهيم بن شيبان : تقدمتُ يوماً إلى القبر الشريف فسلَّمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسمعتُه من داخل القبر يقول : « وعليك السلام » .

وروى ابن أبي الدنيا والبيهقي في (حياة الأنبياء) و (الشُّعَب) عن سليمان بن سُحيم أنه قال : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم ، فقلت : يا رسول الله هؤلاء الذين يأتونك فيسلِّمون عليك أتفقهُ سلامَهم ؟ قال : « نعم ، وأردُّ عليهم » . ذكر ذلك السخاوي في (القول البديع) قال : وذكر أبو عبد الله بن النعمان أنه سمع عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد يقول : أصابني وَجَع في يدي من وقعةٍ وقعتها في حمام ، فورمت يدي ، فبتُّ ليلة متوجِّعاً ، فرأيتُ النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقلت : يا رسول الله - أي شاكياً له وجعي - فقال لي : « أوحَشَتْني صلاتُك عليَّ يا ولدي » - أي تأخرتَ بالصلاة عليَّ - فأصبحتُ وقد زال الورم والوجع ، ببركته صلى الله عليه وسلم .

وأخرج عبد الرزاق عن مجاهد رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنكم تُعرَضون عليَّ بأسمائكم ومسماكم فأحسِنوا الصلاةَ عليَّ » . كما في (الدر المنثور) .

ولله درُّ القائل :

أتيتُـــــــــك زائراً وودِتُ أني ... جَعَلتُ ســـوادَ عيني أمتطيـــــه

ومــــا ليَ لا أسيرُ على المـــآقي ... إلى قبر رســـول الله فيـــــه

صلى الله عليه وسلم .

وأنشد بعضهم قوله :

ألا يا أيُّها الغـادي إلى يثربَ مهلا ... لتحملَ أشواقـاً مـا أُطيق لـه حَمْلا

تحمَّــلْ رعـــاك الله مني تحيـــةً ... وبلِّغ سلامي روحَ مَن طيبـةَ حلاًّ

وقِفْ عنـد ذاك القبرِ في الروضـةِ التي ... تكـونُ يمينـــاً للمصلِّي إذا صلَّى

وقُمْ خاضعاً في مهبِطِ الوحي خـاشعاً ... واخفِضْ هناك الصوتَ واسمعْ لمـا يُتْلى

ونـادِ سـلام الله يـا قبرَ أحمـــدٍ ... على جسـدٍ لم يَبْـلَ قَبْـلُ ولا يبـلا

تُراني أُراني عنـــد قبرِك واقفـــاً ... ينـاديـك عبـدٌ مـالـه غيرُكم مـولى

وتسمعُ عن قُربٍ صلاتي كمثـل مـا ... تُبَلِّـغ عن بُعـدٍ صلاةَ الـذي صلَّى

أُنـاديـك يـا خيرَ الخلائـق والـذي ... بـــــه خَتْمُ النبيين والرُّسْـــلا

نبيَّ الهـدى لولاك لم يُعرفِ الهـدى ... ولـولاك لم نَعْرِفْ حرامـاً ولا حِـلاًّ

ولــــولاك والله مــــا كان كائنٌ ... ولم يخلـقِ الرحمنُ جـزءاً ولا كُـلاًّ

☆ ☆ ☆

قال ابن حجر الهيتمي : ووقع للسيد نور الدين بن عفيف الأنجي أنـه سمـع جـواب سـلامـه من داخـل القبر الشريف : « وعليـك السـلام يـا ولدي » .

قال : وروى أبو عبـد الرحمن السُّلَمي عن أبي الخير الأقطع أنـه مكث

خمسة أيام لا يأكل ـ أي لا يجد طعاماً ـ فجاء إلى القبر الشريف ، على صاحبه الصلاةُ والسلامُ ، وشكا ، ثم تنحَّى ، ونام خلف المنبر ، فرأى النبيَّ صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر عن يمينه ، وعمرٌ عن يساره ، وعليٌّ بين يديه ، قال : فحركني علي كرم الله وجهه وقال لي : قم ، قد جاء النبي صلى الله عليه وسلم ، فقمتُ إليه ، وقبّلتُ بين عينيه ، فدفع إليَّ رغيفاً فأكلتُ نصفه ، وانتبهتُ فإذا في يدي نصف رغيف[1] .

وقال الحافظ الهيتمي : ووقع للحافظ أبي بكر مسند أصبهان ، والحافظ الطبراني ، والحافظ أبي الشيخ ، أنه نزلتْ بهم فاقة ، فجاء الأول إلى القبر الشريف وشكا الجوع ، فقال له الطبراني : اجلس ، الرزق أو الموت ، فلم يلبثوا أنْ جاءهم أحدُ السادات الأشراف بشيء كثير من الطعام ، وأخبرهم أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يأمُرُهُ أن يحمل إليهم شيئاً .

اللهم عطِّفْ علينا قلبَ سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أينما كُنّا ، وحيث كنّا يا مولانا .

---

(١) وفي هذا إكرام إلٰهي لضيوف سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلا ينبغي لسقيم القلب أو ضعيف القلب أن يرتاب في مثل هذه الأمور ، فإن معجزات النبي صلى الله عليه وسلم الظاهرة من الطعام والشراب كثيرةٌ ، وكراماتُ أتباعه صلى الله عليه وسلم وأحبابه شهيرة ، ونظيرُ هذا إكرام الله تعالى للسيدة أم أيمن الحبشية حاضنة رسول الله صلى الله عليه وسلم بدلوِ ماءٍ بارد دُلّي به إليها وهي في طريقها مهاجرةً إلى المدينة المنورة ، وكانت صائمة في يوم صائف ، وأمست ولا ماء ولا طعام معها . كما روي ذلك .

وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره : وقد ذكر جماعة ـ أي من العلماء ـ منهم الشيخ أبو منصور الصباغ في كتابه (الشامل) ذكروا الحكاية المشهورة عن العلامة العُتْبيّ قال : كنت جالساً عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، فجاء أعرابي فقال : السلام عليك يا رسول الله سمعت الله يقول : ﴿ ولو أنهم إذْ ظلموا أنفسَهم جاؤوكَ فاستغفروا اللهَ واستغفرَ لهم الرسولُ لوَجَدوا اللهَ تواباً رحيماً ﴾ . وقد جئتُك يا رسول الله مستغفراً لذنبي ، مستشفعاً بك إلى ربي ، ثم أنشأ يقول :

يا خيرَ مَن دُفنتْ بالقاع أعظُمُه ... فطاب من طِيبِهنّ القاعُ والأكَمُ
نفسي الفداءُ لقبرٍ أنتَ ساكنُه ... فيه العفافُ وفيه الجودُ والكرمُ

ثم انصرف الأعرابي ، قال العتبي : فغلبتني عيناي ، فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال : « يا عتبيُّ الْحَقْ الأعرابيَّ فبشِّرْه أن الله تعالى قد غفر له » .

وقال العلامة القرطبي في تفسيره : روى أبو صالح عن علي كرم الله وجهه قال : قدم علينا أعرابيٌّ بعدما دَفَنَّا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بثلاثة أيام ، فرمى بنفسه على قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وحَثَا على رأسه من ترابه فقال :

قلتَ يا رسول الله فسمعْنا قولك ، ووعيتَ عن الله فوعَيْنا عنك ، وكان فيما أنزل الله تعالى عليك : ﴿ ولو أنهم إذْ ظلموا أنفسَهم جاؤوك فاستغفروا اللهَ واستغفرَ لهمُ الرسولُ لوجدوا الله تواباً رحيماً ﴾ . وقد ظلمتُ نفسي وجئتُك تستغفر لي ، فنُودِي من القبر الشريف : « إنه قد غُفر لك » .

ونحو هذا عند ابن بَشْكُوال من حديث محمد بن حرب الباهلي قال : دخلتُ المدينة فانتهيتُ إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، فإذا أعرابي يُوضِعُ عن بعيره ، فأناخه وعَقَله ، ثم دخل إلى القبر فسلَّم سلاماً حسناً ، ودعا دعاء جميلاً ، ثم قال : بأبي أنتَ وأمي يا رسول الله ، إن الله تعالى خصَّك بوحيه ، وأنزل عليك كتاباً ، وجَمَع لك فيه علم الأولين والآخرين ، وقال في كتابه وقوله الحق : ﴿ ولو أنهم إذْ ظلموا أنفسَهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسولُ لوجدوا الله تواباً رحيماً ﴾ وقد جئتك مقرّاً بذنبي ، مستشفعاً بك إلى ربي ، وهو ما وعدك ، ثم التفتَ إلى القبر الشريف فذكر البيتَيْن المتقدمَيْن :

يا خير من دفنت في الترب أعظمه   ......

وزاد بينهما :

أنتَ النبيُّ الذي تُرْجَى شفاعتُه   عند الصراطِ إذا ما زلَّتِ القدمُ

قال : ثم ركب راحلته .

قال السخاوي : ونحوه عند البيهقي في (شُعَب الإيمان) .



الملائكة عليهم السلام يحفُّون بالقبر الشريف ويصلُّون على النبي صلى الله عليه وسلم

قال الإمام الدارمي في سننه : باب ماأكرم الله تعالى به نبيَّه صلى الله عليه وسلم بعد موته .

ثم روى في هذا الباب بإسناده عن نُبَيـه بن وهب أن كعباً دخل على عائشة رضي الله عنها فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كعب : (مامن يوم يطلعُ إلا نزل سبعون ألفاً من الملائكة ، حتى يَحفُّوا بقبر النبي صلى الله عليه وسلم ، يَضرِبون بأجنحتهم ـ أي يتمسَّحون بأجنحتهم ـ ويصلُّون على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا أمسَوْا عَرَجوا ، وهبط مثلُهم ، فصنعوا مثل ذلك ، حتى إذا انشقت عنه الأرض خرج في سبعين ألفاً من الملائكة يَزفُّونه)[1] ـ وفي لفظ :يوقِّرونه .

---

(١) ورواه القاضي إسماعيل في كتابه (فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم) .
وقد ذكره ابن القيم رحمه الله تعالى في (جلاء الأفهام) عن القاضي إسماعيل بإسناده بإقرار وتسليم ، دون أن يتعقبه بتضعيف ، وذلك لأن رجال سنده كلهم ثقات .
وقال الحافظ السخاوي في (القول البديع) ص ٥٢ : رواه إسماعيل القاضي وابن بشكوال والبيهقي في (الشعب) والدارمي في (باب ماأكرم الله تعالى به نبيه صلى الله عليه وسلم بعد موته) من (جامعه) ، ورواه ابن المبارك في (الرقائق) له . اهـ . وكفاك بهذه الأسانيد دليلاً على قوة هذا الحديث .

فـاعتبر أيهـا المؤمن بهـذا الحـديث ، وذلـك أن الملائكـة الكرام عليهم السـلام ينزلـون من سماواتهم إلى القبر الشريف ليتبرّكـوا بـه ويمسحـوا بـه أجنحتهم ويصلوا على النبي الكريم صلى الله عليه وسلم .



من الملائكة الموكلين ببني آدم مَن وظيفتُه كتابةُ الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم

روى الإمام أبو جعفر ابن جرير رحمه الله تعالى بإسناده عن كنانة العدوي قال : دخل عثمان بن عفان رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله أخبرني عن العبدِ كم معه مِن ملك ؟ .

فقال صلى الله عليه وسلم : « ملك عن يمينك على حسناتك ، وهو أميرٌ على الذي على الشمال ، فإذا عَمِلتَ حسنة كتبت عشراً ، وإذا عملت سيئة قال الذي على الشمال للذي على اليمين : أكتبُها ؟ ، قال : لا ؛ لعله يستغفر ويتوب ، فيستأذنه ثلاث مرات ، فإذا قال ثلاثاً ، قال : اكتُبْها ؛ أراحنا الله منه ، فبئس القرينُ ، ما أقلَّ مراقبَته لله تعالى وأقلَّ استحياءه منا ، يقول الله تعالى : ﴿ ما يَلفِظُ من قولٍ إلا لديه رقيبٌ عتيدٌ ﴾ » .

قال : « ومَلَكانِ من بين يديك ومن خلفك ، يقول الله تعالى : ﴿ له معقِّباتٌ من بين يديه ، ومن خَلْفه يَحفظُونَه من أمر الله ﴾ ، ومَلَكٌ قابضٌ على ناصيتك ، فإذا تواضعتَ لله رفعك ، وإذا تجبَّرتَ على الله تعالى قَصَمك .

ومَلَكان على شفتيك ليس يحفظان عليك إلا الصلاةَ على محمد صلى الله عليه وسلم .

ومَلَك قائمٌ على فيـك ـ أي : فمـك ـ لا يَـدَعُ أن تـدخل الحيـة ـ أي : وكلٌّ ما يؤذيك ـ في فيك ـ أي : عند النوم ـ .

ومَلَكان على عينيـك ـ أي : يحفظـان العينين ممـا يضرُّهمـا بـإذن الله تعـالى ـ فهـؤلاء عشرة أمـلاكٍ على كل آدمي ، تنزل مـلائكـةُ الليـل على ملائكة النهار ، لأن ملائكة الليل سوى ملائكـة النهـار ، فهؤلاء عشرون ملكاً على كل آدمي » .



استحباب الإكثار من الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم حين زيارته الكريمة

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَن صلى عليَّ عند قبري سمعته ، ومن صلى عليَّ من بعيد أُعْلِمتُه » . قال الحافظ السخاوي : أخرجه أبو الشيخ عن أبي صالح عن أبي هريرة ، ومن طريقه الديلمي ، وقال ابن القيم : إنه غريب ، قال الحافظ السخاوي : قلت وسنده جيد كما أفاده شيخنا ـ أي ابن حجر رحمه الله ـ .

ثم قال السخاوي : وهو عند ابن أبي شيبة والتيِّمي في (ترغيبه) والبيهقيّ في (حياة الأنبياء) له باختصار : « مَنْ صلَّى عَليَّ عند قبري سمعتُه ، ومن صلى عليَّ نائياً أُبْلِغْتُه » .

قال : وأخرجه في (الشُّعَب) بلفظ : « ما من عبد يُسلِّم عليَّ عند قبري إلا وكلَّ الله به ملكاً يبلِّغني » الحديث .

ولذلك كان الصحابة رضي الله عنهم يُكثرون الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم عند قبره الشريف ، ومنهم عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

فعن عبد الله بن دينار قال : رأيتُ ابن عمر رضي الله عنهما يقف على قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ، ويَدْعو لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما . قال الحافظ السخاوي : أخرجه إسماعيل

القاضي وغيره من طريق مالك ، قال : وفي لفظ لإسماعيل : أن ابن عمر كان إذا قَدِم من سفر دخل المسجد ، فقال : السلام عليك يا رسول الله ، السلام على أبي بكر ، السلام على أبي ، ويصلّي ركعتين .

وفي لفظ آخر أن ابن عمر كان إذا قدم من سفرٍ صلى سجدتين أي : ـ ركعتين ـ في المسجد ، ثم يأتي النبي صلى الله عليه وسلم ، فيضعُ يده اليمنى على قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، ويستدبر القِبلة ، ثم يسلّم على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم يسلم على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما .

قال : وفي لفظ لمالك أيضاً : أن ابن عمر كان إذا أراد سفراً أو قدم من سفر جاء قبر النبي صلى الله عليه وسلم فصلى عليه ، ودعا ثم انصرف .

قال السخاوي رحمه الله تعالى : وأخرج ابن أبي الدنيا ـ ومن طريقه البيهقي في (الشُّعَب) من حديث عبد الله بن منيب بن عبد الله بن أبي أمامة عن أبيه قال : رأيت أنس بن مالك ـ أي خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ أتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فوقف فرفع يديه ، حتى ظننت أنه الصلاة ، فسلَّم على النبي صلى الله عليه وسلم ثم انصرف .

قال السخاوي رحمه الله تعالى : وعن يزيد بن أبي سعيد المدني قال : ودَّعتُ عمر بن عبد العزيز فقال : إن لي إليك حاجةً .

قال : يا أمير المؤمنين كيف ترى حاجتك عندي ؟! .

فقال عمر بن عبد العزيز : إني أراك إذا أتيتَ المدينةَ سترى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فأقْرِئه مني السلام . أخرجه ابن أبي الدنيا ، ومن طريقه البيهقي في (الشُّعَب) .

وقال الحافظ السخاوي أيضاً : روى البيهقي في (الشُّعَب) عن حاتم بن وَرْدانَ قال : كان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يُوَجِّه البريد من الشام قاصداً المدينة ، لُيُقرِئَ النبيَّ صلى الله عليه وسلم منه السلام .

وروى ابن عساكر في ترجمة بلال رضي الله عنه بإسنادين ، وكذا شيخ الإسلام مجد الدين الفيروزآبادي في (الصِّلات والبُشَر) بإسناده أيضاً عن أم الدرداء رضي الله عنها قالت : لما رحل عمر بن الخطاب رضي الله عنه من فتح بيت المقدس ، فصار إلى الجابية ، فسأله بلال أن يُقرَّه بالشام ففعل ذلك ، فقال بلال : وأخي أبو رُوَيْحة الذي آخى بيني وبينه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم إن بلالاً رأى في منامه النبيَّ صلى الله عليه وسلم وهو يقول : « ما هذه الجفوةُ يا بلال ؟! أما آنَ لك أن تزورني يا بلال » ؟!، فانتبه حزيناً وجِلاً خائفاً ، فركب وقصد المدينةَ ، فأتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فجعل يبكي ويمرِّغ وجهَه عليه ، فأقبل الحسن والحسين رضي الله عنهما فجعل يضمُّهما ويقبِّلُهما ، فقالا : يا بلال نشتهي أن نسمع أذانك الذي كنت تؤذِّن لرسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد ، ففعل ، فعلا سطحَ المسجدِ فوقف موقفه الذي كان يقف فيه ، فلما أن قال : الله أكبر الله أكبر : ارتجَّتِ المدينة ، فلما أنْ قال : أشهد أن لا إله إلا الله زادت رجَّتها ، فلما أن قال : أشهد أن محمداً رسول الله ، خرج العواتق من خدورهن وقالوا : بُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما رؤي يوم أكثر باكياً ولا باكية بالمدينة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك اليوم . وقد ذُكِرتْ هذا القصةُ في عدة من كتب التواريخ والتراجم .

ماكان عليه السلف الصالح من الأدب مع النبي صلى الله عليه وسلم حين يُذْكر

قال القاضي عياض رحمه الله تعالى : واعلمْ أن حرمته صلى الله عليه وسلم ـ أي احترامه والأدب معه ـ بعد موته وتوقِيْرَهُ وتعظيمَه صلى الله عليه وسلم لازمٌ كما كان حال حياته في الدنيا ـ أي : لأنه لم يزل رسول الله ونبيَّه ـ وذلك ـ الاحترام والتعظيم ـ عند ذكره وذِكر حديثه وسنته ، وسماع اسمه وسيرته ، ومعاملةِ آله وعِتْرته ، وتعظيم أهل بيته وصحابته صلى الله عليه وسلم .

قال أبو إبراهيم التُّجيبيُّ : واجبٌ على كل مؤمن متى ذكره صلى الله عليه وسلم ، أو ذُكر عنده صلى الله عليه وسلم أن يخضع ويخشع ويتوَّقر ويسكِّن من حركته ، ويأخذ في هيبته وإجلاله بما كان يأخذُ به نفسَه لو كان بين يديه صلى الله عليه وسلم ـ أي : لو كان حاضراً في مجلسه فَيَفْرِض ذلك ويلاحظه كأنه عنده ـ ويتأدب بما أدبنا الله تعالى به . اهـ .

قال تعالى : ﴿ لا تجعلُوا دعاءَ الرسولِ بينكم كدعاء بعضِكم بعضاً ﴾ الآية ، وقال تعالى : ﴿ ورفعنا لك ذكرك ﴾ .

قال القاضي عياض رحمه الله تعالى : وهذه ـ أي الطريقة الأدبية المرضية ـ كانت سيرةَ سلفنا الصالح وأئمتنا الماضين .

ثم روى بسند صحيح[1] عن ابن حُمَيْد - بالتصغير - أحد رواة الإمام مالك قال :

ناظر أبو جعفر أميرُ المؤمنين - أي المعروف بالمنصور - مالكاً في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع صوته في المناظرة .

فقال له - أي الإمام مالك : ياأمير المؤمنين لاترفعْ صوتَك في هذا المسجد ، فإن الله تعالى أدَّب قوماً فقال : ﴿ لا ترفعوا أصواتكم فوقَ صوتِ النبي ﴾ الآية ، ومدح قوماً فقال : ﴿ إن الذين يَغُضُّون أصواتَهم عند رسولِ الله أولئك الذين امتحنَ اللهُ قلوبَهم للتقوى ﴾ الآية ، وذم قوماً فقال : ﴿ إن الذين ينادونك مِن وراء الحُجُراتِ أكثرُهم لا يَعقلون ﴾ ، وإن حرمته صلى الله عليه وسلم ميتاً كحرمته حياً ، فاستكان لها أبو جعفر . أي : خضع وخشع لمقالة الإمام مالك رحمه الله تعالى .

وقال أبو جعفر المنصور للإمام مالك رحمه الله تعالى : ياأبا عبد الله أستقبل القبلة - استفهام فيه استرشاد - وأدعو ؟ أم استقبلُ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ؟.

فقال له مالك رحمه الله تعالى : ولِمَ تصرفُ وجهك عنه ؟! - أي : عن مقابلته ومواجهته حال الدعاء - وهو وسيلتُك ووسيلةُ أبيك آدمَ عليه الصلاة والسلام إلى يوم القيامة ، بل استقبلْه واستشفعْ به فيشفِّعَه الله تعالى فيك - أي : ويقبل دعاءك - قال الله تعالى : ﴿ وَلوْ أنهم إذْ ظلموا أنفسَهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفرَ لهم الرسولُ لوجدوا الله تواباً رحيماً ﴾ . اهـ .

---

(١) كما نبه على ذلك العلامة الخفاجي في شرحه .

قال العلامـة الخفـاجي رحمـه الله تعـالى في معنى قول مـالـك : ـ وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدمَ عليه الصلاة والسلام إلى يوم القيـامـة ـ قـال : أي هو صلى الله عليـه وسلم الشفيع المشفَّع ، المتوسَّلُ بـه إلى الله تعـالى يـوم القيامة ، إشارة إلى حديث الشفاعة العظمى ، وإلى ماورد من أن الداعي إذا قال : اللهم إني استشفعُ إليك بنبيك ، يانَبِيَّ الرحمة اشفعْ لي عند ربك استَجيبَ لـه ـ وهو يشير بـذلـك إلى حـديث الأعمى الوارد عن عثمان بن حُنيف ، كما جاء في السنن .

ثم قال الخفاجي رحمه الله تعالى : وقيل في قوله ـ وسيلـة أبيـك آدم ـ إن آدم عليه الصلاة والسلام لما أكل من الشجرة ثم ندم قال : يارب أسألك بحق محمد إلا غفرتَ لي .

فقال الله تعالى له : كيف عرفتَ محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ؟.

فقـال : لأني رأيت على قوائم العرش : لاإلـه إلا الله محمـد رسول الله ، فعرفتُ أنك لم تُضِفْ لنفسك إلا أحبَّ الخلق إليك .

فقـال سبحـانــه : صــدقت يــاآدم إنــه لأحبُّ الخلـقِ إليَّ ، ولـولاه ماخلقتك . قال : وهو حديث صحيح رواه الحاكم . اهـ .

قال القاضي عياض رحمه الله تعالى :

وقال مالك : وقد سئل عن أيوب السَّختِيـاني ـ التـابعي الجليل إمـام الفقهاء والمحدثين ، روى عنه مالك والثوري وغيرهما ـ قـال : مـاحـدثتكم عن أحد إلا وأيوبُ أفضلُ منه ، قال مالـك : وحجَّ أيوب حجتين ـ أي : وكنت حـاجـاً إذ ذاك ـ فكنت أرمُقُـه ـ أي : أنظر إليـه وأرقبـه ـ ، ولا

أسمع منـه شيئـاً ، غير أنـه كان إذا ذكر النبي صلى الله عليـه وسلم بكى حتى أرحمـه ـ أي : حتى يرقَّ قلبي عليـه رحمـةً لـه ـ فلمـا رأيتُ منـه مـا رأيتُ وإجلالَه للنبي صلى الله عليه وسلم كتبت عنه . أي : كتبت عنه الحـديث ورويته عنه اهـ .

وقال مصعب بن عبد الله الحافظ أحد رواة الإمام مالك ، وعنه روى الشيخان وغيرهمـا ، قـال : كان مـالـك إذا ذُكِرَ النبيُّ صلى الله عليـه وسلم عنده يتغيَّر لونـه ـ بـأنْ يصفرَّ كما هو شـأن من عَظُمَتْ خشيتـه ـ وينحني حتى يَصعُبَ ذلك على جلسـائـه ، فقيل لـه يومـاً في ذلـك ـ أي في سبب ذلك ـ فقـال : لو رأيتم مـا رأيتُ لمـا أنكرتم عليَّ مـا ترون . أي : لو عرفتم ماعرفت من جلال مقامه صلى الله عليه وسلم وجمال مَرامه ، أو المعنى : لو أبصرتم ماأبصرت من مشاهدة جماله صلى الله عليـه وسلم ومطـالعـة جلالـه وهيبـة مقـام كما لـه : لمـا أنكرتم عليَّ مـا ترون من اضطراب حـالي وتغيُّر لوني .

ولقد كنت أرى محمـدَ بنَ المنكـدر ـ أي : الحـافـظ أخرج لـه الستـة ، تابعي جليل ـ قال : وكان سيد القراء ، لا نكاد نسأله عن حديث أبـداً إلا يبكي حتى نرحمه ـ أي من كثرة بكائه ـ .

وقال مالك رحمه الله تعالى : ولقد كنت أرى جعفر بن محمـد الصـادق وكان كثير الـدُّعـابـة والتبسّم ، فـإذا ذُكر عنـده النبي صلى الله عليـه وسلم اصفرَّ ، ومـا رأيتـه يحـدث عن رسـول الله صلى الله عليـه وسلم إلا على طهارة . أي : وضوء تعظيماً لحديثه صلى الله عليه وسلم .

قال مالك رحمـه الله تعـالى : ولقـد اختلفت إليـه ـ أي : ذهبت إليـه

مراراً كثيرة في أوقات كثيرة مختلفة ـ وما كنت أراه إلا على ثلاث خصال : إما مصلياً ، وإما صامتاً ، وإما يقرأ القرآن ، ولا يتكلم فيما لا يعنيه ، وكان ـ أي الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه ـ من العلماء والعُبّاد الذين يخشون الله تعالى .

وقال مالك رحمه الله تعالى : ولقد كان عبد الرحمن بن القاسم ـ أي : ابن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ـ أحد فقهاء المدينة ، كان يَذكر النبي صلى الله عليه وسلم فيُنظر إلى لونه كأنه نَزِف منه الدم ، ولقد جفَّ لسانه في فمه هيبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال مالك رحمه الله تعالى : ولقد كنت آتي عامر بن عبد الله بن الزبير ، فإذا ذُكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم بكى ، حتى لا يبقى في عينيه دموع .

وقال رحمه الله تعالى : ولقد رأيت الزهريَّ ـ وكان من أهنأ الناس وأقربِهم ـ فإذا ذُكِر عنده النبي صلى الله عليه وسلم فكأنه ما عرفك ولا عرفته .

وقال رحمه الله تعالى : ولقد كنتُ آتي صفوانَ بن سُلَيم وكان من المتعبِّدين المجتهدين ـ يقال إنه لم يَضَعْ جنبه على الأرض أربعين سنةً ـ فإذا ذُكِر النبيُّ صلى الله عليه وسلم بكى حتى يقوم الناس عنه ويتركوه . أي : لطول بكائه .

قال القاضي عياض رحمه الله تعالى : ويُروى عن قتادةَ رضي الله عنه أنه كان إذا سمع الحديث أخذه العَويلُ والزَّويل . أي : القلق والعناء .

ولما كَثُر على مالكٍ الناسُ ـ لسماع الحديث النبوي ـ قيل له : لو جَعَلْتَ مستملياً يُسمعهم ، فقال : قال الله تعالى : ﴿ ياأيها الذين آمنوا لاتَرفعُوا أصواتَكم فوقَ صوتِ النبي ﴾ الآية ، وحرمتُه صلى الله عليه وسلم حياً وميتاً سواءٌ . اهـ .

وكان ابن سيرين رحمه الله تعالى ربما يَضحك ، فإذا ذُكر عنده حديثُ النبي صلى الله عليه وسلم خَشَع .

وكان عبد الرحمن بن مهديّ إذا قرأ حديث النبي صلى الله عليه وسلم أمرهم بالسكوت وقال : ﴿ لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ﴾ يتأوَّل الآية التي تلاها بِجَعْل الصوت شاملاً لحكايته ، وأنه عامٌّ لهما ـ أي : وكذا لاترفعوا أصواتكم فوق صوتِ راوي حديثه صلى الله عليه وسلم ـ قال : ويتأوَّل أنه يجب له من الإنصات عند قراءة حديثه مايجب له عند سماع قوله صلى الله عليه وسلم . اهـ .

قال العلامة الخفاجي في شرحه : فإنْ قلتَ : مانقله الإمام مالك من أنه لم يَرْضَ بمستملٍ في مجلسه ينافي مانقل عنه أنه كان له مستملٍ يبلِّغ الناس عنه ؟ قلتُ : حاله الأول كان قبل كثرة الناس جداً ، بحيث يسمعون كلامه بغير واسطة ، ثم كثُر الناسُ عليه بعد ذلك فرأى أن المستمليَ لابدَّ منه فاتَّخذه للضرورة .

وروى الدارمي في (سننه) عن عمرو بن ميمون قال : كنت لاتفوتني عشيةُ خميسٍ إلا آتي فيها عبد الله بن مسعود ، فما سمعته يقول لشيء قطٌّ (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم) حتى كانت ذات عشية ، فقال ابن مسعود : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فاغرورقتْ

عينا ابنِ مسعود ، وانتفختْ أوداجُه ، فأنا رأيته محلولةً أزراره وقال : أو مثلَه أو نحوَه أو شبيهً به .

وروى الدارمي أيضاً عن الشعبي وابن سيرين أن ابن مسعود كان إذا حدَّث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأيام تربّد وجهه ـ أي : تغير وجهه ـ وقال : هكذا أو نحوه ، هكذا أو نحوه .

وروى أيضاً عن علقمة قال : قال عبد الله بن مسعود : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم ارتعد ـ أي ارتعد ابن مسعود ـ ثم قال : نحو ذلك أو فوق ذاك .

وقال الإمام مالك رضي الله عنه : جاء رجل إلى ابن المسيَّب فسأله عن حديث ، وهو ـ أي ابن المسيَّب ـ مضطجع فجلس وحدَّثه ، فقال الرجل ـ السائل ـ : ودِدْتُ أنك لم تَتَعَنَّ ـ أي : لم تتعب ولم تتكلف العناء بالجلوس ـ فقال ابن المسيَّب : كرهتُ أن أحدِّثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا مضطجع .

وقال عبد الله بن المبارك رضي الله عنه : كنت عند مالك رضي الله عنه وهو يحدثنا فلدغتْه عقربٌ ست عشرة مرةً وهو يتغيَّر لونه ويصفرٌ ؛ ولا يقطع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما فرغ من المجلس ـ أي : مجلس التحديث ـ وتفرَّغ عنه الناس ، قلت له : يا أبا عبد الله لقد رأيت منك اليوم عجباً ، قال : نعم ، لدغتني عقربٌ ست عشرة مرة وأنا صابرٌ في جميع ذلك ، وإنما صبرت إجلالاً لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال ابن مهدي : مشيت يوماً مع مالك إلى العقيق ، فسألته عن

حـديث ، فـانتهرني وقـال لي : كنت في عيني أجـلَّ من أن تسـألَ عن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نمشي .

وقـال مطرِّفُ بنُ عبـد الله : كان إذا أتى النـاسُ مـالكاً ـ أي : وقفـوا على بابه ـ خرجتْ إليهم الجاريـة فتقول لهم : يقول لكم الشيخ : تريـدون الحـديث ـ أي : روايـة الأحـاديث النبويـة ـ أو المسـائـل ـ أي : روايـة الفروع الفقهية ـ ؟ فإن قالوا : المسائل ، خرج إليهم ـ أي : على هيئته كما هو على حالته ـ وإن قالوا : الحديث ، دخل مغتَسَله فـاغتسل ـ أو توضـأ وضوءاً كاملاً ، كما ورد عنه من طريق آخر ـ وتطيَّب ولبس ثيـابـاً جـدداً ولبس ساجه ـ أي : طيلسانه ، وقيل : الأخضر خاصـة ، وفي القـاموس : هـو الطيلسـان الأخضر أو الأسـود ـ وتعمَّم ، ووضـع على رأسـه رداءه ، وتُلْقى ـ أي توضع ـ لـه مِنصَّـة ، فيخرج فيجلس عليهـا وعليـه الخشوع ، ولا يزال يبخَّر بـالعود حتى يفرغ من حـديث رسـول الله صلى الله عليـه وسلم ، ولم يكن يجلس على تلـك المنصـة إلا إذا حـدث عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فقيل له في ذلك ؟ فقال : أحبُّ أن أعظِّم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا أحدِّث به إلا على طهارة متمكناً . اهـ .

وقال ابن أبي أويس : كان مالك يكره أن يحدِّث ـ أي بالحديث النبوي ـ في الطريـق أو هـو قـائم أو مستعجـل ، وقـال ـ أي مـالـك ـ : أحبُّ أن أفهم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ أي : على الوجه الكامل ـ .

وحكى ضرار بن مرة عن السلف رضي الله عنهم أنهم كانوا يكرهون أن يحدثوا على غير وضوء .



الكلام على معاني الصلاة الإبراهيمية

ذكرنا في الوجه الثالث من الكلام على قوله تعالى : ﴿ إنَّ الله وملائكتَه يصلُّون على النبي ﴾ الآية الكريمة ، ذكرنا هناك جملةً من روايات صيغة الصلاة الإبراهيمية ، فلابدَّ إذاً من الكلام على بعض معانيها ، حتى يتعلَّم الجاهلُ ، ويتذكَّر الغافل ، وتكمل الفائدة ، وذلك أنها مطلوبة في الصلوات لله رب العالمين ، فينبغي للمصلي أن يتفهَّم معانيَ الأقوال المشروعة في الصلاة ، كما يلاحظ أسرار أفعالِ الصلاة ومقاصدِها ، وسوف نذكر بعض معاني الإبراهيمية مجملة خوف الملل من التفصيل .

والكلام على الصلاة الإبراهيمية سوف يكون إن شاء الله تعالى مرتَّباً مشروحاً كلمةً منها بعد كلمة ، وذلك لتتضح المعاني مع انسجام المباني ، فنقول وبالله تعالى التوفيق :

الوجه الأول : في الكلام على : « اللهم » :

إن معنى « اللهم » : ياالله ، فالميم في آخر الاسم عوض عن « يا » في أوله ، وهذا من خصائص الاسم الجليل وهو « الله » ، كما اختصَّ الاسم الجليل بقطع الهمزة عند النداء ، فتقول : ياألله ، بقطع الهمزة ، واختص أيضاً بوجوب تفخيم لامه ، وبدخول النداء عليه مع التعريف ، وهناك عدة خصائص لهذا الاسم الجليل ، مذكورة في مراجعها .

وهـذا القول وهو أن « الميم » من « اللهم » عوض عن يـاء النـداء: هو قول سيبويه والخليل وغيرهما من علماء اللغة .

وذهب الفَرَّاء ومَن تَبِعه من الكوفيين إلى أن أصل « اللهم » : « ياألله أُمَّنا بخير » أي : اقصُدْنـا بخير ؛ فحـذف حرف النـداء تخفيفـاً ، ثم حـذف الجار والمجرور وهو « بخير » ، ثم حذف المفعول به وهو « نـا » من « أمَّنـا» فبقي « أُمَّ» فصار التقدير : يـاألله أُمَّ ، ثم حـذفت الهمزة من « أُمَّ » لكثرة استعمال هذا الاسم في الدعاء فبقي « اللهم » .

وقال بعض العلمـاء : إن الميم هي كالواو الـدالـة على الجمع ، فـالـداعي حين يـدعو بقـولـه : « اللهم » ، كأنـه يقـول : يـامَن اجتمعتْ لـه الأسماء الحسنى كلُّها ؛ وذلك لأن الواو كالميم فإنها حرف شفهي ، يجمع النـاطق بـه شفتيه ، فوضعتْه العرب علامةً على الجمع ، فقـالوا في جمع ضمير المخـاطب : أنتم ، وجمع الغائب : هم . ونحو ذلك[1] .

ولما كان قول « اللهم » من باب النـداء ، وهو نوع من أنواع الطلب ، فلا يقـال : اللهم غفور رحيم ، وإنـما يقـال : اللهم اغفر لي وارحمني ، ولا يدخله حرف النداء إلا نادراً ، كما قال في الخلاصة :

والأكثر اللهم بـالتعـويض وشـذَّ « يـا اللهم » في قريض

أي في الشعر ، ومن ذلك قولُ أمية بن أبي الصَّلْت :

إنْ تغفر اللهمَّ تغفرْ جمّـا وأيُّ عبـدٍ لـك لاألَمَّـا
إني إذا مـا حَـدَثٌ أَلَمَّـا أقـول : يـا اللهم يـا اللهما

---

(١) انظر ذلك في (الفتح) و (جلاء الأفهام) و (تفسير الآلوسي) وغيرها .

والدعاء بهذا الاسم « اللهم » هو دعاء بجمع من الأسماء الإلهية ، قال النضر بن شُمِيل : من قال « اللهم » فقد دعا الله تعالى بجميع أسمائه سبحانه .

وقال الحسن البصري رضي الله عنه : « اللهم » مجمع الدعاء . أي : بالأسماء .

وقال أبو رجاء العُطاردي : إن الميم في قوله « اللهم » فيها تسعةٌ وتسعون إسماً من أسماء الله تعالى . اهـ . ولذلك قال بعض العلماء والعرفاء : إنه الاسم الأعظم الذي إذا دُعي الله به أجاب ، وإذا سُئل به أعطى .

الوجه الثاني : في الكلام على معنى : « صَلِّ على محمد » :

تقدم معنا أن معنى صلاة الله تعالى كما قال أبو العالية : هو ثناؤه وتعظيمه ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : الصلاة من الله رحمة ، ومن الملائكة استغفار .

نعم إن الصلاة من الله تعالى تشتمل على الثناء والتعظيم والرحمة والعطف والتفضُّل ، فجميع ذلك داخل ومضمون في الصلاة منه سبحانه ، وهي ـ أي : صلاته سبحانه ـ تكون على حسب المصلَّى عليه ورتبته عند الله تعالى ، وحبِّه وقُرْبه .

ولما كان سيدنا محمدٌ صلى الله عليه وسلم أحبَّ إلى الله تعالى من كل حبيب ، وأقربَ إليه من كل مقرَّب ومتقرِّب ، وهو أكرمُ الأولين والآخرين على رب العالمين ، الذي خصَّه الله تعالى بمقام لا يشاركه فيه

غيره ألا وهو مقام الوسيلة ، الذي لا ينبغي أن يكون إلا لعبد واحد ، وهو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، الذي هو فرد في مقامه .

لذلك كانت صلاةُ الله تعالى عليه صلى الله عليه وسلم خاصةً به ، لائقةً بمقامه العالي على كل المقامات ، فمهما تصوَّرها المتصوِّرون وقدَّرها المقدِّرون لا يدركون كُنْهَهَا ، ولا يحيطون بوصفها ونورها .

وأما صلاة الله تعالى على المؤمنين أتباعِ هذا الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، فإنما هي على حسب إيمانهم ، وقد نالوها بسبب اتِّباعهم لهذا السيد الأعظم صلى الله عليه وسلم ، وفضلُ التابع على قدر تَبَعيَّته لإمامه .

أخرج عبدُ بنُ حُميد وابن المنذر عن مجاهد رضي الله عنه قال : لما نزلت : ﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبي ﴾ الآية ، قال أبو بكر رضي الله عنه : يا رسول لله ماأنزل الله عليك خيراً إلا أشركنا فيه ، فنزلت : ﴿ هو الذي يصلِّي عليكم وملائكته ﴾ .

فهو سبحانه يصلي على حبيبه الأكرم صلى الله عليه وسلم صلاةً تليق بمقام نبوته ، ومنصب رسالته ، ومنزلة وسيلته وفضيلته الخاصة به .

وهو سبحانه يصلِّي على الذين آمنوا به صلى الله عليه وسلم واتَّبعوه ، تكرمة لهم بسبب اتباعهم ، ويُكْرَم التابع لكرامة متبوعه ، ويَشْرُف التابع بشرف متبوعه .

وإن أعظمَ الأسباب التي تضاعف الصلوات من الله تعالى على أتباع النبي صلى الله عليه وسلم : هي الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، فمن

صلّى على النبي صلى الله عليه وسلم مرة واحدة صلى الله تعالى عليه بها عشر صلوات . أي : ومن صلى على النبي صلى الله عليه وسلم عشر صلوات نال مائة صلاة من الله تعالى وهكذا دواليك في المضاعفات التي لم تأتِ إلا في مقابل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم .

ومن أسباب صلاة الله تعالى على أتباع النبي صلى الله عليه وسلم :

ما رواه أبو داود وغيره عن البراء رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله وملائكته يصلون على الصف الأول » ، وهو في مسند أحمد : « إن الله وملائكته يصلون على الصف المقدَّم ، والمؤذنُ يُغفرُ له مَدَّ صوته ، ويصدِّقه مَن سمعه مِن رطب ويابس ، وله مثلُ أجرِ مَنْ صلَّى معه » .

ومن ذلك : ما رواه الطبراني والضياء عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الله وملائكته حتى النملةَ في جُحْرِها ، وحتى الحوتَ في البحر : ليصلُّون على معلِّم الناس الخير » .

ومن ذلك : ما رواه أبو داود عن البراء رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله وملائكته يُصلُّون على الذين يَصِلُون الصفَّ الأول ، وما مِن خطوة أحبُّ إلى الله من خطوة يمشيها يَصِلُ بها صفاً » .

ومن ذلك : ما رواه أبو داود عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله وملائكته يصلُّون على ميامنِ الصفوف » .

ومن ذلك : ما رواه ابن حبان وغيره ، عن ابن عمر رضي الله عنهما أن

النبي صلى الله عليه وسلم قال : «إن الله وملائكته يصلُّون على المتسحِّرين» .

الوجه الثالث : في الكلام على : « اللهم صل على محمد » :

تقدَّم الدليل على ندب تقديم السيادة بين يدي اسمه الشريف صلى الله عليه وسلم[1] .

وأما معنى اسمه الشريف محمد صلى الله عليه وسلم :

قال العلماء : إن هذا الاسم الشريف ـ وهو محمد صلى الله عليه وسلم ـ هو أشهرُ أسمائه صلى الله عليه وسلم ، وقد جاء في القرآن الكريم في مواضع عديدة : قال تعالى : ﴿ محمدٌ رسولُ الله ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ ما كان محمدٌ أبا أحدٍ من رجالكم ، ولكنْ رسولَ الله وخاتمَ النبيين ﴾ الآية ، وقال تعالى : ﴿ وما محمدٌ إلا رسولٌ ﴾ .

وهذا الاسم الشريف هو علم منقولٌ من الصفة ، ومعناه : أنه هو الذي يُحْمد حمداً بعد حمدٍ ، إلى مالا نهاية له ، فلا يقفُ حمده على حَدٍّ ، فهذا الاسم الكريم يدلُّ على كثرة الحمد والحامدين له ، ويدل على كثرة موجِبات الحمد التي هي فيه ، وذلك لأنه على وزن ـ مُفَعَّل ـ بتشديد العين وهي صيغة موضوعة للتكثير والمضاعفة ، يقال : معظَّم ومبجَّل ومكرَّم وممدَّح ، لمن كَثُر وتكرر تعظيمه وتبجيله وتكريمه ومدحه مرة بعد أخرى ، وقد سُمِّي سيدنا محمدٌ صلى الله عليه وسلم بهذا الاسم الكريم ، لأنه صلى الله عليه وسلم محمودٌ حمداً بعد حمدٍ ، على وجه ثابت متكرر دائم لا ينقطع : محمد عند الله تعالى ، وعند الملائكة ، ومحمد عند إخوانه من الأنبياء والمرسلين ، ومحمد عند أهل السموات وأهل العرش ، ومحمد عند أهل

---

(١) ص ٣٩ .

الأرض والفرش ، حتى عند أعدائه الذين كفروا برسالته ، كما سنوضحه إن شاء الله تعالى .

وبيان ذلك : أن الحمد ـ الذي هو معناه الثناء على مختلفِ أنواعـه ـ يرجع إلى سببين عظيمين أحدهما : **الحسن والكمال** ، ثانيهما : **الفضل والنوال** .

فيُحمد الذي اتَّصف بالمحاسن والكمالات على حسب محاسنـه وكمالاتـه ، ويُحمد صاحب الفضل والخير والنوال ـ أي : الإحسـان إلى العبـاد ـ على حسب إحسانه ونواله .

فإذا عرفتَ ذلك فليس هناك مخلوقٌ أجمعُ للمحـاسن والكمـالات ، ولا أعظم فضلاً وبِرّاً ونوالاً وخيراً إلى عبـاد الله تعـالى ، ليس هنـاك أجمعَ ولا أعظمَ من رسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

أما محاسنه وصفات كمالاتـه : فلا يُحيـط بعـدِّهـا إلا الله تعـالى الـذي تفضَّل عليه وأعطاه .

فإذا مُدِح العـالِم وأُثني عليـه بكمـالـه العلمي ـ ولا شـك أن العلم صفـة كمال ـ فإن أعلم العلماء وأعرفهم هو سيدنا محمد صلى الله عليـه وسلم ، الـذي قـال الله تعـالى لـه : ﴿ وعلَّمـك مـالم تكنْ تعلمُ ، وكان فضـلُ اللهِ عليـك عظيماً ﴾ ، ولقد أعلن رسول الله صلى الله عليه وسلم مقام أعلميَّتـه ، فقـال متحدثاً بنعمة الله عليه : « أمَا والله إنّي لأعلمُكم بالله ، وأشدُّكم له خشيةً » متفق عليه . وقـال صلى الله عليـه وسلم : « يـا أيهـا النـاسُ إني قـد أُوتيتُ جوامعَ الكلم وخواتِمَه ، واخْتُصِر ليَ الكلامُ اختصـاراً » وقـال : « أُعطيتُ فواتحَ الكَلِمِ وجوامعَه وخواتِمَه » رواهما أبو يعلى وغيره .

وإذا مُدِح التقيُّ بتقواه ، وأُثني عليه بصفة التقوى ، فأتقى الأتقياء هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي أعلن ذلك متحدِّثاً بنعمة ربه عليه إذ قال : « أمَا والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له » متفق عليه .

وإذا مُدِح الزهادُ وأُثني عليهم بزهدهم ، فأزهدُ الزهاد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي أعلن ذلك بقوله : « ما أنا والدُّنيا إلا كراكبٍ استظلَّ تحت شجرةٍ ثم راح وتركها » قال ذلك صلى الله عليه وسلم لما دخل عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وقد نام رسول الله صلى الله عليه وسلم على حصير .

وإذا مُدِح عُقلاءُ العالم بذكائهم ونبوغ عقولهم وفهمهم ، فأعقلُ العالمين وأعظمُهم نباهةً وفطانةً هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، كما بيَّنّا الأدلةَ على ذلك في كتاب (الشمائل الشريفة) الذي جمعناه والحمد لله فارجع إليه .

وإذا مُدِح صاحبُ الخُلُق الحسن وأُثني عليه بحسن خلقه ، فسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هو الذي جمع محاسن الأخلاق كلها وكمالاتها كلها ، فهو أحسنُهم خُلُقاً وأجمعُهم أدباً ، قال تعالى : ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾ ، فقد اعتلى رسول لله صلى الله عليه وسلم ذِروةَ الأخلاق الفاضلة ، واستوى على قِمَّتها .

وإذا مُدِح الكرماء والشجعان وأُثني عليهم بجودهم وشجاعتهم ، فأجودُ خلق الله تعالى وأشجعهم هو سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال أنس رضي الله عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسنَ الناسِ ، وأجودَ الناس ، وأشجعَ الناس . متفق عليه .

وإذا مُدِح المتواضعون وأُثني عليهم بحسن تواضعهم ، فسيدنا محمد صلى

الله عليه وسلم إمام المتواضعين ، وقد بلغ من تواضعه أنه يمشي مع الأرملة والمسكين ، فيقضي لهما الحاجةَ في حين أنه يمكنه صلى الله عليه وسلم أن يأمرَ بعضَ أصحابه بأن يقضي لهما الحاجة .

ولقد قال ابن عمر رضي الله عنهما : إن رجلاً نادى النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثاً ، كلٌّ ذلك يردُّ عليه : « لبيك لبيك » .

وقال مجاهد : إنْ كان الرجل ـ أي : إنه كان الرجل ـ من العوالي يدعو رسول الله صلى الله عليه وسلم شطرَ الليل على خبز الشعير فيجيبُه . كذا في (زوائد المسانيد) وغيره .

وإذا مُدح الرُّحَماء وأُثني عليهم برحمتهم ، فأرحمُ عباد الله تعالى بخلق الله تعالى هو سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذي قال الله تعالى فيه : ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ .

فهو صلى الله عليه وسلم رحمةٌ عامة لكل العالمين : رحمةٌ للمؤمنين ، ورحمة للكافرين ، ورحمة للمنافقين ، ورحمة لجميع بني الإنسان : الرجال والنساء والصبيان ، ورحمة للطير والحيوان ، وقد فصلنا ذلك في كتاب (الشمائل المحمدية) وذكرنا فيه الأدلة على ذلك فارجع إليه .

وفي الحديث الذي رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إني لم أُبعثْ لَعَّاناً إنما بُعثتُ رحمةً » .

وعند البيهقي والطبراني أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إنما أنا رحمة مهداة » . وعند الطبراني : « بعثتُ رحمةً مهداةً » ، أي : مهداةً للعالم كله صلى الله عليه وسلم .

وإذا مُدح أهلُ العدل والإنصاف بعدلهم وإنصافهم ، فإمام أهل العدل والإنصاف هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وليعتبرِ العاقل في عدله العظيم وحكمه القويم إذ يقول صلى الله عليه وسلم : « والذي نفس محمد بيده لو أنَّ فاطمة بنت محمد - صلى الله عليه وسلم - سرقتْ لقطعتُ يَدَها » .

بل كان صلى الله عليه وسلم معلوماً لدى قومه وغيرهم بعدالته وأمانته قبل البعثة ، ولذا كانوا يتحاكمون إليه ، كما قال ابن مسعود رضي الله عنه : كان يُتحاكم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجاهلية قبل الإسلام .

ولما اختلفوا في رفع الحجر الأسود ، وكان كلٌّ منهم حريصاً على أن ينال ذلك الشرفَ ، فرفعوا الأمر إليه صلى الله عليه وسلم ، فأمر صلى الله عليه وسلم أن يوضع الحجر في ثوبٍ ، وأمر من كل قبيلةٍ واحداً أن يرفعه ، فرفعوه جميعاً وأنصفهم جميعاً ، وجمع كلمتهم وشَمْلهم . صلى الله عليه وسلم .

وإذا مدح الصادقون الأمناء بصدقهم وأمانتهم ، فإمام الصادقين والأمناء هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد عُرِف بذلك حتى عند أعدائه ، فكانوا يشهدون له بذلك .

قال المِسْوَر بن مَخْرَمَة : قلت لأبي جهل - وكان خاله - : ياخالي هل كنتم تتهمون محمداً بالكذب قبل أن يقول مقالته - أي قبل أن يُنبّأ - ؟ .

فقال - أبو جهل - : والله ياابن أختي لقد كان محمد وهو شابٌّ يُدعَى

فينـا « الصـادق الأمين » فلمـا وَخَطـه الشيبُ لم يكن ليكـذب . أي : ما كذب محمد صلى الله عليه وسلم في صبـاه وشبـابـه ، فكيف يكـذب بعـد مـا بلـغ الأربعين من العمر ؟ بـل هـو من أولى وأحـقّ أنـه لا يمكن أن يكذب ، بل هو صادق أمين فيما يقوله من أنه نبي حقاً .

قـال المسـور : قلت : يـا خـالي فلم لا تتّبعـونـه ؟ ! . يعني : مـادمتم تشهدون وتعترفون بصدقـه وأمـانتـه ، وأنـه لا يمكن أن يكـذب في دعوى النبوة ، بل هو صادق في ذلك ، إذاً ما يمنعكم من اتّباعه ؟ .

فقـال ـ أبو جهـل ـ : تنـازعْنـا نحن وبنـو هـاشم الشرفَ ، فـأطعمـوا وأطعمنا ، وسَقَوْا وسَقَيْنا ، وأجاروا وأجرنا ، فلما تجـاثَيْنـا على الرُّكب ، وكنا ـ أي في المفاخر سواء ـ كفرسَيْ رِهـان ، قـالوا ـ أي بنو هـاشم قـالوا مفتخرين علينا ـ : منّـا نبيٌّ ـ أي : نفخَر بـه عليكم ، ونفضُل بـه عليكم ، وبه نَشْرُف عليكم ـ فمن أين نُدرك هذا ؟ .

أي : من أين نأتي بنبي حتى نتساوى معهم في المفاخر والشرف ، أي : فحَمَله جهلُه على أن يجحد نبوةَ رسول الله صلى الله عليـه وسلم ، وهو يعلم من قلبه صِدقَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجحـد بعـد علمـه بصـدق نبوّته ، كما أخبر الله تعالى عن ذلك بقوله : ﴿ فإنهم لا يُكَـذِّبونـك ، ولكنَّ الظالمين بآيات الله يجحدون ﴾ ـ والمعنى : أنهم لا يعتقـدونـك كاذبـاً ، بل يعلمـون إنـك صـادق ، ولكن لظلمهم وعـدم اعترافهم راحـوا يجحـدون ما جئتَهم به .

وقد قـال صلى الله عليـه وسلم : « والله إني لأمينٌ في السماء ، وأمينٌ في الأرض » رواه ابن أبي شيبة .

وإذا مدح الفصحاء بفصاحتهم ، والبُلَغاء ببلاغتهم ، فسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هو أفصح الفصحاء وأبلغ البلغاء ، وأحكم الحكماء ، بل قد أُوتِيَ ما هو فوق الفصاحة والبلاغة ، ألا وهو جوامعُ الكَلِمِ ، ولقد قال صلى الله عليه وسلم : « أوتيت فواتِحَ الكَلِمِ وجوامعَه وخواتِمَه » .

وإذا مُدح الرجلُ الحسنُ الصوتِ بحسن صوته ، فأحسنُ الناس صوتاً هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كما قال البراء بن عازب رضي الله عنه : قرأ النبي صلى الله عليه وسلم في العِشاء ـ أي صلاة العشاء ـ ﴿ والتين والزيتون ﴾ ، فلم أسمعْ صوتاً أحسنَ منه .

وقال جبير بن مُطعِم رضي الله عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حَسَنَ النغمة .

وإذا مُدح الحسنُ الوجه وجميلُ الصورة بحسنه وجماله ، فلا أجملَ ولا أحسنَ من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد أجمعتْ كلمةُ الصحابة رضي الله عنهم الذين شاهدوا طلعته البهية صلى الله عليه وسلم ، على أنه أحسنُ خلق الله وجهاً ، وأجملُهم صورةً ، لم يُرَ قبلَه ولا بعدَه مثلُه :

قال البراء بن عازب رضي الله عنه : كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسنَ الناس وجهاً ، وأحسنهم خُلُقاً ، ليس بالطويل البائن ، ولا بالقصير . متفق عليه .

وقال أمير المؤمنين علي كرم الله تعالى وجهه في صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم : لم أرَ قبلَه ولا بعده مثله . كما في (المسند) وغيره .

وقال أبو هريرة رضي الله عنه : ما رأيت شيئاً أحسنَ من رسول الله

قال تعالى : ﴿ ومِنَ الليلِ فتهجَّدْ به نافلةً لكَ عسى أن يبعثَك ربُّك مقاماً محموداً ﴾ . وقد بيَّن النبي صلى الله عليه وسلم أن المقام المحمود الوارد في الآية الكريمة هو قيامه بالشفاعة العامة لجميع أهل الموقف ، كما روى البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغَ العرقُ نصفَ الأُذُن ، فبينما هم كذلك استغاثوا بآدم ، ثم بموسى ، ثم بمحمد صلى الله عليه وسلم » وزاد في رواية : « فيشفع ليقضى بين الخلق ، فيمشي حتى يأخذ بحَلْقه الباب ، فيومئذ يبعثه الله مقاماً محموداً يَحْمَده أهل الجمع كلهم »[1] .

وروى ابن جرير ـ وأصله في المسند ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه في قوله تعالى : ﴿ عسى أنْ يبعثك ربك مقاماً محموداً ﴾ سئل عنها ـ أي : عن هذه الآية ـ فقال : هي الشفاعة .

وروى الإمام أحمد في مسنده عن كعب بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يُبْعث الناسُ يوم القيامة فأكونُ أنا وأمتي على تلٍّ ، ويكسوني ربي عز وجل حُلَّةً خضراء ، ثم يُؤذن لي فأقول ماشاء الله أن أقول ، فذلك المقام المحمود » .

فهو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم المحمودُ في الدنيا والمحمودُ في الآخرة ، من أهل السموات وأهل الأرض .

---

(١) انظر صحيح البخاري كتاب الزكاة ، وقد اقتصر في هذه الرواية على ذكر بعض الرسل الذين يدور عليهم طلب الشفاعة منهم ، ولكن جاء في بقية الأحاديث ذكرهم مفصلاً : آدم ، فنوح ، فإبراهيم ، فموسى ، فعيسى ، ثم تنتهي الشفاعة إلى صاحبها الذي خصه الله تعالى بها سيدنا محمد صلوات الله تعالى وسلامه عليه وعليهم أجمعين .

وهو صلى الله عليه وسلم سيدنا « أحمد » اسم عَلَم منقولٌ من الصفة التي معناها التفضيل فمعنى « أحمد » : أي هو أحمد الحامدين لرب العالمين ، فاسمه صلى الله عليه وسلم مطابقٌ لمعناه ، فإنه لم يأت حامدٌ من الأولين والآخرين بمحامدَ لرب العالمين بمثل ماحَمِدَ به سيدنا أحمد صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة :

أما محامده صلى الله عليه وسلم فجاءت جامعةً لجميع المحامد التي يتقاصر عنها كل حامد ، ونحن نذكر لك بعض صيغِ تلك المحامدِ التي حَمِد بها ربَّه تعالى :

روى الترمذي عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رفع رأسه من الركوع قال : « سمع الله لمن حمده ، ربنا ولك الحمد ، ملءَ السموات وملءَ الأرض ، وملء ما بينهما ، وملءَ ماشئتَ من شيء بعدُ » .

وروى مسلم وأبو داود والنسائي عن أبي سعيد رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رفع رأسه من الركوع قال : « اللهم ربنا لك الحمد ، ملءَ السمواتِ ، وملءَ الأرض ، وملء ماشئت من شيء بعدُ ، أهلُ الثناء والمجدِ ، أحقُّ ماقال العبد ـ وكلُّنا لك عبدٌ ـ : اللهم لامانعَ لما أعطيتَ ، ولا معطيَ لِما منعتَ ، ولا ينفعُ ذا الجدِّ منك الجد » .

فقوله صلى الله عليه وسلم : « وملءَ ماشئتَ من شيء بعدُ » يشمل ماوراء السموات من عالم السِّدرة والجنة والكرسي وما حواه ، والعرش وما حواه من العوالم ، وعالم اللوح والقلم والكتاب ، ويشمل مابعد مما يشاء الله

تعالى ويخلقه ، فلم يترك سيدنا أحمد صلى الله عليه وسلم موضعَ ذرةٍ من السموات ولا في الأرض ، ولا ما بينهما ولا ما وراءهما من العوالم كلِّها إلا وقد ملأها بحمد الله تعالى وحُسْن الثناء عليه سبحانه ، فهو حقاً أحمد الحامدين لرب العالمين .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل قال : « اللهم ربنا لك الحمدُ أنت قَيِّمُ السموات والأرض ومَن فيهن ، ولك الحمد أنت نورُ السموات والأرض ومن فيهنَّ ، ولك الحمد أنت مَلِكُ السموات والأرض ومَن فيهن ، ولك الحمد أنت الحقُّ ، ووعدك الحق ، ولقاؤك حق ، وقولك حق ، والجنة حق ، والنار حق ، والنبيون حق ، ومحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ حق ، والساعة حق » . الحديث .

فلقد حَمِد اللهَ تعالى حمداً يليق بقيُّوميَّته التي لا نهاية لها ، وحمده حمداً لائقاً بنوره الذي به أظهر السموات والأرض من ظلمة العدم ، وحمده حمداً لائقاً بمقام ملكه الذي شمل السمواتِ والأرضَ ومن فيهن ، وحمده حمداً يليق بوجوب وجوده وهو الحق سبحانه .

فمعنى « اللهم ربنا لك الحمد أنت قَيِّمُ السموات والأرض ومن فيهن » أي : لك الحمد حمداً يليق بقيوميتك التي لا يحيط علماً بها إلا أنت ، وهكذا المحامد بعد ذلك هي على هذا المنوال .

وهذا من باب الحمد لله تعالى على كمالاته الذاتية وصفاته العلية .

وهناك الحمد لله تعالى على برِّه وإحسانه ، ونواله ونعمائه التي لا تعدُّ ولا تحصى ، ولا تحدُّ ولا تُستقصى .

ومن محامده على النعم صلى الله عليه وسلم الجامعة الدائمة : ما رواه أصحاب السنن والإمام أحمد عن أبي أمامة رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رفعتْ مائدته ـ يعني الطعام ـ قال : « الحمد لله حمداً كثيراً طيِّباً مباركاً فيه ، الحمد لله الذي كفانا وآوانا ، غيرُ مكفيٍّ ولا مكفورٍ ، ولا مودَّعٍ ولا مستغنىً عنه ربُّنا » .

فقوله : « غيرُ مكفي » إما برفع « غير » على أنه خبر « ربنا » التي في آخر الحديث ، والمعنى : ربنا غير محتاج إلى الطعام فيكفى ، وربنا لا يكفر ـ أي : لا يجحد ـ فضله ، ولا مودَّع ـ أي : غير متروك ـ من الحمد والثناء ، بل له الحمد الدائم ، ولا مستغنى عنه ، بل كلُّنا فقراءُ إليه ، محتاجون إليه في كل شيء .

قال العلامة المناوي : وإنْ صحت الرواية بنصب « غير » فهو صفة « حمداً » أي : حمداً غير مكفي به ، أي : لا نكتفي به ، بل نعود إليه مرة بعد مرة ، ولا نترك الحمد لك يا رب ، ولا نستغني عنه ، فيكون « ربنا » لفظها منصوب على النداء .

وقد علَّم رسول الله صلى الله عليه وسلم أمتَه جوامعَ من الحمد لله تعالى ورَّغبهم بذلك :

ومن هذا : ما جاء عن أبي أمامة رضي الله عنه قال : رآني النبيُّ صلى الله عليه وسلم وأنا أحرك شفتيَّ فقال لي : « بأيٍّ تُحرِّك شفتيك يا أبا أمامة ؟ » .

فقلت : أذكر الله تعالى يا رسول الله .

فقال : « ألا أُخْبرك بأكثرَ وأفضلَ من ذكرك بالليل والنهار » ؟

قلت : بلى يا رسول الله .

قال صلى الله عليه وسلم : « تقول :

سبحان الله عدد ما خلق ، سبحان الله ملءَ ما خلق ، سبحان الله عدد ما في الأرض والسماء ، سبحان الله ملءَ ما في الأرض والسماء ، سبحان الله عددَ ماأحصى كتابه ، سبحان الله ملء ماأحصى كتابه ، سبحان الله عدد كل شيء ، سبحان الله ملء كلِّ شيء .

الحمد لله عدد ماخلق ، والحمد لله ملء ماخلق ، والحمد لله عدد ما في الأرض والسماء ، والحمد لله ملء ما في الأرض والسماء ، والحمد لله عدد ماأحصى كتابه ، والحمد لله ملء ماأحصى كتابه ، والحمد لله عدد كل شيء والحمد لله ملء كلِّ شيء »[١] .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مَن قال : الحمد لله رب العالمين حمداً كثيراً طيِّباً مباركاً فيه ، على كل حال ، حمداً يوافي نعمَه ، ويكافئ مزيدَه ـ ثلاث مرات فتقول الحفظة ـ أي : الكرام الكاتبون ـ : ربنا لانُحسن كُنْهَ ماقَدَّسَك عبدك هذا وحَمِدك ، وما ندري كيف نكتبه ! ، فيوحي الله إليهم : أن اكتبوه كما قال عبدي »[٢] .

وعن مصعب بن سعد عن أبيه رضي الله عنهما أن أعرابياً قال للنبي صلى الله

---

(١) قال الحافظ المنذري : رواه أحمد وابن أبي الدنيا ـ واللفظ له ـ والنسائي وابن خزيمة وابن حبان في صحيحَيهما باختصار ، والحاكم وقال : صحيح على شرط الشيخين ، ورواه الطبراني بإسنادين أحدهما حسن ا هـ .

(٢) قال المنذري في (الترغيب) : رواه البخاري في الضعفاء .

عليه وسلم : علّمني دعاء لعل الله أن ينفعني بـه ، فقـال صلى الله عليـه وسلم : « قل : اللهم لك الحمدُ كلُّه ، وإليك يرجع الأمرُ كلُّه » . رواه البيهقي .

فسيـدنـا رسول الله صلى الله عليـه وسلم هـو أحمـد الحـامـدين لله رب العالمين ، في جميع العوالم :

في الدنيا كما تقدم في الأحاديث ، وهو أحمد الحـامـدين في الآخرة ، كما ثبت ذلك في أحاديث الشفاعة وغيرها .

ومن ذلك : ما رواه ابن حبان في (صحيحه) عن أنس رضي الله عنـه أن النبي صلى الله عليـه وسلم قـال ـ وذكر الحـديث بطـولـه ـ وفيـه : « فيتجلّى له الربُّ تبارك وتعالى ، ولا يتجلى لشيء قبلـه فيخرُّ لله تعـالى ساجداً ، ويحمده بمحامد لم يحمدْه بها أحد ممن كان قبله ، ولن يَحْمَـده بهـا أحد ممن كان بعده ، فيقال له : يا محمدُ ارفعْ رأسَـك ، تكلَّمْ يُسمعْ ، واشفَعْ تُشَفَّعْ » . فذكر الحديث[1] .

وفي روايـة للصحيحين وغيرهمـا قـال صلى الله عليـه وسلم في حـديث الشفاعة : « فأنطلقُ فأستأذِنُ على ربي ، فيؤذَن لي ، فـأقومُ بين يـديـه ، فأحمدُه بمحامدَ لا أقدِر عليها إلا أن يُلْهِمَنيها » الحديث .

وفي رواية لهما أيضاً : « فأحمد ربي بتحميدٍ يُعَلِّمُنيه ربي » أي : يعلمه ذلك الحمدَ في ذلك العالَم .

وفي رواية للترمذي : « فأَخِرُّ ساجـداً ، فيُلهِمُني الله من الثنـاء والحمـد

---

(١) كما في (ترغيب) المنذري .

ـ أي : مالا يعلمه إلا الله تعالى ـ فيقال لي : ارفعْ رأسك ، سَلْ تُعْطَ ، واشفَعْ تشفَّع ، وقل يسمع لك ، وهو المقام المحمود الذي قال الله تعالى : ﴿ عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً ﴾ » .

وفي رواية لهما : « فأنطلقُ فآتي تحت العرش فأقعُ ساجداً لربي ، ثم يفتحُ الله عليَّ من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحْه على أحد قبلي » الحديث .

فالله تعالى هو الذي يفتح على حبيبه الأكرم صلى الله عليه وسلم في الآخرة فتحاً عظيماً ، يعلمه فيه أنواعاً من جوامع الحمدَ وحسن الثناء عليه سبحانه ، ويتجلَّى لجميع أهلِ الموقف مقامُه الأحمديُّ صلى الله عليه وسلم .

كما أن الله تعالى يُعطيه لواء الحمد ـ أي : اللواء الذي انْتَوَتْ واجتمعت فيه أنواع المحامد ـ الذي يَدخل تحته جميعُ الأنبياء : آدمُ فمن دونه .

روى الترمذي وغيره عن أبي سعيد رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنا سيدُ ولد آدمَ يوم القيامة ولا فخر ، وبيدي لواءُ الحمد[1] ولا فخر ، وما من نبيٍّ آدمَ يومئذ فَمَنْ سواه إلا تحت لوائي ، وأنا أولُ مَن تنشقُّ عنه الأرض ولا فخر » الحديث .

وقد وصف الله تعالى أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بأنهم الحمَّادون ، لكثرة حمدهم لربهم ، متَّبِعين لرسولهم سيدنا أحمدَ صلى الله عليه وسلم ، جعلنا الله تعالى منهم .

---

(١) وقد تكلمنا على لواء الحمد بعض الكلام في كتابنا (الإيمان بعوالم الآخرة) .

الوجه الرابع : في الكلام على : « آل سيدنا محمد » صلى الله عليه وسلم :

اختلف العلماء في المراد بآلِ النبي صلى الله عليه وسلم الوارد ذكرهُم في الصلاة الإبراهيمية :

فذهب الجمهور : إلى أن المراد بهم : الذين حَرُمتْ عليهم الصَدقة ، واستدلوا على ذلك : بما رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُؤْتَى بالتمر عند صرامه - أي : عند قطافه - فيجيء هذا بتمره وهذا بتمره ، حتى يصير عنده كوم من تمر ، فجعل الحسنُ والحسينُ يلعبان بذلك التمر ، فأخذ أحدهما تمرةً فجعلها في فيه ، فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخرجها من فِيه ، فقال : « أما علمتَ أن آل محمد لا يأكلون الصدقة » ؟ .

واستدلوا على ذلك أيضاً بما جاء في صحيح مسلم عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً خطيباً فينا بماء يُدعى خُمّاً بين مكة والمدينة ، فحمد الله تعالى وأثنى عليه وذكّر ووعظ ، ثم قال : « أما بعد ألا أيها الناس إنما أنا بشرٌ يُوشك أن يأتيني رسولُ ربي عز وجل ، وإني تاركٌ فيكم ثقلين : أولهما كتاب الله عز وجل فيه الهُدى والنور ، فخذوا بكتاب الله واستَمْسِكوا به » ، فحثّ على كتاب الله ورغّب فيه ، قال : « وأهلُ بيتي ، اذكروا الله في أهل بيتي ، اذكروا الله في أهل بيتي » .

فقال حصين بن سبرة : مَن أهلُ بيته يازيد ؟ أليس نساؤه من أهل بيته ؟

فقـال زيـد : إن نسـاءه مِن أهـل بيتـه ، ولكنْ أهـلُ بيتــه مَن حُرم الصدقةَ بعده .

قال : مَن هم ؟.

قال : هم آلُ علي وآلُ عقيل وآلُ جعفر وآلُ عباس .

فقال : أكلُّ هؤلاء حُرِم مِن الصدقة ؟

فقال : نعم .

إذاً هؤلاء هم آله صلى الله عليه وسلم ، لأنه جاء في الحـديث كما تقـدم : « إن آل محمد لا يأكلون الصدقة » وجاء أيضـاً في صحيح مسلم من حـديث ابن شهاب وفيه ، فقال صلى الله عليه وسلم لنـا : « إن هـذه الصـدقـةَ إنما هي أوساخُ الناس ، وإنها لا تحِلُّ لمحمد ولا لآل محمد » صلى الله عليه وسلم .

فـالآل الـوارد ذكرهم في الصـلاة الإبراهيميـة المراد بهم : مَن حَرُمت الصدقة عليهم لأن الأحاديث النبوية يفسِّر بعضها بعضاً .

وذهب بعض العلمـاء :إلى أن المراد بـآل محمـد صلى الله عليــه وسلم في الإبراهيميـة هم أزواجـه وذريتـه ، ذكر ذلـك ابن عبـد البر في (التمهيــد) واستـدلـوا على ذلــك : بمـا جـاء في صحيـح مسلم وغيره عن أبي حُميــد السـاعـديّ رضي الله عنـه أن أصحـاب النبي صلى الله عليـه وسلم قـالـوا : يـا رسول الله كيف نصلي عليـك ؟ فقـال : « قولوا : اللهم صـلِ على محمـد وعلى أزواجه وذريته ، كما صليت على إبراهيم » . الحديث المتقدم ، ووجه الحجة في ذلك أن هذه الرواية تفسِّر رواية الآل في بقية الروايات .

وذهب بعض العلمـاء : إلى أن المراد بـالآل الـوارد ذكرهم في الصـلاة

الإبراهيمية : هم جميع أمة الإجابة أي أتباع النبي صلى الله عليه وسلم إلى يوم القيامة .

قال في (جلاء الأفهام) : حكاه ابن عبد البر عن بعض أهل العلم وقال : وأقدمُ من رُوي عنه هذا القول جابر بن عبد الله ، ذكره البيهقي عنه ، ورواه عن سفيان الثوري وغيره واختاره بعض أصحاب الشافعي ، حكاه عنه أبو الطيب الطبري في تعليقه ، ورجحه الشيخ محي الدين النواوي في (شرح مسلم) واختاره الأزهري . اهـ وكذا نقله في (القول البديع) .

وحجتهم في ذلك أن آل المعظَّم المتبوع : هم أتباعه على دينه وأمره ، فإن اشتقاق لفظ « الآل » يدلُّ على ذلك ، فإنه مِن : آلَ يؤول : إذا رجع ، وإن مرجع الأتباع إلى متبوعهم لأنه إمامهم وموئلهم ، قال الله تعالى : ﴿ إلا آلَ لوطٍ نجيّناهم بسحرٍ ﴾ والمراد بآله : أتباعه المؤمنون به من أقاربه وغيرهم .

قالوا : فإذا ورد لفظ آل محمد صلى الله عليه وسلم في الصلوات على النبي صلى الله عليه وسلم ، وفي سياق الدعوات يكون شاملاً أولاً للأتباع الأقربين ، ثم لِسَائر الأتباع أجمعين .

وذهب بعض العلماء : إلى أن آله صلى الله عليه وسلم الوارد ذكرهم في الإبراهيمية : هم الأتقياء من أمته صلى الله عليه وسلم ، واحتجوا على ذلك بما رواه الطبراني بإسناده عن أنس رضي الله عنه قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : مَن آلُ محمد ؟ فقال : « كلُّ تقيٍّ » وتلا النبيُّ صلى الله عليه وسلم ﴿ إنْ أولياؤه إلا المتقون ﴾ ورواه البيهقي أيضاً[1] .

---

(١) والطريقان فيهما ضعف كما في (جلاء الأفهام) (والقول البديع) وغيرهما .

الوجه الخامس : في الكلام على التشبيه الوارد في الصلاة الإبراهيمية :

وفيه بحثان :

البحث الأول : في الكلام على موقع التشبيه الوارد في « اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد ، كما صليت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم » إلى تمامها .

قال في (فتح الباري) : اشتهر السؤال عن موقع التشبيه مع أن المقرر أن المشبه دون المشبه به ، والواقع هنا ـ في الصلاة الإبراهيمية ـ عكسه ، لأن محمداً صلى الله عليه وسلم وحده أفضل من آل إبراهيم ومن إبراهيم ، ولاسيما وقد أضيف إليه آل محمد صلى الله عليه وسلم ، قال : وقضية كونه أفضلَ ـ أي : من إبراهيم وآله ـ أن تكون الصلاة المطلوبة أفضل من كل صلاة حصلت ، أو تحصل لغيره صلى الله عليه وسلم .

قال : وقد أُجيبَ عن ذلك بأجوبة ... ، فساق أجوبة متعددة ونحن نذكر جملة من الأجوبة التي ذكرها في (الفتح) وذكرها غيره من العلماء المتقدمين :

الجواب الأول : أن التشبيه المذكور إنما هو في أصل الصلاة لا في القَدْر والكيفية ، فهذا نظيرُ قوله تعالى : ﴿ إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده ﴾ الآية ، فهذا التشبيه هو في أصل الوحي لا في قدره وفضيلة الموحَى به ، ونظير قوله تعالى : ﴿ وأحسِن كما أحسَن الله إليك ﴾ فلاشك أن أحداً لا يَقدرُ أن يُحسنَ بقدر ما أحسن الله تعالى

إليه ، وإنما المراد به أصل الإحسان لاقدره ، ومن ذلك قول القائل : أحسنْ إلى ولدك كما أحسنتَ إلى فلان ، يُريد بذلك أصل الإحسان لاقدره ، والمعنى : صلِّ على سيدنا محمد صلاةً تليق بمقامه وكما له ومنزلته عندك ، كما صليتَ على إبراهيم صلاة لائقةً بمقامه عندك .

الجواب الثاني : أن التشبيه عائد إلى الآل فقط ، وتمَّ الكلام عند قوله « اللهم صل على محمد » ثم قال : « وعلى آل محمد كما صليت .. » إلى آخرها .

قال في (فتح الباري) : وتُعُقِّبَ ـ أي تعقبَ هذا الجوابَ ابنُ دقيق العيد ـ بأن غير الأنبياء لا يمكن أن يساووا الأنبياء ، فكيف تُطلب لهم صلاةٌ مثلُ الصلاةِ التي وقعت لإبراهيمَ ؛ والأنبياءُ من آله على نبينا وعليهم الصلاة والسلام ؟ قال : ويمكن الجواب عن ذلك بأن المطلوب الثوابُ الحاصل لهم لا جميع الصفات التي كانت سبباً للثواب . ا هـ .

ويَقْرُب من هذا جوابُ العلامة البُلقيني : بأن التشبيه ليس هو في القدر ولا في الرتبة ، حتى يقال : إن غير الأنبياء لا يساوون الأنبياء ، بل التشبيه في أصل الصلاة ، وذلك قدر مشترك بين الأنبياء والآل .

الجواب الثالث : أن التشبيه بالنظر إلى ما يحصُل لسيدنا محمد وآل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من صلاة كلِّ فردٍ فردٍ ، فيحصل من مجموع صلاة المصلين من أول التعليم إلى آخر الزمان أضعاف ما كان لآل إبراهيم مما لا يحصيه إلا الله عز وجل .

قال في (الفتح) : وعبَّر ابن العربي عن هذا بقوله : المراد دوام ذلك واستمراره . اهـ .

قال في (القول البديع) : وقد قال شيخ الإسلام تقي الدين السُّبْكي رحمه الله تعالى : إذا صَلّى عبدٌ على نبيه صلى الله عليه وسلم بهذه الكيفية ، فقد سأل اللهَ تعالى أن يصلّيَ على سيدنا محمد كما صلى على سيدنا إبراهيم وآله ، ثم إذا قالها عبدٌ آخرُ فقد طلب صلاةً أخرى غيرَ التي طلبها الداعي الأول ، ضرورةَ أن المطلوبَيْن ـ وإنْ تشابها ـ مفترقان بافتراق الطالب ، وأن الدعوتَيْن ـ أي : بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم ـ مستجابتان ، إذِ الصلاةُ على النبي صلى الله عليه وسلم دعوةٌ مستجابة ، فلابد أن يكون ماطلبه هذا غيرَ ماطلبه ذاك ، لئلا يلزمَ تحصيلُ حاصلٍ ، كما قال ولده التاج السبكي : إن الله تعالى يصلّي على النبي صلى الله عليه وسلم صلاةً مماثلة لصلاته لإبراهيم عليه السلام وآله كلما دعا عبد ، فلا تنحصر الصلوات عليه من ربه التي كلٌّ واحدة منها بقدر ماحصل لإبراهيم وآله ، إذْ لا ينحصر عددُ مَن صلّى عليه بهذه الصلاة صلى الله عليه وسلم . اهـ .

الجواب الرابع : أن التشبيه إنما هو للمجموع بالمجموع ، فإن آل إبراهيم فيهم الأنبياء الذين ليس في آل محمد صلى الله عليه وسلم ، فإذا طُلِب للنبي صلى الله عليه وسلم ولآله من الصلاة مثلُ مالإبراهيم وآله ـ وفي آل إبراهيم الأنبياء ـ فقد حصل لآل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من ذلك ـ أي : من الصلوات المطلوبة ـ مايليق بهم ، فإنهم لا يبلغون مراتب الأنبياء ، وتبقى الزيادة الكبيرة الكثيرة التي للأنبياء وفيهم إبراهيم عليه السلام ـ تبقى لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، فيحصُل له بذلك مِن المزية مالم يحصل لغيره صلى الله عليه وسلم .

وقد نَقَل هذا القولَ الحافظُ ابنُ حجر في (الفتح) ، وبُسط مفصَّلاً في (القول البديع) ، وكذا في (جلاء الأفهام) ثم قال بعد تقريره : وهذا ـ القول ـ أحسنُ مِن كل ماتقدَّمه .

ونقل الحافظ في (الفتح) عن الإمام النووي رحمه الله تعالى : أن أحسن الأجوبة هو مانُسب إلى الشافعي ، أي : من أن التشبيه متعلق بآل محمد صلى الله عليه وسلم كما تقدم ، وكذا الجواب بأن التشبيه لأصل الصلاة بأصل الصلاة ، أو للمجموع بالمجموع . اهـ .

ثم نقل الحافظ في (الفتح) عن ابن القيم استحسانه تشبية المجموعِ بالمجموع ، وقولَه ـ أي : قولَ ابن القيم ، وأقره عليه ـ وأحسنُ منه أن يقال : ...... وذكر كلامه باختصار .

ونحن نذكره بنصه قال : سيدُنا محمدٌ صلى الله عليه وسلم هو من آل إبراهيم ، بل هو خير آل إبراهيم ، كما رَوَى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : ﴿ إن الله اصطفى آدمَ ونوحاً وآلَ إبراهيمَ وآلَ عِمرانَ على العالمين ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما : محمد صلى الله عليه وسلم هو من آل إبراهيم .

قال : وهذا نصٌّ إذا دخل غيرُه صلى الله عليه وسلم من الأنبياء الذين هم من ذرية إبراهيم في آله ، ـ أي : آل إبراهيم ـ فدخولُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم أولى ، فيكون قولنا : « كما صليت على آل إبراهيم » متناولاً للصلاة عليه صلى الله عليه وسلم وعلى سائر النبيين من ذرية إبراهيم .

ثم قد أمرنا الله تعالى أن نصليَ عليه وعلى آله خصوصاً ، بقَدْر ماصلينا عليه مع سائر آل إبراهيم عموماً ، وهو صلى الله عليه وسلم فيهم ، ويحصل

لآله من ذلك مـا يليق بهم ، ويبقى البـاقي كلُّـه لـه صلى الله عليـه وسلم . أي : كما يليق به .

قال : ويظهر حينئذٍ فائدةُ التشبيه وجَرْيُه على أصله وأن المطلوب له من الصلاة بهذا اللفظ أعظمُ من المطلوب له بغير هذا اللفظ ، فإنه إذا كان المطلوب بالدعاء إنما هو مثل المشبَّه به وله أوفر نصيب منه ، صـار لـه من المشبهِ المطلوبِ أكثرُ مما لإبراهيم وغيره ، وانضاف إلى ذلك مما له من المشَبَّه به من الحصـة التي لم تحصل لغيره . أي : على وجـه يليق بمقـامـه المحمـدي الخاصّ به صلى الله عليه وسلم .

قـال : فظهر بهـذا من فضلـه صلى الله عليـه وسلم وشرفـه على إبراهيم وعلى كلٍّ من آل إبراهيم وفيهم النبيون ـ ماهو اللائق بـه ، وصـارت هـذه الصـلاة دالـةً على هـذا التفصيـل ، وتـابعـة لـه ، وهي من مـوجبـاتـه ومقتضياته ، فصلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلَّم تسليماً كثيراً ، وجزاه الله عنا أفضل ما جزى نبياً عن أمته . اهـ . آمين[1] .

الجواب الخامس : وبه يندفع الإشكال الوارد على التشبيه من أصله :

وذلـك أن المشبَّـه بـه قـد يكـون أرفـعَ من المشبـه ، وأن ذلـك ليس مطرداً ، بل قد يكون التشبيـه بمثل المشبَّـه أو بـدونـه ، قـال الحـافـظ في (الفتح) ـ ونقله السخاوي أيضاً ـ : وذلك كما في قوله تعالى : ﴿ الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة ﴾ .

قال : وأين يقع نور المشكاة من نوره تعالى ، ولكنْ لمـا كان المراد من

---

(١) انظر (فتح الباري) و (جلاء الأفهام) .

المشبه به أن يكون شيئاً ظاهراً واضحاً للسامع سَنّ تشبيه النور بالمشكاة ، وكذا هنا ، لما كان تعظيم إبراهيم عليه السلام وآل إبراهيم بالصلاة عليهم مشهوراً واضحاً عند جميع الطوائف حَسُنَ أن يطلب لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وآلِ سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم - بالصلاة عليهم مثل ماحصل لإبراهيم وآل إبراهيم عليه السلام .

قال في (الفتح) : ويؤيد ذلك ختم الطلب المذكور بقوله : « في العالمين » أي : كما أظهرت الصلاة على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين . اهـ .

البحث الثاني : في الكلام على وجه تخصيص الخليل إبراهيم على نبينا وعليهم الصلاة والسلام بالتشبيه ، دون غيره من الأنبياء صلوات الله تعالى عليهم .

وقد أجاب العلماء عن ذلك عدة أجوبة نذكر بعضها ، وكلُّها محتمِلةُ المراد ، إذ لاتنافي بينها :

الجواب الأول : أن تخصيص ذكر الخليل في الصلاة الإبراهيمية سببه المكافأة له على إرساله السلام على هذه الأمة المحمدية ، مع سيد الأنام صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج ، كما جاء في الحديث الذي رواه الترمذي وحسَّنه عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقيتُ إبراهيم عليه السلام ليلةَ أُسريَ بي فقال : يا محمد أقرئ أمتَك مني السلام وأخبرهم أن الجنة طيِّبةُ التربة عذبةُ الماء ، وأنها قِيعان ، وأن غِراسها : سبحان الله ، والحمد لله ، ولاإله إلا الله ، والله أكبر » . زاد الطبراني في روايته : « ولاحول ولاقوة إلا بالله » .

فمكافـأةً للخليل على نبينـا وعليـه الصلاة والسلام ـ على هـذه التحيـة وحُسنِ الوصية ـ خُصَّ بالذكر والتشبيه .

الجواب الثاني : أنه خُص بالـذِّكر لأنـه سمانـا المسلمين ، كما أخبرنـا الله تعالى عنـه بقولـه : ﴿ هو سَمَّـاكم المسلمين من قَبْلُ ﴾ الآيـة . أي بقولـه : ﴿ ربنا واجعلْنا مسلمَيْن لك ومِن ذريتنا أمةً مسلمةً لك ﴾ الآية .

ولاشك أن العرب من ذريته ومن ذرية ابنـه إسماعيل عليهما السلام ، فخص الخليل بالتشبيه مكافأةً له على ذلك ، أو تكرمةً لمكانـة أبوَّتـه عليـه السلام ، قال تعالى : ﴿ ملةَ أبيكم إبراهيم ﴾ .

الجواب الثالث : أن تخصيص سيدنا إبراهيم بـالـذكر والتشبيـه ، لأن الله تعالى اتَّخذه خليلاً ، قال تعالى : ﴿ واتخذ الله إبراهيمَ خليلاً ﴾ ، وقد اتخذ الله تعالى سيدنـا محمـداً صلى الله عليـه وسلم خليلاً وحبيبـاً ، فهو صلى الله عليه وسلم خليلُ الله تعالى الأكرم ، وحبيبه الأعظم ، فإن مقام الخُلـة التي أُعطيها سيدنا محمـد صلى الله عليـه وسلم فوق مقـام الخُلـة التي أعطيهـا سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام .

روى ابن مـاجـه عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليـه وسلم قـال : « إن الله اتخـذني خليلاً كما اتخـذ إبراهيم خليـلاً ، فمنزلي ومنزل إبراهيم في الجنـة يـوم القيـامـة تُجـاهَيْن ، والعبـاس بيننـا مـؤمن بين خليلَيْن » .

وفي حـديث المعراج الـذي رواه البيهقي وأبـو يعلى والبزار وغيرهم : « إن الله تعالى قال له صلى الله عليه وسلم : يامحمد ، فقال : لبيك يارب ، قـال : سَلْ ، فقـال : إنـك اتخـذت إبراهيم خليلاً » وفي روايـة أبي يعلى :

« إن الله تعالى قال له : إني اتخذتك خليلاً » ، وفي رواية البيهقي : « فقال الله تعالى له : قد اتّخذتك حبيباً[1] » .

وروى مسلم عن أبي هريرة وحذيفة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في حديث الشفاعة حين يأتي أهل الموقف إلى الخليل إبراهيم عليه السلام فيسألونه الشفاعة ، فيقول إبراهيم عليه السلام : « لستُ بصاحب ذلك ، إنما كنتُ خليلاً من وراءَ وراءَ » بفتح الهمزة فيهما بلا تنوين ، ويَجوز فيها البناءُ على الضم ، للقطع عن الإضافة[2] .

قال القسطلاني : وكَرَّر « وراء » إشارة إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، لأنه حصلتْ له الرؤية ـ لله تعالى ـ والسماع ـ لكلامه تعالى ـ بلا واسطة . اهـ .

فمقام الخُلَّة المحمدية أعلى وأكمل ، كما أنه صلى الله عليه وسلم أعطاه الله تعالى المقام أنه حبيب الله تعالى ، وهذا فوق مقام الخلة ، كما دلّ على ذلك الحديث الذي رواه الترمذي والدارمي وأحمد وغيرهم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : جلس ناسٌ من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ينتظرونه ، فخرج حتى إذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون ، فتسمّع حديثهم :

فإذا بعضهم يقول : عجباً ! إن الله تعالى اتخذ من خلقه خليلاً ، فإبراهيم خليلُه .

وقال آخر : ماذا بأعجبَ مِن ﴿ وكلم الله موسى تكليماً ﴾ .

---

(١) انظر (شرح المواهب ٦ : ١٠٣)

(٢) انظر (المواهب وشرحه ٨ : ٣٧٤) .

وقال آخر : فعيسى كلمةُ الله وروحه .

وقال آخر : وآدم اصطفاه الله .

فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلَّم ، وقال : « سمعت كلامكم وعَجَبكم : إن إبراهيم خليل الله وهو كذلك ، وموسى نجيُّه وهو كذلك ، وعيسى روحه وكلمته وهو كذلك ، وآدم اصطفاه الله تعالى وهو كذلك ، ألا وأنا حبيبُ الله ولا فخر ، وأنا حاملُ لواءِ الحمد يوم القيامة : تحته آدم فمن دونه ولا فخر ، وأنا أول شافعٍ وأول مشفَّع يوم القيامة ولا فخر ، وأنا أول من يُحرِّك بحَلَق الجنة ولا فخر ، فيفتح الله فيُدْخِلُنيها ومعي فقراءُ المؤمنين ولا فخر ، وأنا أكرم الأولين والآخرين على الله ولا فخر[1] » صلى الله عليه وسلم .

الجواب الرابع : أن الخليل على نبينا وعليه الصلاة والسلام خُصَّ بالذِّكْر في التشبيه ، لأجل أن يذكر بالجميل على صنعه الجميل مع هذه الأمة المحمدية عليه الصلاة والسلام ، حيث دعا لها بقوله كما أخبرنا الله تعالى في كتابه العزيز : ﴿ ربنا وابعثْ فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتِك ويعلِّمُهم الكتابَ والحكمةَ ويُزَكِّيهم إنك أنت العزيز الحكيم ﴾ ، ولذلك كان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يقول : « أنا دعوةُ إبراهيم و .. » .

فحقيق بهذه الأمة المحمدية أن تَذْكرَ الخليلَ بالجميل ؟ !

وكيف لاتذكره بالجميل ؟! وقد دعا كما أخبرنا تعالى بقوله : ﴿ واجعلْ

---

(١) انظر (سنن الدارمي ١ : ٢٦) .

لي لسانَ صِدْقٍ في الآخِرين ﴾ أي : واجعل لي ثناءً حسناً وذكراً جميلاً في الآخرين من الأمم ، وهي أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، أو المرادُ بالآخِرين : كلُّ أمة جاءت بعده ، فتدخل هذه الأمة المحمدية في ذلك دخولاً أوّلياً لأنها آخر الأمم قولاً واحداً ولانه دعا لها كما تقدم في الآية الكريمة .

قال تعالى : ﴿ إن أولى الناسِ بإبراهيمَ لَلَّذين اتَّبَعُوه وهذا النبيُّ والذين آمنوا ، والله ولي المؤمنين ﴾ .

فهذا النبي في الآية هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم و ﴿ الذين آمنوا ﴾ هم أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

ثم إن دعاء الخليل عليه السلام بقوله : ﴿ واجعلْ لي لسانَ صدقٍ في الآخرين ﴾ هو يستلزم طلبَ التوفيق من الله تعالى للأعمال والأقوال الطيبة المشكورة عند الله تعالى ، وفيها الخير والسعادة لعباد الله تعالى ، فكان المراد بلسان الصدق هنا : الثناء الحسن ، وهو المعبِّر عن حقيقة المحاسن التي اشتمل عليها المُثْنَى عليه .

فإن اللسان يراد به ثلاثةُ معانٍ :

١ ـ معنى الثناء ، كما تقدم .

٢ ـ ويراد به : اللغةُ ، قال تعالى : ﴿ وماأرسلنا من رسول إلا بلسان قومه لِيُبيِّن لهم ﴾ وقال تعالى : ﴿ ومن آياته خَلْقُ السموات والأرض ، واختلافُ ألسنتكِم وألوانِكم ﴾ الآية ، وقال تعالى : ﴿ لسانُ الذي يُلحدونَ إليه أعجميٌّ ، وهذا لسانٌ عربيٌّ مبين ﴾ .

٣ ـ ويراد به أيضاً : الجارحةُ اللسانيةُ نفسها ، قال تعالى : ﴿ لا تحرِّكْ به لسانَك لِتَعْجلَ بِه ﴾ .

فسأل الخليل ربه تعالى لسان صدق أي : ثناءً حسناً معبِّراً عن أعمال مبرورة ، وأقوال مشكورة ، وقربات وطاعات قد تَحقَّق بها ، وذلك ليُقْتَدَى به ويكون أُسْوةً حسنة لمن بعده .

وبلسان الصدق يُحترز عن لسان الكذب ، وهو الثناء بما لاحقيقةَ فعلية له ، فإنه مذموم ، قال تعالى : ﴿ ويُحبُّون أن يُحمدوا بما لم يَفعلوا ، فلاتَحسبنَّهمْ بمفازةٍ من العذاب ﴾ الآية .

ولاشك أن أعظم من أُوتي لسانَ الصدق والثناءَ بالحق ، ورفعة الذكر وعلو المقام والقدر ، هو سيدُنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي أثنى الله تعالى عليه في جميع العوالم والأمم ، ورَفَعَ ذِكْره فوق كل مذكور ، وشكره فوق كل مشكور ، قال تعالى : ﴿ ورفعنا لك ذِكْرَك ﴾ .

الجواب الخامس : أن الخليل عليه السلام خُصَّ بالذِّكْر في التشبيه ، لأنه أفضلُ الأنبياء بعد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، فإنه عليه السلام أبٌ رحيم ، لأن إبراهيم كلمة سريانية ، معناه بالعربية : أب رحيم ، وهو خليل الرحمن كما أخبر الله تعالى عنه ، وهو شيخ الأنبياء .

وقد سماه الله تعالى إماماً ، قال تعالى : ﴿ وإذِ ابْتَلَى إبراهيمَ ربُّه بكلماتٍ فأتَمَّهنَّ ، قال : إني جاعلك للناس إماماً ﴾ .

وسماه أمةً ، قال تعالى : ﴿ إن إبراهيمَ كان أمةً ﴾ والأمةُ هنا معناه : القدوة الكاملة والمعلِّم للخير .

وسماه قانتاً : ﴿ قانتاً لله حنيفاً ﴾ والقانت : هو المطيع لأوامر الله تعالى ، الملازم لطاعته ، والحنيف : هو المقبلُ على الله تعالى ، والمعرِضُ والمائلُ عن غيره .

ولاشك أن إمامَ الأئمة ، والأمةَ الذي هو فوق كل أمة ـ هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، الذي صلتْ وراءه جميع الأئمَة ـ أي : الأنبياء والرسل ـ ليلةَ الإسراء في بيت المقدس .

وكما أنه صلى الله عليه وسلم إمام الأئمة في الدنيا هو إمامهم في الآخرة ، كما أعلن ذلك متحدّثاً بنعمة ربه عليه ، قال صلى الله عليه وسلم : « إذا كان يومُ القيامة كنتُ أنا إمامَ النبيين ، وخطيبهم ، وصاحب شفاعتهم ، غيرَ فخر » . رواه الترمذي وغيره .

وهكذا سيدنا إبراهيم عليه السلام هو أولُ مَن قَرَى الضيفَ ، وأول من اختتن ، وأول من رأى الشيبَ ، فقال : يارب ماهذا ؟ قال : وقار . فقال : رب زدني وقاراً .

وقد شهد الله تعالى له بأنه وفّى بأوامر الله تعالى ، قال تعالى : ﴿ وإبراهيم الذي وفّى ﴾ .

وقد فاز بامتحان الله تعالى له للخُلَّة ، فكان عليه السلام : قلبُه خالياً للرحمن ، وولدَه للقربان ، وبَدنُهُ للنيران ، وماله للضيفان ، وقد فتح الله به بابَ مناظرةِ المبطِلين وإفحامهم بالحجج والبراهين ، كما أخبرنا الله تعالى عن ذلك بقوله : ﴿ فلما جَنَّ عليه الليلُ رأى كوكباً ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ وتلك حُجتنا آتيناها إبراهيمَ على قومه ، نرفعُ درجات مَن نشاءُ ﴾ أي : في العلم والحجة .

وهو عليه السلام بنى البيتَ المعظم : الكعبةَ المشرفة ، وأمره الله تعالى أن يؤذِّن بحجه .

وهكذا مناقبه عليه السلام أكثرُ من أن تُحصر ، وأشهرُ من أن تذكر .

فحُقٌّ لهـذا الخليل النبيل ، والسيـد الجليـل على نبينـا وعليـه الصـلاة والسلام : أن يذكر في التشبيه ضمن الصلاة على سيدنا محمـد صلى الله عليـه وسلم .

الوجـه السـادس : في الكلام على معنى « وبـارِكْ على سيـدنـا محمـد وعلى آل سيدنا محمد » صلى الله عليه وسلم .

البركة اشتقاقها يدلُّ على أمرين :

الأول : الثبوت والدوام .

الثاني : الزيادة والنَّماء .

قال في (الصحاح) : كل شيء ثَبَت وأقام فقد برك .

والبِرْكة ـ بكسر الباء ـ كالحوض ، ويقال : سميت بذلك لإقامة المـاء فيها . ا هـ .

ويقال : هذا الشيء فيه بَرَكة : نمـاء وزيـادة ، والتبريـك : الـدعـاء بذلك .

ويقال : بـاركـه الله تعـالى ، قـال تعـالى : ﴿ أنْ بُورِكَ مَن في النـار ومَن حولها ﴾ .

ويقال : بارك الله تعالى فيه ، قال تعالى : ﴿ التي باركنا فيها ﴾ .

ويقال : بارك عليه ﴿ وباركنا عليه وعلى إسحاق ﴾ .

ويقـال : بـارك الله تعـالى لـه ، وفي الحـديث : « اللهم اهـدني فيمن

هديت ، وعافني فيمن عافيت ، وتولَّني فيمن توليت ، وبارك لي فيما أعطيت » .

والمبارك : الذي قد بارك الله تعالى فيه ، قال تعالى إخباراً عن عيسى عليه السلام : ﴿ وجَعَلني مباركاً أينما كنتُ ﴾ .

ومعنى : ﴿ تباركَ الله ربُّ العالمين ﴾ : تعاظَمَ في كثرة صفاته وكمالاته وبقائها ، وتعاظَمَ في عظيم نعمه وخيراته وإفاضاته أنواعَ البِرِّ والإحسان على مخلوقاته ودوامها ، فهذا الوصف يدل على كثرة كمالات الذات ، وكثرة صفات الأفعال الفيّاضة بالخيرات على المخلوقات .

فالبركة كلها من الله تعالى ، كما قال صلى الله عليهِ وسلم يوم الحُدَيْبِيَة ـ وقد نبع الماء من بين أصابعه الشريفة ـ قال : « حيَّ على الطَّهور المبارك ، والبركةُ من الله تعالى » كما في البخاري .

والبركة : هي ثبوتُ الخير الإلّهي في الشيء المبارك على وجه الكثرة ، قال تعالى : ﴿ وجعلني مباركاً أينما كنت ﴾ أي : موضع الخيرات الإلّهية . وقال تعالى في ليلة القدر : ﴿ إنا أنزلناه في ليلة مباركة ﴾ لكثرة الخير الإلّهي الذي يتدفّق فيها على العباد . وقال تعالى : ﴿ ونزَّلْنا من السماء ماءً مباركاً ﴾ أي : كثيراً خيرُه ونفعُه ، ثم فصّل ذلك بقوله تعالى : ﴿ فأنبتْنا به جناتٍ وحبَّ الحصيد ، والنخلَ باسقاتٍ لها طَلْعٌ نضيدٌ ، رزقاً للعباد ، وأَحْيَيْنا به بلدةً مَيْتاً ﴾ الآية .

وقال تعالى في البركة التي أفاضها سبحانه على الأرض : ﴿ وجَعَلَ فيها رواسيَ مِن فوقها وباركَ فيها ﴾ الآية ، وبهذه البركة صارت الحبةُ

الواحدةُ توضع في بطن الأرض فتُنْبِتُ أضعافَها وأمثالَها ، والنواة الواحدة تُغْرس فتعطي من الثمرات ماشاء الله تعالى من الأعداد ، ولولا ذلك لأعطتْ الحبةُ حبةً ، والنواة مثلها ، فتبارك الله رب العالمين .

وإن أعظم مبارَكٍ بارك الله تعالى فيه وبارك عليه وجعله مباركاً أينما كان ـ هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي بارك الله تعالى في ذاته وذرّاته ، وفي قلبه الشريف ، وسمعه وبصره ، وفي عقله وجميع حواسِّه ومداركه الشريفة ، كما بارك الله تعالى عليه وله في جميع ماأعطاه من الهدى والعلم والعمل ، والخير العام الذي شمل جميع العوالم ، فلا بركةَ أعمُّ منه ، ولا خيرَ أعظم منه صلى الله عليه وسلم .

أما ذاته وذراته الشريفة : فإنها فيَّاضة بالبركات والخيرات ، فما مستْ يده الشريفة طعاماً ولا شراباً إلا سَرَتْ فيه البركة الإلٓهية ، ولا بصق في طعام أو ماء إلا وبُورك فيه ، ولا مَسَحَ رأس إنسان أو وجهه أو موضعاً من جسم إلا حلَّتْ فيه البركة والشفاء والنضارة ، ولا مسَّ جسمه الشريف صلى الله عليه وسلم ثوباً إلا حلَّتْ فيه البركة .

ولقد كان أصحابه صلى الله عليه وسلم يتزاحمون على ماء وَضوئه وعلى نخامته وبصاقه والتبرُّك بثيابه صلى الله عليه وسلم ، وقد أوردنا الأدلة الثابتة على ذلك في آخر كتابنا (حول شمائله الحميدة صلى الله عليه وسلم) فإنك تجد فيه ما يروي الغليل ويشفي العليل .

ولقد بارك الله تعالى له في سمعه وبصره صلى الله عليه وسلم فكان يقول : « إني أرى مالاتَرَوْن ، وأسمعُ مالاتسمعون » .

كما بارك سبحانه وتعالى له في خلقه ، فوسِع الناسَ كلَّهم بخلقه العظيم .

كما بارك له سبحانه في قلبه الشريف فاتَّسَع لنزول القرآن العظيم بنصّه ومعانيه ، ومفاهيمه وإرشاداته ، وروحه وأسراره وأنواره ، لم يتَّسعْ أيُّ قلب ذلك الاتساعَ ، وإلى ذلك أشار سبحانه في قوله : ﴿ نَزَلَ به الروحُ الأمينُ على قلبك ﴾ أي : على قلبك خاصة من بين سائر القلوب كلها .

كما بارك الله تعالى له صلى الله عليه وسلم في قوته الجسمية بحيث لا يستطيع أحد أن يقاومه ، وكان يصرع أقوى مصارع صلى الله عليه وسلم .

وينبغي أن ترجع أيها القارئ في هذا كله إلى كتابنا (الشمائل المحمدية) صلى الله عليه وسلم تجد التفصيل مع الدليل .

كما بارك الله تعالى له صلى الله عليه وسلم في هديه وعلمه ، فجاء بالهدى العام الذي يعمُّ وينفع جميع الأنام ، قال تعالى : ﴿ إنما أنت منذرٌ ولكلّ قومٍ هادٍ ﴾ والمعنى هو كما روى ابن مَرْدَوْيَه عن ابن عباس ، وكما روى ابن جرير عن عكرمة وأبي الضحى قالوا : إن المنذر والهادي هو رسولُ الله صلى الله عليه وسلم .

وَوَجْه ذلك بأن ﴿ هاد ﴾ معطوف على ﴿ منذر ﴾ ، و ﴿ لكل قوم ﴾ متعلق به[1] .

فهو صلى الله عليه وسلم الهادي العامُّ لجميع الأقوام ، قد وسع هديه

(١) انظر (تفسير الآلوسي) وغيره .

الذي جاء به جميعَ الأمم ، ذلك لأن الله تعالى جمع له جميعَ أنواع الهَدْي .

قال تعالى بعد أن ذكر الأنبياء وهَدْيَهم ـ قال سبحانه : ﴿ أولئك الذين هَدَى اللهُ ، فبِهداهُمُ اقْتَدِهْ ﴾ ، ولم يقل سبحانه : فبهم اقتده ، فإنه لم يؤمر باتِّباع نبيٍ قبله ، وإنما قال له : ﴿ فبهداهم اقتده ﴾ ، ولا شك أن هديهم من الله تعالى ، فالله تعالى جمع له الهَدْي كله ، وعلَّمه ذلك كله ، فهديُه صلى الله عليه وسلم صالح ومُصْلح لكل قوم ومُسْعِد لكل أمة .

فتبارك الله رب العالمين ، الذي بارك في هَدْي إمام النبيين صلى الله عليه وسلم ، وإذا كان غيثُ الماء النازل من السماء بارك الله تعالى فيه بركةً تحيا به الأرض ، وتُنبتُ الكلأ والعشب والزروع والأشجار وما فيها من حبوب وثمار وخضار ونضار ، كما تقدم في قوله تعالى : ﴿ ونَزَّلْنا من السماء ماءً مباركاً فأنبتنا به جناتٍ وحبَّ الحصيدِ ﴾ ـ إذا كان الأمر كذلك مشهوداً لا ريب فيه ، فإن البركة الإلَهية في الهَدْي المحمديِّ هي أشمل وأعمُّ ، وأثرها في أرض القلوب أعظمُ وأهمُّ .

قال صلى الله عليه وسلم : « إن مَثَل ما بعثني الله تعالى به من الهُدَى والعلم ، كمَثَل غيثٍ أصاب أرضاً ، فكانتْ منها طائفة طيبة قَبِلتِ الماءَ فأنبتت الكلأ والعشب الكثير ، وكان منها أجادبُ أمسكتِ الماءَ فنفع الله تعالى بها الناسَ ، فشربوا منها وسَقَوْا وزرعوا ، وأصاب طائفةً منها أخرى إنما هي قيعانٌ لا تُمْسِكُ ماءً ولا تُنبتُ كلأً ؛

فذلك مَثَل مَن فَقُه في دينِ الله تعالى ونَفَعه ما بعثني الله تعالى به فعلِم وعلَّم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يَقْبل هدى الله الذي أرسلت به » .

فغيثُ ماء السماء المبارك تحيا به أرضُ الأجسام ومنابتُ الزرع والشجر ، ولكنَّ الغيثَ والغوثَ كلَّ الغيثِ في الهَدْي المحمديِّ المبارك الذي أغاث الله تعالى به أرض القلوب فأحياها ، وأنبت فيها شجرة الإيمان المنبثقة عن لاإله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فشعَّبتْ شُعَب الإيمان ، وأثمرتْ ثمراتَ الأعمال الصالحة والأقوالَ الطيِّبة .

فهذه ثلاثة أمور هامة : أصلُ الشجرة الإيمانية ، وشعوبُها ، وثمراتُها ، وقد أشار الله تعالى إلى ذلك كلِّه بالمثال الذي ضربه للناس لعلهم يتذكرون في قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ كيفَ ضربَ اللهُ مثلاً كلمةً طيبةً كشجرةٍ طيبةٍ أصلُها ثابتٌ وفرعُها في السماء تؤتي أكلَها كلَّ حينٍ بإذن ربِّها ، ويضربُ الله الأمثالَ للناسِ لعلهم يتذكَّرون ﴾ .

وقال صلى الله عليه وسلم : « الإيمانُ بضعٌ وسبعون شعبةً ، فأَفْضَلُها قولُ لاإله إلا الله ، وأدناها إماطةُ الأذى عن الطريق . قال : والحياءُ شعبةٌ من الايمان » كما جاء في صحيح مسلم وغيره .

وإنَّ إفاضاتِ البركاتِ بالخيراتِ والسعاداتِ من سيد السادات على أنواع المخلوقات لا يُحيط بها إلاّ ربُّ الأرض والسموات .

الوجه السابع : في الكلام على قوله : « في العالمين » :

قال الحافظ السخاوي رحمه الله تعالى : أشار بقوله « في العالمين » إلى اشتهار الصلاة والبركة على إبراهيم في العالمين ، وانتشار شرفه وتعظيمه ، وأن المطلوب لنبينا عليه الصلاة والسلام صلاةً تشبه تلك الصلاةَ وبركةً تُشبه تلك البركةَ في انتشارها في الخلق وشهرتها . وقد قال الله تعالى : ﴿ وَتَركْنا عليه في الآخرين سلامٌ على إبراهيم ﴾ . اهـ .

فالله سبحانه وتعالى قد أكرم خليله عليه السلام ، وشَهَرَ صيته ، ونشر مدحه في العالمين ، ولكنه سبحانه رفع ذِكْر حبيبه الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم فوق كل مذكور ، بثناء وشكور في جميع العالمين الأولين والآخرين ، كما قال صلى الله عليه وسلم : « وأنا أكرمُ الأولين والآخرين على ربي ولا فخر » .

وشهر صيت حبيبه ، ونشر له أعلام المدح والثناء ، وأعطاه راية المجد ولواء الحمد ، الذي يدخلُ تحته جميعُ الأنبياء ، كما قال صلى الله عليه وسلم : « آدمُ فَمَنْ دونه تحت لوائي ولا فخر » .

جعلنا الله تعالى مِن أتباعه ، وأدخلنا تحت لوائه ، وجعلنا من رفقائه صلى الله عليه وسلم .

والعالمون هو اسم ملحق بالجمع ، مفردُه : عالَم ، وهو ما يُعلَم به ، كالخاتَم : وهو ما يختم به ، والطابع : وهو ما يُطبع به ، وسُمي العالَمَ بهذا الاسم لأنه علامةٌ على خالقه الذي خَلَقه ، فهو عالم أي : يُعلم به خالقُه ومدبِّره .

والعالمون : يشمل أصنافَ المخلوقاتِ كلها : عالَم المُلْك ، وعالَم الملكوت ، وعالَم الجبروت ، ويدخل تحته عالَم الملائكة ، وعالم الأنس ، وعالم الجن ، ويدخل تحته جميع الأرواح ، وعالم الأشباح ، وعالَم الخَلْق ، وعالم الأمر ، والعوالم لا يحصي عددَها إلا الله تعالى ، قال تعالى : ﴿ وما يَعلمُ جنودَ ربك إلا هو ﴾ والبحث في بيان بعض أنواع العوالَم ، سيأتي في غير هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

وقد روى بعض المحققين من العارفين : أن العوالَم العرشية ـ أي

المنوطة بعالم العرش الكريم ـ لا يعلمها إلا الله تعالى ، وأن هناك مائةَ ألفِ قنديل معلقة بالعرش ، وأن السموات والأرض والجنة والنار هي قنديل واحد من تلك القناديل ، ولا يَعلمُ ما في بقية القناديل من العوالم إلا ربُّ العالمين سبحانه وتعالى . اهـ . فهذه من مضامين عالَم العرش ، ولا يعلم بقيةَ العوالم إلا ربُّ العالمين سبحانه .

قال عبد الله : ولا ينبغي أن يرتاب العاقلُ في وجود تلك القناديل المنوطة بالعرش ، فقد قال صلى الله عليه وسلم ـ كما رواه أبو داود والإمام أحمد في مسنده وغيرهما ـ في حديث شهداء أحد وفيه : « إن أرواحهم تأوي إلى قناديلَ من ذهبٍ معلَّقةٍ في ظلِّ العرش » الحديث .

فالعالَم علامة دالَّة على خالقه يُعلَم به قدرةُ الله تعالى العظيمةُ ، وعلمُه الواسع لكل شيء ، وحكمتُه التي عَلَتْ كلَّ شيء ، وقال تعالى : ﴿ اللهُ الذي خَلَقَ سبعَ سمواتٍ ، ومن الأرضِ مثلَهنَّ ، يتنزَّلُ الأمر بينهنَّ لتعلَموا أن الله على كل شيءٍ قديرٌ ، وأن الله قد أحاط بكلِّ شيءٍ عِلْماً ﴾ .

فقد أخبر سبحانه في هذه الآية الكريمة أنه سبحانه خلق العالَم السماويَّ والأرضَ وما بينهما ، ليُعلم بقدرته على كل شيء ، وعلمه المحيط بكل شيء ، فالعوالم مرايا ومجالي تنجلي فيها آثارُ صفاتِ الله تعالى ، وتُرى فيها بدائعُ صُنْعه وخلقه ، قال تعالى : ﴿ صُنْعَ الله الذي أتقن كلَّ شيء ﴾ وقال تعالى : ﴿ هذا خَلْقُ الله ﴾ أي : هذا خلْقُ الله تعالى تشاهدونه ، فكيف لاتشهدون بحقيَّةِ خالقه فتقولون : لاإله إلا الله ، فإنها أحقُّ الشهادات وأصدقُها ، لأن شواهدها لاتعدُّ ، ومشاهدها لاتُحدُّ . والبحثُ في ذلك طويل الذيل ، وسوف يأتي في موضعه إن شاء الله تعالى .

الوجه الثامن : اختتام الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم بـ « الحميد المجيد » :

وهذا البحث يشتمل :

أولاً : على معنى : « الحميد والمجيد » ، والفرق بينهما .

وثانياً : على مناسبة اختتام صيغة الصلاة الإبراهيمية بهما .

أما معنى « الحميد المجيد » : فقد قال الحافظ السخاوي : الحميد : فعيل من الحَمْد ، بمعنى المحمود وأبلغُ منه . - يعني أن الحميد أبلغُ من المحمود - وهو : مَنْ حصل له من صفات الحمد أكملُها ، وقيل : بمعنى الحامد ، وهو أن يَحْمَد أفعالَ عباده ، والمجيد : هو : من المجد ، وهو صفة الإكرام . اهـ .

فالحميد : بمعنى المفعول ، هو أبلغ من المحمود ، لأن الحميد هو الذي اجتمع فيه من صفاتِ الكمال وأسبابِ الحمد له ما يقتضي أن يكون محموداً ، وإن لم يحمدْه غيره ، فهو حميد في نفسه ، وحُقّ له أن يَحمَده غيرُه ، وأما المحمود فهو الذي تعلَّق بهِ حَمْد الحامدين له .

فالله تعالى هو الحميد من قَبل أن يخلق خلقاً يحمدونه ، أي : المحمودُ غايةَ الحمد ، على وجه الاستمرار الدائم أزلاً وأبداً ، لأنه متَّصفٌ بجميع الكمالات والمحامد السنية ، ففيه جميعُ أسبابِ الحمد التي تقتضي أن يُحمد ، فهو أهلٌ أن يُحمد ، وحُقّ له أن يُحمد على كماله في ذاته وصفاته ، وعلى نواله وإحسانه الذي عمَّ جميعَ مخلوقاتِه جل وعلا ، وقد بيَّن ذلك لعباده في قوله سبحانه : ﴿ الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين ﴾ .

ومعنى ذلك : أنه سبحانه يُحمد ، لأنه هو الله تعالى المتَّصفُ بجميع الكمالات المطلقة ، ويُحمد لأنه هو رب العالمين خالقهم ورازقهم ومربِّيهم ، والرحمن الرحيم بهم ، والمالكُ والمِلكُ ليوم الدين ، الذي فيه يُجازيهم ويُحاسبهم ﴿ ليجزيَ الذين أساءوا بما عَمِلوا ، ويجزيَ الذين أحسنوا بالحسنى ﴾ .

ويُحتمل أن يكون معنى اسم الحميد سبحانه : الحامد ، فإنه لم يزل ولا يزال يحمد نفسه ، ويثني على نفسه ، قال تعالى : ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم : « سبحانك لاأُحصي ثناءً عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك » . وحُقَّ له ذلك لأن كماله ذاتيٌّ له من ذاته لم يكتسبِ الكمالَ من غيره ، وأما غيرُ الله تعالى فلا يجوز أن يُثني على نفسه لأن كماله ليس من ذاته ، بل يجب عليه أن يثني على الذي أسبغ عليه الكمال ، وهو الله تبارك وتعالى .

وهو سبحانه الحامد أيضاً لعباده إذا أحسنوا وأصلحوا وأخلصوا ، فإنه سبحانه يَحْمَدهم ويُثني عليهم ويشكرهم على ذلك ، قال تعالى : ﴿ ما يَفْعَلِ اللهُ بعذابكم إنْ شكرتُم وآمنتم ، وكان الله شاكراً عليماً ﴾ ويقول سبحانه لأهلِ الجنة : ﴿ إنَّ هذا كان لكم جزاءً وكان سَعْيُكم مشكوراً ﴾ وقال تعالى في ثنائه على عباده المحسنين : ﴿ الذين يُنفقون في السَّراء والضَّراء ، والكاظمين الغيظَ ، والعافين عن الناس ، والله يُحبُّ المحسنين ﴾ .

وأما **المجيد** :فهو مشتق من المجد الدالِّ على صفات العظمة والجلال ، والسعة والشرف ، فهو على وزن فعيل بمعنى الفاعل . قال الله تعالى :

﴿ والقُرآنِ المجيـدِ ﴾ أي : لـه المجـدُ والشرفُ والفضل على سـائر الكـلام ، ويجوز أن يكون على معنى المفعول ، أي : الممجَّـد في المـلأ الأعلى ، والمـلأ الأدنى ، كما أنه تعالى المسبَّح والمقدَّس ، وفي الحديث : « فإذا قـال العبـدُ : مالكِ يومِ الدين ، قال الله تعالى : مجدَّني عبدي » فهو سبحانه المجيد أي : الممجَّد .

وقد جاء وصفه سبحانـه وتعـالى بـالحميـد والمجيـد مقترنيْنِ في كثير من الآيات والأحاديث :

قـال الله تعـالى : ﴿ رحمـةُ اللهِ وبركاتُـه عليكم أهـلَ البيتِ إنـه حميـدٌ مجيدٌ ﴾ وقال تعالى : ﴿ الحمـد لله رب العـالمين . الرحمن الرحيم . مـالـك يوم الدين ﴾ .

روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنـه قـال : سمعت رسول الله صلى الله عليـه وسلم يقـول : « قـال الله عـزَّ وجـلَّ : قسمتُ الصلاةَ بيني وبين عبـدي ؛ ولعبـدي مـاسـأل . فـإذا قـال : ـ أي العبـد ـ ﴿ الحمـد لله رب العـالمين ﴾ قـال الله تعـالى : حَمِـدني عبـدي . وإذا قـال : ﴿ الرحمن الرحيم ﴾ قال الله : أثنى عليَّ عبدي ، فإذا قال : ﴿ مالـك يوم الـدين ﴾ قال الله : مجَّدني عبدي » الحديث .

وروى مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قـال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رفع رأسه من الركوع قال : « اللهم ربَّنا لـك الحمـد ملءَ السموات ِ وملءَ الأرض ، وملءَ مـاشئتَ من شيءٍ بعـدُ ، أهلَ الثنـاء والمجد ، أحقُّ ماقال العبد ـ وكلُّنا لك عبد ـ اللهم لا مانعَ لما أعطيتَ ، ولا مُعطيَ لما منعتَ ، ولا ينفعُ ذا الجَدِّ منك الجَدُّ » .

وأما وجه اختتام الصيغة الإبراهيمية بهذين الاسمين الكريمين : « الحميد المجيد » :

فهو أن صلاة الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم تشتمل على ثناء الله تعالى ، وتكريمه صلى الله عليه وسلم والتنويه به ، ورَفع ذكره صلى الله عليه وسلم ، وزيادة حبّه وتقريبه ، فهي مشتملة على الحمد والمجد ، فإن المصلّي عليه صلى الله عليه وسلم هو يطلبُ من الله تعالى أن يَزيدَ من حمده ومجده ، فإن صلاته سبحانه على نبيه صلى الله عليه وسلم فيها نوعُ حمدٍ له صلى الله عليه وسلم وتمجيد .

فذِكْر هذين الاسمين « الحميدِ المجيدِ » آخرَ الدعاء بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم : مناسبٌ تماماً وذلك لأن من آداب الدعاء ـ كما قال ابن حجر وغيره ـ أن يُختَم بما يناسبه من أسمائه تعالى ، لما فيها من التوسل بما يُوجبُ تعجيلَ الإجابة ، والتفاؤل بحصول المطلوب .

قال الله تعالى إخباراً عن الخليل وابنه إسماعيل في دعائهما : ﴿ربَّنا واجعلنا مسلميْن لك ، ومن ذريتنا أمةً مسلمةً لك ، وأَرِنا مناسكَنَا ، وتُبْ علينا ، إنك أنت التوابُ الرحيم﴾ فختَم الدعاءَ بما يُناسبه .

وقال تعالى مخبراً عن سليمان عليه السلام في دعائه : ﴿ ربِّ هبْ لي مُلْكاً لا ينبغي لأحدٍ من بعدي ، إنك أنت الوهَّاب ﴾ .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « ربِّ اغْفِرْ لي وتُبْ عليَّ ؛ إنك أنت التوابُ الغفور » مائةَ مرة في مجلسه . وعلَّم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الصدّيقَ الأكبرَ رضي الله عنه دعاءً يدعو به في صلاته : « اللهم

إني ظلمتُ نفسي ظلماً كثيراً ولا يغفر الـذنوبَ إلا أنت ، فـاغْفِر لي مغفرةً من عندك وارحمني ، إنك أنت الغفور الرحيم » .

فلما كان المطلوبُ للرسول صلى الله عليه وسلم حمدٌ ومجدٌ بصلاة الله عليه : خَتَم هذا الدعاءَ في الإبراهيمية باسمَي : « الحميدِ المجيد » .

وأيضاً فإنه لما طلب للرسول صلى الله عليه وسلم حمدٌ ومجدٌ بالصلاة عليه وذلك يستلزم الثناء على الله تعالى بالحمد والمجد ، لأنه سبحانه هو الذي أرسله صلى الله عليه وسلم ـ فكان هذا الدعاءُ متضمناً طَلَبَ الحمد والمجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومتضمِّناً الإخبارَ عن ثبوت الحمد والمجد لله تعالى ، وبهذا التوجيه يظهر وجه التذييل باسمَيْه : « الحميد والمجيد » على المفعولية ، وما سبق من التوجيه فعلى الفاعلية ، وهما متلازمان فتَبصَّر .



حكمة تقديم السلام على النبي صلى الله عليه وسلم على الصلاة عليه في قعود الصلاة

قد يُشكل على المؤمن المتبصّر في أوامر الله تعالى الشرعية ، وجهُ تقديم السلام على الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم في قعود الصلاة ، وذلك : أن التسليم عليه صلى الله عليه وسلم هو مطلوبٌ ضمنَ التشهد ، كما علّم رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته ذلك ، وقد تقدّم حديث التشهد ، وأما الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم فهي بعد التشهد ، وفي ذلك تقديمُ السلام على الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم ! .

فكيف يتفق هذا مع تقديم الأمر بالصلاة على الأمر بالسلام عليه صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى : ﴿ ياأيها الذين آمنوا صلّوا عليه وسلّموا تسليماً ﴾ .

وقد كان صلى الله عليه وسلم شديدَ الحرص قويَّ التحرّي لتقديمِ ماقدّمه الله تعالى ، والبدء بما بدأ الله تعالى به ؛ ففي صحيح مسلم من حديث جابر رضي الله عنه ، وفيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فرغ من طوافه بالبيت عاد إلى الركن ـ أي الحجر الأسود ـ فاستلمه ثم خرج من باب الصفا وهو يقول : ﴿ إن الصفا والمروةَ من شعائرِ اللهِ ﴾ ثم قال صلى الله عليه وسلم : « أَبدأُ بما بَدأَ الله به » وفي رواية النسائي : « اِبدءُوا بما بَدأَ الله به » .

فقد بدأ صلى الله عليه وسلم ، وأمر الناس أن يبدءوا بما بـدأ الله تعـالى به ، وكان صلى الله عليه وسلم يبدأ وضوءه ويرتِّب غَسْلَ أعضاء الوضوء بما بدأ الله تعالى به ورتَّبه في قوله تعالى : ﴿ ياأيها الـذين آمنوا إذا قُمتُمْ إلى الصَّلاةِ فاغْسِلوا وجوهَكم وأيديَكمْ إلى المرافقِ وامسَحُوا برؤسكم وأرجُلَكُمْ إلى الكعبين ﴾ الآية .

فلِمَ قُـدِّمَ السـلامُ على الصـلاة عليـه صلى الله عليـه وسلم في قعـود الصلاة ؟ ! .

فالجواب عن ذلك : أولاً : إن تقديم السلام على الصلاة عليه صلى الله عليـه وسلم في قعود الصـلاة ، فيـه حِكَمٌ عظيـمة ، وذلـك : أنَّ الصـلاة لله تعالى قد اشتملتْ على عبادةِ وعبوديَّـةِ جميعِ الجوارح والأعضـاء والمـدارك ، مع عبوديَّة القلب ، ولكلِّ عضوٍ نصيبُه من العبادة والعبوديـة ، فـإن جميعَ أعضاء المصلِّي وجوارحَه تتحرَّكُ في الصلاة عبادةً لله تعالى : ذُلاً وخضوعاً وعبودية . أي : تَذَلُّلَ وخضوعَ عبدٍ مخلوقٍ لربٍّ خالق جلَّ وعلا .

فلما أكمل المصلي هذه العباداتِ ، وانتهت تحرُّكاته وتنقُّلاته من : قيـام إلى ركوع إلى سجود ، خُتِمتْ بـالجلـوسِ بين يـديْ رب العـالمين : جلـوسِ عبادةٍ فيه تذلُّلٌ وانكسارٌ وخضوع لعظمـة الله تعـالى ، جلوسِ عبـدٍ ذليل بين يديْ ربٍّ جليل .

ثم أُذِن لهـذا العبـد أن يُثني على ربـه الجليل بـأبلغ أنـواع الثنـاء ، ألا وهو : « التحيات لله والصلوات والطيبات » .

فقد علَّم رسول الله صلى الله عليه تعالى عليه وسلم أمتَه أن يُقدِّموا هذا

الثناءَ الجامع بين يديْ ربِّ العزة والجلال ، فإنَّ الداخل على الملوك لا بدَّ وأن يحيِّيهم بما يليق بهم من التكريم والتعظيم ، وإن ملكَ الملوك ومالكَ المُلْك ، وربَّ الأرباب عظيمَ الجناب : هو الله الكبير المتعال ، فيجب أن يُحيّا بأبلغِ وأجمعِ أنواعِ الثناء والإجلال والتعظيم ، فطُلب من هذا العبد المصلّي حين جلس أن يقدِّم بين يدي ربه سبحانه ، ذلك الثناءَ والتعظيم والإجلال ، لمن له العظمة والكبرياء والعزَّة والجلال ، فيقول : « التحيات لله والصلوات والطيبات » .

ثم بعد ذلك يحيِّي رسول الله صلى الله عليه وسلم بتحية خاصة لائقة ، لأنه صلى الله عليه وسلم هو الذي هَدَى العباد إلى الله تعالى ، وعرَّفهم بالله تعالى الذي خلقهم ، ولِمَ خلقهم ، وعرَّف هذا الإنسانَ : مَن هو الإنسان ، وما هي هذه الأكوانُ : المشهودةُ بالعِيان ، أو الثابتةُ بالقرآن الذي جاء بالحجة والبرهان ، وعرَّف هذا الإنسان طريق السعادة في الدنيا والآخرة ، فكان عليه لِزاماً أن يخصَّ هذا النبيَّ الكريم صلى الله عليه وسلم بالتحية الخاصة اللائقة الكاملة ، فيقول : « السلامُ عليك أيها النبيُّ ورحمةُ الله وبركاته » .

ثم يحيِّي جميع عباد الله الصالحين ، كما سيتضح في الجواب الآتي مفصَّلاً .

والجواب ثانياً : هو أن الصلاة كما جاء عنه صلى الله عليه وسلم : « الصلاةُ قُربان ، والصيام جُنَّة ، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يُطفئ الماءَ النار »[1] . فالصلاة قربة عظيمة إلى الله تعالى ، وبيان ذلك :

---

(١) رواه أبو يعلى عن جابر رضي الله عنه ، ورواه القضاعي عن أمير المؤمنين علي كرم الله تعالى وجهه مرفوعاً : « الصلاة قربان كل تقيّ » . أي : يطلبون القرب منه سبحانه بالصلاة .

هو أن الصلاة لله تعالى ينطوي فيها عدة مراحل تعبُّديَّة ، بها يَتَقرَّبُ العبد إلى ربه سبحانه ، فينتقل العبد في صلاته من مرحلة إلى مرحلة ، ومن حالةِ قربٍ إلى حالة قرب ، وهكذا دوالَيْك ، و « أقربُ ما يكون العبدُ من ربه وهو ساجد » كما قال صلى الله عليه وسلم ، فجميع أحوال الصلاة هي في قرب ، لكنْ أقربُ أحوالِ العبد من ربه وهو ساجد .

وهكذا حتى إذا انتهى إلى القعود دخل في حضرة قربٍ خاصة ، بعد ماحلَّ وارتحل ، وعَرَج بروحه حتى وصل ، فلما دخل تلك الحضرة قيل له : حَيِّ ربَّك الذي دخلتَ حضرته ، وليس من اللائق أن يحيِّي ربَّه بمثل مايحيِّي به العباد بأن يقول : السلام على الله ، فإن الله تعالى هو السلام ، وقد تقدم في الحديث أن بعض الصحابة كان يقول في قعوده : السلام على الله ، فقال لهم صلى الله عليه وسلم : « لاتقولوا : السلام على الله ، إن الله هو السلام ، ولكن قولوا : التحيات لله والصلوات والطيبات .. » الحديث ، فعلَّمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك التحية الجامعة لأنواع الثناء والتعظيم والتوحيد والتفريد بأن يقولوا :

«التحيات لله» : يعني : أن تحية كلِّ محيٍّ وثناء كلِّ مُثْنٍ من أهل الملأ الأعلى والأدنى هي لله تعالى وحده ، حقاً ذاتياً له لائقاً بجلاله وجماله وكماله .

« والصلوات » : أي : صلوات جميع المصلِّين من الخلق أجمعين ، ويدخل في هذا صلواتُ الملائكة والإنس والجنّ والطير وكل ما خلق الله تعالى ، فإن ذلك كله لله تعالى وحده حقاً . قال الله تعالى : ﴿ ألم تَرَ أن الله يُسبِّح له مَنْ في السمواتِ والأرضِ والطيرُ صافّاتٍ ، كلٌّ قد عَلِمَ صلاتَه وتسبيحَه ، واللهُ عليمٌ بما يفعلون ﴾ .

« **والطيبات** » : أي : الطيبات القولية المشتملة على التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير وغير ذلك ، قال تعالى : ﴿ إليه يَصعدُ الكَلِمُ الطيّب ﴾ وهي : ما تفرَّع عن شجرة الكلمة الطيبة التي هي أصل الأصول والفروع ، وهي : لا إله إلا الله . قال تعالى : ﴿ ألم تَرَ كيف ضربَ اللهُ مثلاً كلمةً طيبةً كشجرة طيبة ﴾ الآية ، جاء في الحديث هي : لا إله إلا الله .

فجمع المصلِّي جميع تلك التحيات والصلوات العملية والطيبات القولية وقدَّمها محيِّياً بذلك ربَّ العزة جل وعلا .

ثم شرع المصلِّي يحيي الواسطةَ الكبرى بين الحقّ والخلق ، والوسيلةَ العظمى حبيبَ الله الأعظم ، ورسوله الأكرم صلى الله عليه وسلم ، رئيس ديوان الحضرة الإلهية ، وإمام ذوي المراتب العليّة ، يحييه بسلام لائق بمنصب نبوّته الجامعة الخاتمة ، قائلاً : « **السلام عليك أيها النبيُّ ورحمة الله وبركاته** » .

فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم أتمَّ سلام ، معرَّفاً بالسلام التي استغرقتْ جميعَ مراتب السلام ، مقروناً بالرحمة والبركة ، التي تليق بمنصبه الشريف صلى الله عليه وسلم ، مقدَّماً له على نفسه بالسلام ، لأنه صلى الله عليه وسلم أولى به من نفسه ، فإنه لولاه مااهتدى إلى الله تعالى ، ولا عَرَف الله تعالى ، ولا عَرَف كيف تكون الصلاة لله ، والصلةُ بالله تعالى .

ثم أخذ المصلي يقرأ السلام على نفسه من ربه تعالى ، وعلى عباد الله الصالحين من أهل السماء والأرض ، وبدأ بالسلام على نفسه قبلهم ، لأنها أهمُّ ، والإنسان يبدأ بنفسه ثم بمن يعول ، فقال : « **السلام علينا وعلى**

عباد الله الصالحين » . أي : من أهل السماء والأرض ، كما جاء ذلك في الحديث الصحيح كما تقدم .

ثم أخذ المصلي بالشهادة والإشهاد ، فيتشهّد ويُشهد الله تعالى ورسولَه صلى الله عليه وسلم وجميعَ عباد الله الصالحين على شهادته **بأن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله** ، أي : عبدُه المقرَّبُ ، ورسوله الحبيب المحبَّب ، الذي نال أشرف مقام في العبادة والعبودية والعبدية لله تعالى ، فهو سيد العِباد وإمام العُبَّاد ، كما وصفه الله تعالى في أشرف مقاماته التي أقامه الله تعالى بها ، قال سبحانه في مقام إنزال الكتاب عليه : ﴿ الحمدُ لله الذي أنْزل على عبده الكتابَ ﴾ وقال تعالى في مقام الإسراء الذي خصَّه الله تعالى به : ﴿ سبحانَ الذي أسرى بعبده ليلاً ﴾ . وقال تعالى في مقام المعراج : ﴿ فأوحى إلى عبدِه ما أوحى ﴾ . وقال تعالى في مقام النصر والفرقان : ﴿ وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان ﴾ أي : يوم بدر .

فنال صلى الله عليه وسلم أعلى مقامات العبودية والعبدية والعبادة ، وخُصَّ بمقام الوسيلة الذي لا ينبغي أن يكون إلا لعبدٍ واحد ؛ قال صلى الله عليه وسلم : « وأرجو أن أكونَ أنا هو » .

كما أنه صلى الله عليه وسلم أعطاه الله تعالى أكمل مراتب الرسالة ، فهو صلى الله عليه وسلم صاحبُ الرسالة العامة التي لم ينلها غيره ، قال صلى الله عليه وسلم : « وكان كلُّ نبيّ يُبعثُ إلى قومه خاصةً ، وبُعثتُ إلى الناس كافة » الحديث . وقال صلى الله عليه وسلم : « والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حياً ما وسِعَه إلا أن يتبعني » الحديث كما في مسند أحمد .

فقدَّم العبد المصلي حين دخل في تلك الحضرة الخاصة ـ قدم التحيات

لله تعالى أولاً ، ثم التحيةَ لسيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم إمام أهل الحضرة ، ثم التحيةَ لجميع عباد الله الصالحين .

وتشمل هذه التحية الصالحين صلاح النبوة والرسالة ، فإن صلاحَهم الذي اتصفوا به هو صلاح خاصٌّ بالأنبياء والمرسلين ، قال تعالى : في صفة الخليل على نبينا وعليه الصلاة والسلام : ﴿ ولقدِ اصطفيناه في الدنيا ، وإنه في الآخرة لَمِنَ الصالحين ﴾ . وقال تعالى في إسحاق عليه السلام : ﴿ وبشَّرناه بإسحاق نبياً من الصالحين ﴾ . وقال في لوط عليه السلام : ﴿ وأدخلناه في رحمتنا إنه من الصالحين ﴾ . وقال تعالى : ﴿ واسماعيلَ وإدريسَ وذا الكِفْلِ كلٌّ من الصابرين ، وأَدْخلناهم في رحمتنا ، إنهم من الصالحين ﴾ . وقال سبحانه مخبِراً عن يوسف عليه السلام : ﴿ توفّني مسلماً وألحقْني بالصالحين ﴾ . وقال تعالى في يحيى عليه السلام : ﴿ وسيِّداً وحَصُوراً ونبياً من الصالحين ﴾ .

كما أن تحية المصلِّي لعباد الله الصالحين تشمل أيضاً الصالحين صلاحَ الوَلاية والقرب ، ويدخل تحت هذا الصلاح أصحابُ النبي صلى الله عليه وسلم وأولياءُ التابعين إلى يوم الدين ، والصالحين الأولياء من الأمم السابقة .

وتشمل هذه التحية أيضاً الصالحين من عباد الله الإنس والجنّ بالصلاح العام .

وتشمل هذه التحية الملأً الأعلى من الملائكة وحملة العرش ومن حوله ، ورؤساء الملائكة سيدنا جبريل عليه السلام وميكائيل عليه السلام ، وجميع ملائكة السموات ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« فإذا قال العبد ذلك ـ أي تلك التحية ـ أصابتْ كلَّ عبدٍ صالح في السماء والأرض » .

وقـد كان بعض الصحـابـة رضي الله عنهم يقـول قبـل أن يعلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم التشهد ـ يقول : السلام على الله ، السـلام على جبريـل ، السـلام على ميكائيـل ، فنهـاهم عن ذلـك ، وأرشـدهم إلى التشهـد ، ودخل السلام على جبريل وعلى ميكائيـل في ذلـك السـلام على عباد الله الصالحين ، وعلى كل صالح على حسب مقام صلاحه كما تقدم .

ثم بعد هذا السلام جاء بأطيب الكلام وهو :« **لا إلـه إلا الله محمـد رسول الله** » ، فشهد هذ العبد المصلي وأشهدهم كلَّهم على شهادتـه بلا إلـه إلا الله وأن محمـداً عبـده ورسـولـه ، فسُجِّلتْ لـه تلـك الشهـادة في ديـوان الحضرة الإلهية ، وشهد على ذلـك رب العزة جل وعلا ، وشهـد على ذلـك حبيب الله تعـالى الأكرم صلى الله عليـه وسلم ، وجميع عبـاد الله الصـالحين من أهل السماوات وأهل الأرضين ؛ فما أشرفَ هذا المقـامَ ، ومـا أرفع هـذه الشهادة ، وما أعظمها وما أفضلهـا من شهـادة ، ومـا أجمع صيغـة التشهـد للمعاني والأسرار القدسية العالية ! ! .

فجزى الله تعالى عنا نبينا سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم ماهو أهله ، فإنه هو الذي علمنا ذلـك ، قـال ابن مسعود وابن عبـاس رضي الله عنهما : كان رسـول الله صلى الله عليـه وسلم يعلمنـا التشهـد كما يعلمنـا السـورة من القرآن ؛ الحديث .

وفي اهتمامه صلى الله عليه وسلم بتعليم صيغة التشهد للصحابة دليل على عظيم شأن هذه الصيغة وكبير معانيها وعلوِّ أسرارها .

ومن أسرار السلام عليه صلى الله عليه وسلم في التشهد أن صيغتَه جاءت على أكمل وجوهها وأحسنها ، فجمعتْ أنواع السلام والرحمة والبركات الإلهية ، وفي ذلك تكريمٌ وتعظيم لمقامه صلى الله عليه وسلم الذي فوق مقام الآباء والأنفس والناس أجمعين ، بنص قوله تعالى : ﴿ النبيُّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم ﴾ . فحقٌّ عليهم أن يقدّموا له أحسنَ وجوه التحية وأكملها .

وجاءت هذه التحية بصيغة الخطاب للحاضر فيقول المحيّي : « **السلام عليك أيُّها النبي** » ، مخاطباً له صلى الله عليه وسلم خطابَ حضورٍ واتصال ، لا غيبة ولا انفصال ، ذلك لأنه صلى الله عليه وسلم هو أحبٌّ إلى المؤمن الصادق : من نفسه التي بين جنبيه ، لأنه صلى الله عليه وسلم أولى به من نفسه ، فكان صلى الله عليه وسلم أقربَ محبوب مخلوق إلى قلبه ، بل صار المحبوبَ الساكنَ في القلب الذي لا يغيب عنه ، كما قيل في ذلك :

مثالُكَ في عيني وذكرُك في فمي ومثواك في قلبي ، فأين تغيبُ ؟

ولله درُّ القائل :

إن قلباً أنتَ ساكنُه غيرُ محتاجٍ إلى السُّرُجِ
ومريضاً أنتَ عائدُه قد أتاه الله بالفَرَجِ
وجهُك المأمولُ حجَّتُنا يومَ يأتي الناس بالحُجَجِ
شرعُك الوضّاءُ وِجهتُنا خيرُ منهاجٍ لمنتهجِ

فكان خطابه بالسلام خطابَ المواجه المعاين ، لقربه من القلب ، وتمكُّن حبّه فيه ، ومتى استحكم الحب وضرب أطنابه في القلب ، استولى

المحبوب على قلب المحب واستوى عليه ، فصار المحب في حالٍ كَـأَنَّـهُ يراه ، ومن ثمَ تجد خطابات المحبين الصادقين تقوم على الخطاب والحضور والشهود ، ولا يمنعها بُعدُ الأشباح عن محادثة الأرواح ، ولا بُعد الأماكن عن مناجاة من هو في القلب ساكن .

وما أحسن قولَ سيِّدي العارفِ الكبير علي وَفَا رضي الله تعالى عنه ونفعنا به في قصيدته الدالية ؛ يصف حالَ محبِّ النبي صلى الله عليه وسلم ـ كما جاء في (المواهب) وشرحها ـ :

سَكَنَ الفؤادَ فعِشْ هنيئاً يا جَسَدْ ... ذاك النعيمُ هو المقيمُ إلى الأبدْ

أصبحتَ في كَنَف الحبيب ومَن يكنْ ... جارَ الكريم فعيشُه العيشُ الرَّغَدْ

عِشْ في أمان الله تحت لوائه ... لا خوفَ في هذا الجناب ولا نَكَدْ

لا تختشي فقراً وعندك بيتُ مَنْ ... كلُّ المُنى لكَ مِنْ أياديه مَدَدْ

ربُّ الجمال ومرسلُ الجدوى ومن ... هو في المحاسن كلِّها فردٌ أحدْ

قطبُ النُّهى غوثُ العوالمِ كلِّها ... أعلى عليٍّ سادَ أحمدَ مَن حَمِدْ

روحُ الوجودِ حياةُ مَن هو واجدٌ ... لولاه ما تمَّ الوجودُ لمن وَجَد

عيسى وآدمُ والصدورُ جميعُهم ... هُمْ أعينٌ هو نورُها لمّا وَرَد

لو أبصر الشيطانُ طلعةَ نورِهِ ... في وجه آدمَ كانَ أولَ مَنْ سجد

أوْ لو رأى النُّمرودُ نورَ جمالِه ... عَبَدَ الجليلَ مع الخليلِ ولا عَنَدْ

لكنْ جمالُ الله جلَّ فلا يُرَى ... إلا بتخصيصٍ من الله الصَّمَدْ

فأَبْشِرْ بِمَنْ سَكَن الجوانحَ منك يا ... أنا قد ملئت من المنى عيناً ويَدْ

عينُ الوفا معنى الصَّفا سرُّ الندى ... نورُ الهدى روحُ النُّهى جَسَدُ الرشَدْ

هو للصلاة من السلامِ المرتضَى ... الجامعُ المخصوصُ ما دامَ الأبَدْ

ويرحم الله القائل :

ســـاكنٌ في القلب يَعْمُرُه   لستُ أنســـاه فـــأذكرَه
غاب عن سمعي وعن بصري   فســويـــدا القلب تُبْصِرُه

ولله تعالى درُّ القائل في ذلك أيضاً :

ومن عَجَبٍ أني أحِنُّ إليهمَ   وأســـأل عنهم مَنْ لقيتُ وهمْ معي
وتشهـدُهُمْ عيني وهُم في سـوادهـا   ويُبْصِرُهمْ قلبي وهُمْ بين أضلُعي

ومن المعروف عند أهـل المعرفـة أن الحبَّ الحقيقي الكامـل هـو فنـاءً المحبِّ في محبـوبـه ، كما فنيتْ البـاء الأولى من الحب في البـاء الثـانيـة ، ودخلت في بنيانها واستظلت بظلِّها ، وانطوت تحت لواء مظهرهـا ، فلا مظهر للبـاء الأولى ولا أثر ولا رسم ، فـافهم واعتبرْ ، وفقني الله تعـالى وإياك إلى جميع ماهناك .

بـل قـد يَرَى المحبُّ محبـوبَـه من القُرب إليـه ، بمنزلـة روحـه التي هي أقرب مالديه .

ويرحم الله القائل :

يـامقيمـاً مـدى الـزمـانِ بقلبي   وبعيـداً عن نـاظري وعيـاني
أنتَ روحي إن كنتُ لستُ أراهـا   فهي أدنى إليَّ من كلِّ داني

بل قد تُلطِّفُه المحبـةُ فيرى أن محبوبـه أقربُ إليـه من روحـه ، بل قـد تلطفه المحبة حتى يغيبَ المحبوبُ بمحبوبه عن نفسه ، ويفنى عن نفسه باقياً بمحبوبه . اللهم أذقنا حلاوة حبك ، وحب حبيبك صلى الله عليـه وسلم ،

واجعله يارب روحاً لذاتي من جميع الوجوه في الدنيا قبل الآخرة ياعظيم .

ولا ريب أن المؤمن الصادق في إيمانه وحبه قد نوّر الله تعالى له قلبه وكَشَف عنه حُجُبه ، فهو يخاطبُ خطاب أهل العِيان والشهود ، كما جاء في الحديث الذي رواه ابن أبي شيبة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقيَ عوف بن مالك فقال له : « كيف أصبحتَ ياعوفَ بن مالك ؟ » فقال : أصبحتُ مؤمناً حقاً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن لكلِّ حقٍ حقيقةً فما حقيقةُ ذلك ؟ » قال : يارسول الله أطلقتُ نفسي عن الدنيا فأسهرت ليلي ـ أي بالقيام ـ ، وأظمأت هواجري ـ جمع هاجرة ، وهي الظهيرة ، أي أظمأتُ نهاري بالصيام ـ ، وكأني أنظر إلى عرش ربي ، وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها ، وكأني أنظر إلى أهل النار يَتَضاغَوْن فيها ـ أي يصيحون ـ فقال صلى الله عليه وسلم : « عرفتَ فالزمْ ؛ عبدٌ نوَّر الله قلبه » . وجاء مثل ذلك عن حارثة بن مالك[1] .

وهكذا العبد الذي نوّر الله تعالى قلبه فإنه يُشاهد ماهنالك .

والتشهُّد هو تَفَعُّل ، من الشهادة والشهود ، وهو يقتضي الحضور والاستحضار ، كما نص عليه العارفون الغارفون من البحر المحمدي صلى الله عليه وسلم .

وقد قال في (المواهب اللدنية وشرحها) : ومن لطائف التشهُّد ماقاله البيضاوي في (شرح المصابيح) : علَّمهم صلى الله عليه وسلم أن

---

(١) وقد ذكرنا تخريجه في كتابنا (الإيمان بعوالم الآخرة ومواقفها) .

يُفردوه صلى الله عليه وسلم بالذكر ـ أي بأن يقولوا : « السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته » ـ لشرفه ومزيد حقه عليهم ، ثم علَّمهم أن يخصُّوا أنفسَهم أوّلاً ، لأن الاهتمام بها أهمُّ ، ثم أمرهم بتعميم السلام على الصالحين ، وإعلاماً منه بأن الدعاء للمؤمنين ينبغي أن يكون شاملاً لهم .

ثم قال : **فإنْ قيل** : كيف شُرِع هذا اللفظُ وهو خطاب بَشَر ، مع كونه مَنْهِيّاً عنه في الصلاة ؟ .

فالجواب : أن ذلك من خصائصه صلى الله عليه وسلم أنْ يَقصدَ المصلي خطابَه بذلك ونحوه ، وصلاتُه صحيحة ، بخلاف ما إذا قَصَد المصلي خطابَ غيره بالسلام ، فتبطل صلاته . ـ أي كما نص عليه الفقهاء ـ .

ثم قال : **فإن قلتَ** : فما الحكمةُ في العدول عن الغيبة إلى الخطاب في قوله ـ أي قول المصلي : « السلام عليك أيها النبي » ـ مع أن لفظ الغَيبة هو الذي يقتضيه السياق ، كأنْ تقول : السلام على النبي ، فينتقل من تحية الله تعالى إلى تحية النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم إلى تحية النفس ، ثم إلى تحية الصالحين ؟ .

أجاب الطِّيبي بما محصَّله : نحن نتَّبع لفظ الرسول صلى الله عليه وسلم بعينه الذي علّمه الصحابة ـ أي وإن كنا لا نعلم سرَّ ذلك ـ . قال : ويحتمل أن يُقال على طريق أهل المعرفة بالله تعالى ، إن المصلين لما استفتحوا بابَ الملكوت بالتحيات أُذِن لهم بالدخول في حريم ـ أي حرم ـ الحيّ الذي لا يموت ، فقرّتْ أعيُنهم بالمناجاة ، فنُبِّهوا على أن ذلك بواسطة نبيّ الرحمة وبركة متابعته ، فالتفتوا ؛ فإذا الحبيبُ صلى الله عليه وسلم في حريم الملك الحسيب جلَّ وعلا حاضرٌ ، فأقبلوا عليه قائلين : « السلام عليك أيها النبيّ ورحمة الله وبركاته » . اهـ .

وقد نقل ذلك الحافظ ابن حجر في (الفتح) ، ثم تكلم على السلام على عباد الله الصالحين ، ونقل عن الحكيم الترمذي أنه قال : مَن أراد أن يَحظى بهذا السلام الذي يُسلِّمه الخلقُ ـ أي جميع المصلين ـ في الصلاة فليكنْ عبداً صالحاً ـ أي : حتى يَنتظم في سلك عباد الله الصالحين الذين يُسلِّم عليهم المصلُّون في صلواتهم إلى يوم الدين ـ وإلا حُرِم هذا الفضلَ العظيم .

قال : وقال الفاكِهاني : ينبغي للمصلي أن يستحضر في هذا المحلِّ ـ أي : حين يقول : وعلى عباد الله الصالحين ـ جميعَ الأنبياء والملائكة والمؤمنين من الإنس والجن .

وقال أيضاً : قال القفَّال في فتاويه : تَرْكُ الصلاة يُضِرُّ بجميع المسلمين ، لأن المصلي يقول : اللهم اغفر لي وللمؤمنين والمؤمنات ، ولا بد أن يقول في التشهد : « السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين » ، فيكون مقصِّراً في خدمة الله ، وفي حق رسوله صلى الله عليه وسلم ، وفي حق نفسه ، وفي حق كافة المسلمين ، ولذلك عظُمتِ المعصيةُ بتركها .

واستنبط منه السُّبْكيُّ أن في الصلاة حقاً للعباد مع حق الله تعالى ، وأن مَن تركها أخلَّ بحق جميع المؤمنين : مَنْ مضى ، ومَن يجيئ إلى يوم القيامة ، لوجوب قوله فيها : « السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين » . اهـ .

ثم أخذ العبد المصلِّي يصلِّي على النبي صلى الله عليه وسلم بعد التشهد ، امتثالاً لأمر الله تعالى ، حيث قال سبحانه : ﴿ يا أيها الذين آمنوا صلُّوا عليه وسلِّموا تسليماً ﴾ وإن أشرفَ أحوال العبد وأقربَها إلى الله تعالى هو حالُ الصلاة لله تعالى ، وبامتثال العبد لأمر الله تعالى بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم

ينالُ العبد تلك المكرماتِ المنوطةَ بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم ، فينال مرتبةَ الطاعة لله تعالى حيث إنه امتثل أمر الله تعالى ، وينال درجة العبادة لله تعالى لأن الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم هي دعاءُ العبد ربَّه أن يصلي على نبيه صلى الله عليه وسلم ، وقد جاء في الحديث : « الدعاء هو العبادة » وفي رواية : « الدعاء مخُّ العبادة » .

وينال بذلك أيضاً صلاةَ الله تعالى عليه ، وصلواتِ ملائكة الله تعالى عليه ، وصلوات سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عليه ، كما تقدم دليل ذلك في الأحاديث مفصَّلاً .

وينال بذلك أيضاً رضى الله تعالى ورضى رسوله صلى الله عليه وسلم ، وحبَّ الله تعالى وحبَّ رسوله صلى الله عليه وسلم ، ويُفتح له بذلك أيضاً بابُ الرحمة والإجابة والقبول .

ثم قيل للعبد المصلِّي : تخيَّرْ من الدعاء ما شئتَ فادعُ به ، فإنه قد فُتح لك باب العطاء والقبول ، بفضل وبركة الصلاة على هذا الرسول صلى الله عليه وسلم ، فأخذ العبد يدعو ويسأل ذا الجلال والإكرام والطَّوْل والإنعام ، وكلٌّ داعٍ دعاؤه على حسب همته ، وكلٌّ سائل سؤاله على قدر معرفته .

اللهم انهضْ بهمتنا إليك ، واجعلْ كلَّ ذرة فينا مقبلةً عليك .

فكان تقديمُ السلام على الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم في قعود الصلاة هو الأنسبَ بمقتضى مقام التحية .

وهناك حِكَمٌ وأسرار ، وفيما ذكرناه بعض الكفاية .

البشائر الغُرَر للمكثرين من الصلاة على سيد البَشَر صلى الله عليه وآله وسلم أبداً أبداً

روى ابن بَشْكُوال والنميري وغيرهما أن أبا العباس أحمد بن منصور لما مات رآه رجل من أهل شِيراز ـ وهو واقف في المحراب بجامع شيراز وعليه خلة وعلى رأسه تاج مكلَّل بالجواهر ـ فقال له : مافعل الله بك ؟ ، فقال : غفر لي وأكرمني وتوَّجني وأدخلني الجنة ، فقال له : بماذا ؟ فقال : بكثرة صلاتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ونقل في (القول البديع)ـ وعزاه إلى ابن بشكوال ـ عن رجل من الصوفية قال : رأيت الملقَّب بمسطح بعد وفاته ـ وكان ماجناً في حياته ـ فقلت له : مافعل الله بك ؟ قال : غفر لي . فقلت : بأيِّ شيء ؟ قال : استمليتُ على بعض المحدثين حديثاً مسنداً ، فصلى الشيخ على النبي صلى الله عليه وسلم ، فصليتُ أنا معه ورفعت صوتي بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، فسمع أهل المجلس ، فصلُّوا عليه ، فغفر لنا في ذلك اليوم كلِّنا .

وعنده أيضاً من طريق أبي الحسن البغدادي الدارِمي أنه رأى أبا عبد الله ابنَ حامد بعد موته وقال له : مافعل الله بك ؟ فقال : غفر لي ورحمني ، وسأله عن عملٍ يَدخل به الجنة ؟ فقال له : صلِّ ألف ركعة

تقرأ في كل ركعة ألف مرة ﴿ قل هو الله أحد ﴾ فقال : لاأطيق ذلك ، فقال له : فصلِّ على محمد النبي صلى الله عليه وسلم ألف مرة في كل ليلة . وذكر الدارمي أنه يفعل ذلك كلَّ ليلة .

وعنه أيضاً قال : رأى بعض الناس أبا جعفر الكاغَدي بعد وفاته في المنام ، وكان سيداً كبيراً ، فقال له : مافعل الله بك ؟ قال : رحمني وغفر لي وأدخلني الجنة ، فقيل له : بماذا ؟ قال : لما وقفت بين يديه سبحانه أمر الملائكة فحسَبوا ذنوبي وحسَبوا صلاتي على المصطفى صلى الله عليه وسلم فوجدوها أكثر من ذنوبي ، فقال لهم المولى جلَّتْ قدرته : حَسْبُكم ياملائكتي لاتحاسِبوه ، واذهبوا به إلى جنتي .

وقال الحافظ السخاوي : رأى بعضُ الصالحين صورةً قبيحة في المنام ، فقال لها : مَنْ أنتِ ؟ قالت : أنا عَمَلك القبيح ، قال لها : فبِمَ النجاةُ منك ؟ قالت : بكثرة الصلاة على المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم[1] .

وعن الإمام الشبلي رضي الله عنه قال : مات رجل من جيراني فرأيته في المنام ، فقلت له : مافعل الله بك ؟ فقال : ياشبليُّ مرَّتْ بي أهوال عظيمة ، وذلك أنه أُرْتِج - أي أُغْلق - عليَّ عند السؤال ، فقلت في نفسي : من أين أُتي عليَّ ، ألم أَمُتْ على الإسلام ؟! ، فنوديتُ : هذه عقوبةُ إهمالك للسانك في الدنيا ، فلما همَّ بي الملكان - أي همّا بضربه - حال بيني وبينهما رجل جميل الشخص ، طيِّب الرائحة ، فذكَّرني حجتي - أي بالجواب - فذكرتُها ، فقلت : مَنْ أنتَ يرحمك الله ؟ فقال : أنا شَخصٌ

---

(١) انظر جميع ذلك في (القول البديع) للحافظ السخاوي رحمه الله تعالى .

خُلِقتُ مِن كثرة صلاتك على النبي صلى الله عليه وسلم ، وأمِرتُ أن أنصرك في كل كرب[1] .

وفي كتاب (الصّلات والبُشَر) نقلاً عن محمد بن سعيد بن مطرِّف ـ وكان من الأخيار الصالحين ـ قال : كنتُ جعلتُ على نفسي كلَّ ليلة عند النوم إذا أويتُ إلى مضجعي عدداً معلوماً أصلِّي على النبي صلى الله عليه وسلم ، فأنا في بعض الليالي قد أكملتُ العددَ فأخذتْني عينايَ ـ وكنت ساكناً في غرفة ـ وإذا بالنبيِّ صلى الله عليه وسلم قد دخل عليَّ من باب الغرفة ، فأضاءت الغرفة نوراً ، ثم نهض نحوي فقال صلى الله عليه وسلم : « هاتِ هذا الفمَ الذي يُكْثِرُ الصلواتِ ـ أي عليه صلى الله عليه وسلم ـ أقبِّلْه » قال : فكنتُ أستحيي أن أقبِّله مِن فيه ، فاستدرت بوجهي فقبَّل صلى الله عليه وسلم في خدي ، فانتبهت فَزِعاً من فوري ، وانتبهت زوجتي إلى جنبي ، وإذا بالبيت يفوح مسكاً من رائحته صلى الله عليه وسلم ، وبقيت رائحة المسك من قُبْلته صلى الله عليه وسلم في خدِّي نحو ثمانية أيام تجد زوجتي كل يوم الرائحة في خدي . اهـ .

نعم !! والله تعالى يخصُّ من شاء بما يشاء . اللهم اجعلنا من عبادك المكرَمين .

وقال الحافظ السخاوي رحمه الله تعالى : رُوي أن امرأةً جاءت إلى الحسن البصري رضي الله عنه فقالت له : ياشيخُ توفيتْ لي بُنَيَّة وأُريد أن أراها في المنام ، فقال لها الحسن : صلِّ أربع ركعات واقرئي في كل ركعةٍ

---

(١) قال الحافظ السخاوي في (القول البديع) : ذكره ابن بشكوال . وكذا مثله في (الصّلات والبُشَر) .

فاتحة الكتـاب مرةً ، وسورة ﴿ ألهاكم التكاثر ﴾ مرةً ، وذلـك بعـد صلاة العشـاء الآخرة ، ثم اضطجعي فصلّ على النبي صلى الله عليـه وسلم حتى تنامي ، ففعلتْ ذلك فرأتها في النوم وهي في العقوبـة والعـذاب ، وعليهـا لباسُ القَطِران ، ويـداهـا مغلولتـان ، ورِجْلاهـا مسلسلتـان بسلاسل من النار ، فلما انتبهتْ جـاءتْ إلى الحسن البصري فـأخبرتْـه بـالقصـة فقـال : تصدَّقي بصدقة لعلَّ الله تعالى يعفو عنها .

ونام الحسن في تلك الليلة ، فرأى كأنه في روضـة من ريـاض الجنـة ، ورأى سريراً منصوباً وعليه جـاريـةٌ حسنـاءُ جميلـةٌ وعلى رأسهـا تـاجٌ من نور ، فقالت له : أيا حسنُ أتعرفني ؟ فقـال : لا . فقـالت لـه : أنـا ابنـة تلك المرأة التي أمرتَها بالصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم ، فقال لها : إن أمَّك وصفتْ حالك بغير هذه الرواية ! فقالت له : هو كما قـالت ، قـال : فبماذا بلغتِ هذه المنزلةَ ؟ فقـالت لـه : كنـا سبعين ألفَ نفس في العقوبـة والعذاب كما وصفتْ لك والـدتي ، فعبَر رجلٌ من الصـالحين على قبورنـا ، وصلَّى على النبي صلى الله عليه وسلم مرةً وجعل ثوابها لنا ، فقبِلهـا الله عزَّ وجلَّ منه ، وأعتقَنَا كلَّنا من تلك العقوبة ومن ذلك العذاب ببركة الرجل الصالح ، وبَلَغ نصيبي ماقد رأيتَه وشاهدتَه[1] .

وقال أبو الفضل القرمساني : أتاني رجل من خُراسان فقال لي : أتـاني في منامي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا في المسجد وقـال : « إذا أتيتَ هَمَذَانَ فاقرأ على الفضل بن زيـدك مني السلام » ، فقلت : يـارسول الله بمـاذا ؟ قـال : « لأنـه يصلي عليَّ في كل يـوم مـائـة مرة » . ثم قـال لي :

(١) وذكر ذلك القرطبي في (التذكرة) .

أسألك أن تُعَلِّمَنيها . فقلت : إني أقول كلَّ يوم مائة مرة أو أكثر : اللهم صلِّ على محمد النبي الأمي وعلى آل محمد ، جَزَى الله محمداً صلى الله عليه وسلم عنَّا ما هو أهلُه .

قال : فأخذها عني وحَلَف لي أنه ما كان يعرفني ولا يعرف اسمي حتى عرَّفه له ـ أي عرَّفه باسمه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ـ قال : فعرضتُ له بِرّاً ـ أي عطية خير ـ لأني ظننتُه متزيِّداً في قوله ، فما قَبِل مني وقال : ما كنت لأبيع رسالةَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم بِعَرَضٍ من الدنيا[1] .

وروى الخطيب وأبو اليمن بن عساكر وابن بَشْكُوال عن محمد بن يحيى الكِرْماني قال : كنا يوماً بحضرة أبي علي بن شاذان فدخل علينا شابٌّ لا يعرفه منا أحد ، فسلَّم علينا ثم قال : أيُّكم أبو علي بن شاذان ؟

قال : فأَشَرْنا إليه ـ أي إلى أبي علي ـ فقال له الشاب : أيها الشيخُ رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي : « سَلْ عن مسجد أبي علي بن شاذان ، فإذا لقيتَه فأَقْرِئْه مني السلام » ، ثم انصرف الشاب ؛ فبكى أبو علي وقال : ما أعرف لي عملاً أستحقُّ به هذا إلاَّ أن يكون صبري على قراءة الحديث وتكريرَ الصلاةِ على النبي صلى الله عليه وسلم كلَّما جاء ذكره . إلخ .

وروى ابن عساكر عن جعفر بن عبد الله قال : رأيت أبا زرعةَ في المنام وهو في السماء يصلِّي بالملائكة ، فقلتُ له : بِمَ نلتَ هذا ؟ فقال : كَتَبْتُ بيدي ألفَ ألفَ حديثٍ إذا ذكرتُ النبيَّ أصلِّي عليه صلى الله عليه

(١) انظر (الصلات والبشر) .

وسلم ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ صلّى عليّ مرة صلّى الله عليه عشراً »[1] .

وقد ذكر الإمام الشّعْراني رضي الله عنه في (الطبقات) عن أبي المواهب الشاذلي رضي الله عنه أنه قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله لاتَدَعْني ـ أي : لاتتركني ـ فقال : « لانَدَعُك حتى تَرِدَ عليّ الكوثر وتشربَ منه ، لأنك تقرأ سورة الكوثر وتصلّي عليّ : أمّا ثوابُ الصلاة فقد وهبتُه لك ، وأما ثوابُ الكوثر فأُبْقِهِ لك » . ثم قال : « ولا تَدَع أن تقول : أستغفر الله العظيم الذي لاإله إلا هو الحيّ القيوم وأتوب إليه ، وأسأله التوبة والمغفرة إنه هو التواب الرحيم ، مهما رأيتَ عملك ، أو وقع خَلَل في كلامك » .

قال : وكان رضي الله عنه يقول : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبّل فمي وقال : « أقبّل هذا الفمَ الذي يصلّي عليّ ألفاً بالنهار وألفاً بالليل » . ثم قال صلى الله عليه وسلم : « وما أحسنَ ﴿ إنا أعطيناك الكوثر ﴾ لو كانتْ وِردَك بالليل » . ثم قال لي : « ويكون دعاؤك : اللهم فرّج كرباتِنا ، اللهم أَقِلْ عَثَراتِنا ، اللهم اغفر زلاّتِنا ، وتصلّي عليّ وتقول : وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين » .

وكان رضي الله عنه يقول : استعجلتُ مرةً في صلاتي عليه صلى الله عليه وسلم لأُكْمل وردي وكان ألفاً . فقال لي صلى الله عليه وسلم : « أما علمتَ أن العجلة من الشيطان » ؟ ثم قال : « قل : اللهم صلّ على سيدنا

---

(١) انظر (الصلات والبشر) وغيرها .

محمد وعلى آل سيدنا محمد بتمهُّل وترتيب ، إلا إذا ضاق الوقت فما عليك إذا عجَّلت » .

ثم قال : « وهذا الذي ذكرتُه لك على جهة الأفضل وإلاَّ فكيفما صليتَ فهي صلاة ، والأحسن أن تبتدئ بالصلاة التامة أوَّل صلاتك ـ أي : أول صلواتك عليّ ـ ولو مرة واحدة ، وكذلك في آخرها تختم بها » .

قال صلى الله عليه وسلم له : « والصلاةُ التامَّةُ هي : اللهم صلِّ على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد ، كما صليت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم ، وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد ، كما باركت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم ، في العالمين إنك حميد مجيد . السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته » . ا هـ .

وقال محمد بن مالك : مضيتُ إلى بغداد لأقرأ على أبي بكر بن مجاهد المقرئ ، قال : فبينا نحن نقرأ عليه يوماً ـ وكنا جماعةً ـ إذْ دخل عليه شيخٌ وعليه عمامة رَثَّة ، وقميصٌ رثٌّ ، ورداء رثّ ، فقام الشيخ أبو بكر له ، وأجلسه مكانه واستخبره عن حاله وعن حال صبيانه ؟! ، فقال : وُلد لي الليلة مولود ، وقد طلبوا مني سمناً وعسلاً ولم أملك ذرَّةً .

قال الشيخ أبو بكر : فنمتُ وأنا حزينُ القلب ـ أي من أجل فاقة الرجل ـ فرأيتُ النَّبي صلى الله عليه وسلم في منامي فقال لي : « ما هذا الحزن ؟ اذهبْ إلى علي بن عيسى الوزير وزيرِ الخليفة ، فاقرأ عليه السلام وقل له : بعلامة أنك لاتنامُ كلَّ ليلةِ جمعة إلا بعد أن تصلِّيَ عليَّ ألف مرة ، وهذه الجمعة صلَّيتَها عليَّ سبعَمائة مرة ، ثم جاءك رسولُ الخليفة

فـدعــاك إليــه ، فمضيتَ إليــه ثم رجعتَ فصليتَ عليَّ ، حتى أتممت ألف مرة ، سَلِّم إلى أبي المولود مائة دينار ، ليستعين بها على مصالحه » .

قال : فقام أبو بكر بن مجـاهـد المقرئ مع أبي المولود ، فمضيَـا إلى دار الوزير ، فدخلا عليـه ، فقـال الشيخ أبو بكر للوزير : هـذا الرجلُ ـ أي الشيخ الفقير ـ أرسلَه إليـك رسولُ الله صلى الله عليـه وسلم ، فقـام الوزير وأجلسه مكانه ، وسأله عن القصـة ؟ فقصَّهـا عليـه ، ففرح الوزير ، وأمر غلامه بإخراج بَدْرة ـ أي كمية كبيرة من المـال ـ فوزن منهـا مـائـة دينـار وسلَّمهـا لأبي المـولـود ، ثم وَزَنَ أخرى ليعطيَهـا للشيـخ أبي بكر المقرئ ، فامتنع من أخذهـا ، فقـال لـه الوزير : خـذهـا لبشـارتـك لي بهـذا الخبر الصادق ، فقـد كان هـذا الأمرُ سِراً بيني وبين الله عز وجلَّ ، وأنت رسولُ رسـولِ الله صلى الله عليـه وسلم ، ثم وزن أخرى وقـال لـه : خـذهـا لـك ببشارتك بعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بصلاتي عليه كلَّ ليلة جمعـة ، ثم وزن أخرى وقال له : خـذهـا لتَعبـك في المجيء إلينـا هـاهنـا ، وجعل يَزِنُ مائة بعد مائة ، حتى وزن ألف دينار ، فقال لـه : مـا أنـا بـآخـذٍ إلاَّ ما أمرني به رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال عبد الله بن النعمان في كتابه (مصبـاح الظلام) : وروينـا عن خلاَّد بن كثير بن مسلم لما كان في النَّزْع وَجَدوا عند رأسـه رقعـة مكتوب فيها : هذه براءةٌ من النار لخلاَّد بن كثير ، فسألوا عنـه : مـا كان عملـه ؟ فقالت أهله : كان يصلِّي على النبي صلى الله عليه وسلم كلَّ جمعـة ـ أي كل يوم جمعـة ـ ألف مرة ، يقول : اللهم صلِّ على النبي الأمي محمـد وعلى آلـه وصحبه وسلِّم .

وذكر السيد محمود الكردي في (الباقيات الصالحات) بعد نقله حكايةَ خلاَّد بن كثير باختلاف يسير أن أمه أخبرته بأن والدها محمداً أوصى لها بقوله : إذا متُّ أنا وغسَّلوني يَسقطُ على كفني من سقف البيت رقعة خضراءُ مكتوب فيها : هذه براءةُ محمد العامل بعلمه من النار ، وأنه أوصاها أن تُدرج تلك الرقعة في كفنه ، فوضعتها على صدره بعد أن قرأوا الرقعة ، وكان المكتوب يقرأ من ظاهر الرقعة وباطنها على حدٍّ سواء .

قال : فسألتُ أُمِّي عن عمل والدها ؟ فقالت : كان أكثر عمله دوامَ الذكر مع كثرةِ الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم .

وقال السيد محمود الكردي وهو القادري الشيخاني نزيل المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام قال في كتابه (الباقيات الصالحات) : ومما مَنَّ الله عليَّ أني رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام ، فأخذني في حضنه ورفعني ، وكأن صدري على صدره وفمي على فمه ، وجبهتي على جبهته صلى الله عليه وسلم ، فقال لي : « أكثِر عليَّ من الصلاة » ، وبشَّرني برضوانه الجامع لرضوان الله تعالى ، فبكيتُ حباً لتعظيمه إياي - أي : لتكريمه إياي - ورأيتُ عينيه تذرفان من الدموع ، حباً وشفقةً على الحالة التي أنا فيها من فَرْط حرقة محبته في مهجتي ! فانتبهت والدموع على خدّي .

وقد ذكر الفاكهاني في كتابه (الفجر المنير) قال : أخبرنا الشيخ الصالح موسى الضرير أنه ركب في مركب في البحر المِلْح قال : وقد قامتْ علينا ريح تسمى الاقلابية قلَّ مَنْ ينجو منها من الغرق ، قال :

فنمتُ ـ أي أخذه النوم ـ فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول لي : « قل لأهل المركب يقولوا ألفَّ مرة :

اللهم صلِّ على محمد صلاةً تنجينا بها من جميع الأهوال والآفات ، وتقضي لنا بها جميع الحاجات ، وتطهرنا بها من جميع السيئات ، وترفعنا بها أعلى الدرجات ، وتبلِّغنا بها أقصى الغايات من جميع الخيرات ، في الحياة وبعد الممات » .

قال : فاستيقظتُ وأخبرتُ أهل المركب بالرؤيا ، فصلينا نحو ثلثمائة مرة ، ففرَّج الله تعالى عنا ، وأسكنَ تلك الريحَ ببركة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم[1] .

وذكر الشيخ العارف السيد أحمد الصاوي في شرحه على صلوات القطب الدردير رضي الله عنهما أن سبب تأليف دلائل الخيرات هو أن مؤلفها سيدي الشيخ محمد بن سليمان الجَزُولي نفعنا الله تعالى ببركاتهم أجمعين ، حضرهُ وقتُ الصلاة ، فقام ليتوضأ فلم يجد ما يُخرِج به الماءَ من البئر ، فبينما هو كذلك إذ نظرتْ إليه صبيّة من مكانٍ عالٍ فقالت له : مَنْ أنت ؟ فأخبرها ، فقالت له : أنت الرجلُ الذي يُثْنى عليك بالخير ، وتتحيَّر فيا تُخْرِجُ به الماء من البئر ، وبصقتْ في البئر ، ففاض ماؤها على وجه الأرض .

فقال لها الشيخ بعد أن فرغ من وضوئه : أقسمتُ عليكِ بِمَ نلتِ هذه

(١) وذكر ذلك أيضاً المجد صاحب القاموس في (الصلات والبشر) بإسناده ، ونقل عن الحسن بن علي الأسواني أنه قال : من قالها في كل مهم ونازلة وبلية ألف مرة فرج الله تعالى عنه .

المرتبـة ؟ فقـالت : بكثرة الصـلاة على مَنْ كان إذا مشى في البَرِّ الأقفر تعلقتْ الـوحـوش بـأذيـالـه ـ أي تبركاً بـه ـ صلى الله عليـه وسلم ؛ فحلف الشيخ الجزولي يميناً أن يؤلِّف كتـاباً في الصـلاة على النبي صلى الله عليـه وسلم .

وأخرج ابن بشكـوال من طريـق أبي القـاسم القشيري أن منصـور بن عمار رُؤي في المنام فقيل له : مافعل الله بك ؟ فقال : أوقفني بين يـديـه وقال لي : أنت منصور بن عمـار ؟ قلت : بلى . قـال : أنت الـذي كنت تزهِّد الناس في الدنيا وترغِّب في الآخرة . قلت : وقد كان ذلـك ، ولكني مااتخذت مجلساً إلا وبـدأتُ بـالثنـاء عليـكَ ، وثنيت بـالصلاة على نبيـك صلى الله عليه وسلم ، وثلثت بالنصيحة لعبـادك . قـال : صـدقْتَ ، ضعوا لـه كرسيـاً في سماواتي يمجـدِّني بين ملائكتي كما مجَّـدني بين عبـادي ـ أي في الأرض . اهـ .

وقد ذكر ابن الملقَّن في (كتـاب الحـدائق) وفيـه : قـال عبـد الله بن سَلاَم أتيتُ أخي عثمان لأسلِّم عليـه فقـال : مرحبـاً يـاأخي ، رأيتُ النبي صلى الله عليـه وسلم الليلـةَ في المنـام فنـاولني دلـواً فيـه مـاءٌ فشربتُ حتى رَوِيتُ ، وإني لأَجـد بَرْده . فقلت : بمـاذا نلتَ هـذا يـاعثمان ؟ فقـال : بكثرة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم .

وقد روى ابن أبي الدنيا وغيره عن عبد الله بن سَلاَم رضي الله عنه أنـه قال : أتيت عثمان لأسلِّم عليه وهو محصور ـ أي حين ضُرب عليـه الحصـار ليقتلوه ـ فدخلت عليـه فقـال : مرحبـاً بـأخي ، رأيت الليلـة رسول الله صلى الله عليه وسلم في هـذه الخوخـة ـ قـال : خوخـة في البيت ـ فقـال :

« يــاعثمان حصروك » ؟ قلت : نعم . فقــال صلى الله عليــه وسلم : « عطَّشوك » ؟ قلت : نعم . قـال : فـأدلى دلـواً فيـه مـاء فشربتُ حتى رويت ، حتى إني لأجـدُ بَرْده بين ثـدييَّ وبين كتفيَّ ، وقـال لي صلى الله عليه وسلم : « إن شئتَ نُصِرت عليهم ، وإن شئت أفطرت عندنا » . قال عثمان رضي الله عنه : فأخترتُ أن أُفْطر عنـده صلى الله عليـه وسلم . فقُتِل ذلك اليوم[1] .

وذكر ابنُ الملقِّن أيضـاً في (كتـاب الحـدائـق) وغيرهُ : أن شـابـاً كان يطوف بـالبيت ويشتغـل بـالصـلاة على رسـول الله صلى الله عليـه وسلم ، فقيل له : عندك في هذا شيء ؟ قال : نعم ؛ خرجت أنـا وأبي حـاجَّيْن ، فمرض أبي في بعض المنازل ومات ، فاسودَّ وجهه وازرَقَّتْ عينـاه وانتفختْ بطنـه ، فبكيت وقلت : ﴿ إنـا لله وإنـا إليـه راجعون ﴾ ! مـات أبي في غربته هذه الميتة !!.

قـال : فلمـا كان الليل غلبني النوم ، فرأيت رسول الله صلى الله عليـه وسلم وعليه ثيابٌ بيض ورائحته عطرةٌ ، فدنا من أبي ومسح على وجهـه ، فصار أشدَّ بياضاً من اللبن ، ثم مسح على بطنـه فصـار كما كان ، ثم لمـا أراد صلى الله عليه وسلم الانصراف قال : « إن أبـاك كان يكثر الـذنوب ، وكان يكثر الصلاة عليَّ ، فلما نزل به مانزل استغاث بي فأغَثْتُه ، وأنا غيـاثٌ لمن أكثر الصلاةَ عليّ في دار الدنيا » . اهـ .

وجـاء في كتـاب (مصبـاح الظلام في المستغيثين بخير الأنـام صلى الله عليه وسلم في اليقظة والمنام) : وروي عن أبي حفص الحداد رضي الله عنه

(١) انظر ذلك في البداية لابن كثير وغيرها .

قال : جُعتُ مرةً وأنا في المدينة ولم أجد طعـامـاً منـذ خمسَ عشرةَ يومـاً ، فألصقتُ بطني بحائط قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، وأكثرت الصلاة عليـه صلى الله عليـه وسلم وقلت : يـا رسـول الله أَشْبِـع ضيفَـك ، فقـد أضعفـه الجوع ! قـال : فغلبني النوم ، فرأيت رسول الله صلى الله عليـه وسلم وقـد دفع إليَّ رغيفاً وأنا آكُلُه ، فاستيقظتُ وأنا شبعانُ وبيدي نصفه .



رفع ملام ودفع أوهام
حول رؤيا المنام

قد يعجبُ بعضُ الناس مني لأنني ذكرت في كتابي هذا « **الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم** » جملةً واسعةً من رؤيا المنام ، التي جاءت فيها البشائر ، لمن كَتَبَ الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم ، ولمن أكثرَ الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم .

فأقول في الجواب : لا ينبغي التعجبُ من ذلك ولا الانتقاد ، ولا الاعتراض ولا الانتقاص ، ذلك لأن رؤيا المؤمن الصالحةَ هي صدق تأتي ببشارةٍ لصاحبها الذي رآها أو رؤيتْ له ، وقد تأتي بنذارة له من أمر ، وقد تأتي تذكرةً له أو موعظة أو تنبيهاً له على أمر قد غفل عنه ، فهي من الله تعالى ، تدلُّ على عنايته سبحانه بصاحب الرؤيا .

وقد دلت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية على أن للرؤيا أثراً واقعياً في عالم اليقظة ، لا ينبغي إنكاره ، بل ولا الارتياب فيه ، فلقد قَصَّ الله تعالى علينا قصةَ رؤيا يوسفَ أحدَ عشرَ كوكباً والشمس والقمر ساجدين له ، ثم ذكر لنا تأويلها وأثرها في الواقع ، وأن ذلك هو سجودُ إخوته وأبويه له .

قال تعالى : ﴿ إذ قال يوسفُ لأبيه : ياأبت إني رأيتُ أحدَ عَشَرَ

كـوكبـاً والشمسَ والقمرَ رأيتُهم لي سـاجـدين . قــال : يــابُنيَّ لاتقصُصْ رؤيـاك على إخوتـك .. ﴾ الآيـة وكانت رؤيـاه ذلـك في صغره قبل أن ينبّأ . ثم قال تعالى : ﴿ ورفع أبويه على العرش وخَرُّوا له سُجَّـداً وقـال : ياأبتِ هذا تـأويلُ رؤيـايَ مِن قَبْلُ قـد جعلهـا ربي حقـاً .. ﴾ الآيـات الكريمة .

فهذه الآيات تنصُّ على أن للرؤيا الصالحـة تحقُّقـاً في الواقع الخـارجي لا ينكر ، وليست الرؤيا المنامية الصالحـة من بـاب الأوهـام أو الخيـالات الباطلة .

ولقـد بيَّن النبي صلى الله عليـــه وسلم أن رؤيـــا المـؤمن هي جـزءٌ من أجزاء النبوة :

روى الشيخان عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « رؤيا المؤمن جزءٌ من ستةٍ وأربعين جزءاً من النبوة » .

وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنـه قـال : قـال رسول الله صلى الله عليـه وسلم : « رؤيـا المسلمِ يَرَاهـا أو تُرَى لـه جـزءٌ من ستـة وأربعين جزءاً من النبوة » .

وقد اختُلِف في معنى كون الرؤيا الصالحـة جزءاً من أجزاء النبوة على أقوال متعـددة ، ولكلٍّ وجهـةٌ ودليـلٌ كما سنـوضّحـه في كتـاب (الأدعيـة والأذكار) إن شاء الله تعالى ، ومن تلك الأقوال أن الرؤيـا الصـالحـة هي جزءٌ من أجزاء النبوة في صفـة صـدقهـا وتحقُّقهـا في الواقـع ، كما دلّ عليـه الحديث الذي رواه الشيخان واللفظ للبخاري عن محمد بن سيرين أنـه سمع

أبا هريرة رضي الله عنه يقول : قال رسول الله صلى الله عليـه وسلم : « إذا اقتربَ الزمانُ لم تكدْ رؤيـا المؤمن تَكـذِبُ ، ورؤيـا المؤمن جزءٌ من ستـةٍ وأربعين جزءاً من النبوة وما كان منَ النبوة فإنه لا يكـذب » ، قـال محمـد ـ أي ابنُ سيرين ـ : وأنا أقول هذه .. الحديث .

قـال الحـافـظ في (الفتـح) وقـولـه : « ومـا كان من النبـوة فـإنــه لا يكـذب » هـذا القَـدْرُ لم يتقـدَّم في طرق الحـديث المـذكـور ، وظـاهر إيراده هنـا أنـه مرفـوع ؛ يعني أن هـذه الجملـة من كـلامـه صلى الله عليـه وسلم . قال الحافـظ : ولئن كان كـذلـك فـإنـه أولى مـا فُسِّر بـه المراد من النبوة في الحديث ، وهو صفة الصدق ، أي : فذلك من باب التشبيه بجزء من أجزاء النبوة في صفة الصدق ؛ كما نبّه عليه المحققون .

قال الحافظ : ثم ظهر لي أن قوله ـ أي قول البخاري ـ بعد هذا : قال محمـد ـ أي ابن سيرين ـ : (وأنـا أقول هـذه) الإشـارة في قولـه (هـذه) للجملـة المـذكورة ، وهـذا هـو السر في إعـادة قـولـه (قـال) بعـد قـولـه (هذه) .

قال الحـافـظ : ثم رأيت في (بغيـة النقـاد) لابن المَوّاق أن عبـد الحق أغفل التنبيه على أن هذه الزيادة مدرجةٌ ، وأنه لاشك في إدراجها ، فهي من قول ابن سيرين ، وليست مرفوعة . اهـ .

وعلى كلٍّ من القـولين ؛ الرفـعِ لهـذه الجملـة ؛ أو الإدراج من ابن سيرين ، ففي ذلـك تفسيرٌ لمعنى كون رؤيـا المـؤمن هي جـزء من أجـزاء النبوة في صدقها وتحقُّقها .

وجاء في رواية مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الرؤيا الصالحة جزء من سبعين جزءاً من النبوة » كما جاء ذلك عند أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما أيضاً .

وقد قال العلامة الطبريُّ : إن نسبة هذه الأجزاء إلى النبوة إنما هو بحسب اختلاف حال الرائي ، فرؤيا الصالح على عددٍ ، والذي دونه دون ذلك .

وقال في (الفتح) : وقد جَمع بينها ـ أي الروايات الواردة في نسبة رؤيا المؤمن لأجزاء النبوة ـ جَمع بينها جماعة أولُّهم الطبري فقال : رواية السبعين عامةٌ في كل رؤيا صادقة في كل مسلم ، ورواية الأربعين ـ أي كما جاء في رواية للترمذي والطبري ـ هي خاصة بالمؤمن الصادق الصالح ، وأما ما بين ذلك فبالنسبة لأحوال المؤمنين . اهـ .

وقد بيَّن النبي صلى الله عليه وسلم أن الرؤيا الصالحة ـ وتسمى الصادقة ـ هي من الله تعالى :

روى الشيخان عن أبي قتادة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الرؤيا الصالحة من الله ، والحُلُم من الشيطان » هذا لفظ البخاري ، وعند مسلم : « الرؤيا الصالحة من الله ، والرؤيا السوء من الشيطان » .

كما بيَّن صلى الله عليه وسلم أن الرُؤيا الصادقة :

قد تكون بشارةً للرائيْ ، أو للذي رؤيت له . ،

وقد تكون تذكرةً وموعظة له ، وفي ذلك دليلُ عنايةِ الله تعالى بالرائي .

أما كون الرؤيا الصالحة بشارةً لصاحبها فهذا هو الغالب فيها :

روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لم يبقَ من النبوة إلا المبشِّراتُ »[1] قالوا : وما المبشراتُ ؟ قال : « الرؤيا الصالحة » .

وروى مسلم وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم كشف السِّتارة ورأسُه معصوبٌ في مرضه الذي توفي فيه والناس صفوف خلف أبي بكر فقال : « يا أيها الناس إنه لم يبقَ من مبشِّراتِ النبوة إلا الرؤيا الصالحةُ ، يراها المسلم أو تُرَى له » .

وروى الإمام أحمد عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لم يبقَ بعدي من المبشِّرات إلا الرؤيا » .

وهذه البشائر من باب قوله تعالى : ﴿ الذين آمنوا وكانوا يتَّقونَ ، لهم البُشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، لاتَبديلَ لكلماتِ الله ذلك هو الفوزُ العظيمُ ﴾ .

وروى الإمام أحمد عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله أرأيتَ قولَ الله تعالى : ﴿ لهم البُشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾ ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : « لقد سألتَني عن شيء ما سألني عنه أحدٌ من أمتي - أو قال : أحدٌ قبلك - : تلك - أي البشرى - الرؤيا الصالحةُ يراها الرجل أو تُرى له » .

---

(١) قال الحافظ الزرقاني : المبشرات جمع مبشرة ، اسم فاعل للمؤنث ، وهي البشرى من البِشر ، وهو إدخال الفرح والسرور على المبشَّر .

وكـذلـك روى الإمـام أحمـد عن أبي الـدرداء رضي الله عنـه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قولـه تعـالى : ﴿ لهم البشرى في الحيـاة الـدنيـا وفي الآخرة ﴾ قال : « الرؤيا الصالحة يَراها المسلمُ أو تُرَى له » .

وروى ابن جرير بـإسنـاده المتصـل إلى أبي هريرة رضي الله عنـه عن النبي صلى الله عليـه وسلم ﴿ لهم البشرى في الحيـاة الـدنيـا وفي الآخرة ﴾ قال : « في الدنيـا : الرؤيـا الصـالحـة يراهـا العبـد أو تُرى لـه ، وهي في الآخرة : الجنة » .

وروى الترمذي عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليـه وسلم : « الرسـالـة والنبوة قـد انقطعتْ فلا رسـولَ بعـدي ولا نبيٌّ » قـال : فشـقّ ذلـك على النـاس فقـال : « لكنِ المبشِّراتُ » فقـالـوا : يـا رسـول الله ومـا المبشِّراتُ ؟ قـال : « رؤيـا المسلمِ هي جزءٌ من أجـزاء النبوة » .

وأما أن الرؤيا الصادقة قد تكون موعظةً لصاحبها وتذكرةً له :

فقد روى البخاري وغيره عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : إن رجـالاً من أصحـاب رسول الله صلى الله عليـه وسلم كانوا يَرَون الرؤيـا على عهـد رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم فَيَقُصُّونها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ماشـاء الله ، وأنـا غلامٌ حـديثُ السنّ ، وبيتي المسجـدُ قبـل أن أنكـح ـ أي قبـل أن أتـزوّج ـ فقلت في نفسي : لو كان فِيكَ خيرٌ لرأيتُ مثلَ ما يَرَى هؤلاء .

فلما اضطجعت ليلةِ قلت : اللهم إن كنتَ تعلم فيَّ خيراً فأرني رؤيـا ؛

فبينا أنا كذلك - أي : فنام ، كما جاء في روايـة أخرى - إذ جـاءني مَلَكان في يد كلٍّ واحدٍ منهما مَقْمعةٌ - هي سوط رأسُها معوَّجٌ - من حديد يُقبلان بي - وفي رواية : فـانطلقـا بي - إلى جهنم وأنـا بينهما أدعو الله : اللهم أعوذ بك من جهنم ، ثم أُراني لقيَني مَلَك في يده مقمعة من حديد فقال لي : لن تُراعَ[1] نِعمَ الرجلُ أنت لو تُكثر الصلاة ، فـانطلقـوا بي حتى وقفـوا بي على شفير جهنم ، فإذا هي مطويَّـة كطيِّ البئر لـه قرون كقرون البئر[2] ، بين كل قرنين مَلَـك بيـده مقمعـة من حـديـد ، وأُرى فيهـا رجـالاً مُعَلَّقين بالسلاسل رؤوسهم أسفلهم ، عرفت فيها رجالاً من قريش ، فـانصرفوا بي عن ذات اليمين .

قـال ابن عمر رضي الله عنهما : فقصصتُهـا - أي تلـك الرؤيـا - على حفصـةَ رضي الله عنهـا أُخْتِـه زوجِ النبي صلى الله عليـه وسلم ، فقصتْهـا حفصةُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن عبد الله رجلٌ صالح » وفي روايـة : « إن عبـد الله رجل صـالح لو كان يكثر الصلاة من الليل » وفي روايـة لمسلم : فقـال صلى الله عليـه وسلم : « نِعْم الرجلُ عبـد الله لـو كان يُصلِّي من الليل » . قـال سـالم بن عبـد الله : فكان عبـد الله لا ينـام من الليْل إلا قليلاً .

---

(١) أي : لن تراع . والمعنى : أنك لا رَوْع عليك بعد ذلك فهو تطمين وتأمين له .

(٢) وقرون البئر جوانبهـا التي تُبنى من الحجـارة توضـع عليهـا الخشبـة التي تعلـق فيهـا البكرة . والعادة : أن لكل بئر قرنين . ا هـ من (الفتح) .

فجاءت هذه الرواية موعظةً لابن عمر وتذكيراً لـه بقيـام الليل وكثرة الصلاة فيه ، عنايةً من الله تعالى به .

وقـد بيّن النبي صلى الله عليـه وسلم أن الرؤيـا على أنواع ، فهنـاك الرؤيا الصالحة ، وتسمى الصادقة ، وهي ماتقدّم الكلام عليها .

ومن أنواع الرؤيا : حديث النفس ، وتحزينٌ من الشيطان :

كما ورد في صحيـح مسلم من حـديث أبي هريرة رضي الله عنـه ، عنـه صلى الله عليه وسلم قال : « والرؤيـا ثلاثـة : فرؤيـا الصـالحـة بشرى من الله ، ورؤيا تحزينٌ من الشيطان ، ورؤيـا ممـا يحـدِّث المرءُ نفسَـه ، فـإنْ رأى أحدُكم ما يكره فليقُمْ فليصلِّ ، ولا يحدث بها الناسَ » .

وعنـد الترمـذي عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليـه وسلم قـال : « الرؤيا ثلاث : فرؤيا حقٌّ - أي وهي الصالحة كما تقدم - ورؤيا يحـدِّث الرجـل نفسَـه ، ورؤيـا تحـزينٌ من الشيطـان ، فمن رأى مـا يكره فليقمْ فليصلِّ » .

فرؤيـا المؤمن الصـادقـة هي حـقٌّ لا ينبغي أن يُشـك فيهـا ، وهي من الله تعالى ، وإن أحقَّ الرؤيـا التي يراهـا المؤمن وأصـدقَهـا : هي رؤيـاه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن الشيطان لا يستطيع أن يتمثّل بـه ، ولا أن يتشبَّـه بـه ، ولا أن يتكوَّن به ، ولا أن يتراءى به ، ولا أن يتزيَّا به صلى الله عليه وسلم ، كما جاء ذلك كله مصرَّحاً به في الأحاديث الصحيحة الآتية :

قـال الإمـام البخـاري : بـابٌ مَن رأى النبيَّ صلى الله عليـه وسلم في المنام :

ثم أسند إلى أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « مَن رآني في المنام فَسَيراني في اليقظة ، ولا يتمثّل الشيطانُ بي » .

ثم روى عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ « مَن رآني في المنام فقد رآني ، فإن الشيطان لا يتمثّل بي ، ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة » .

وروى عن أبي قتادة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الرؤيا الصالحة من الله ، والحُلُم من الشيطان ، فمن رأى شيئاً يكرهه فلينفثْ عن شماله ثلاثاً ، وليتعوَّذْ من الشيطان فإنها لاتضرُّه ، وإن الشيطان لا يتزايا بي » وفي رواية : « لا يتراءى بي » .

وروى أيضاً عن أبي قتادة رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « من رآني فقد رأى الحق » .

وروى البخاري أيضاً عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « مَن رآني فقد رأى الحقّ ، فإن الشيطان لا يتكوَّنني » .

وروى مسلم عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من رآني في النوم فقد رآني ، فإنه لا ينبغي للشيطان أن يتشبّه بي » .

وروى الشيخان أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من رآني في المنام فسيراني في اليقظة ، أو لكأنّما رآني في اليقظة ، لا يتمثّلُ الشيطان بي » .

وروى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الرؤيا ثلاث : فرؤيا حقٌّ » الحديثَ كما تقدم ، وفيه : وكان يقول : « من رآني فإني أنا هو ، فإنه ليس للشيطان أن يتمثَّل بي » . صلى الله عليه وآله وسلم .

قال العلامة الطِّيبيُّ رحمه الله تعالى : والمعنى ـ أي معنى الأحاديث السابقة ـ : من رآني في المنام بأيِّ صفة كانت فليستبشرْ ، ويعلم أنه قد رأى الرؤيا الحقَّ التي هي من الله تعالى ، وهي مبشِّرة ، لا الباطلَ الذي هو الحُلُم المنسوب للشيطان « فإن الشيطان لا يتمثَّل بي » وكذا قوله صلى الله عليه وسلم : « فقد رأى الحقَّ » أي رؤيةَ الحق لا الباطل ، وكذا قوله صلى الله عليه وسلم : « من رآني فقد رآني » فإن الشرط والجزاء إذا اتَّحدا دلاَّ على الغاية في الكمال ، أي : فقد رأى رؤيا ليس بعدها شيء . ا هـ كلام الطِّيبي كما في (الفتح) .

وقال العلامة القُرطبي رحمه الله تعالى : والصحيح في تأويل هذا الحديث ـ أي : قوله صلى الله عليه وسلم : « فإن الشيطان لا يتمثَّل بي » ـ أن مقصودَه أن رؤيتَه صلى الله عليه وسلم في كل حالة ليست باطلةً ولا أضغاثاً ، بل هي حقٌّ في نفسها ، ولو رؤي على غير صورته صلى الله عليه وسلم ، فتصوُّر تلك الصورةِ ليس من الشيطان ، بل هي من قِبَل الله تعالى . ا هـ .

وفي ذلك يقول الإمام النووي رحمه الله تعالى : والصحيح أنه يراه ـ صلى الله عليه وسلم الرائي في المنام ـ حقيقة ، سواء كانت على صورتِه المعروفةِ أو غيرِها . ا هـ .

وفي (الحـاوي) للحـافـظ السيـوطي : سئـل بعضهم : كيف يراه صلى الله عليه وسلم الراؤون المتعدّدون في أقطار متعددة ؟ فأنشد يقول :

كالشمس في كَبِد السماء وضوؤُها   يَغشَى البلاد مشارقاً ومغاربا

وأمـا قـولـه صلى الله عليـه وسلم : « من رآني في المنـام فسيراني في اليقظة ، ولا يتمثَّلُ الشيطانُ بي » فقد رواه الشيخان وأبو داود وغيرهم .

وقال العلامة المناوي رحمه الله تعالى : يراه رؤيةً خاصة في الآخرة ، بصفة القُرْب والشفاعة . ا هـ .

وكذا سبقه إلى هـذا المعنى كثير من العلماء من المتقدمين كما جاء في (الفتح) وغيره .

والمعنى : أن النبي صلى الله عليه وسلم يبشِّر من رآه في المنام بأنْ سوف يراه في الآخرة رؤية خاصة فيها القُرْب منه صلى الله عليه وسلم ، وفيها شفاعتُه الخاصةُ بمن يراه بعلوّ درجته ورفعة منزلته ، ونحو ذلك من الخصوصيات ، لأن كل مؤمن سوف يرى النبيَّ صلى الله عليه وسلم في الآخرة بالرؤية العامة ، أما مَن رآه صلى الله عليه وسلم في المنام فسوف يراه في الآخرة رؤيةً خاصة ، وفيها المزايا الخاصة .

فالحمد لله رب العالمين الذي أكرمني برؤيته صلى الله عليه وسلم مراراً عديدة ، وأسأله الزيادة من فضله .

ونقل العلامة المناوي عن العلامة الدَّمامينيّ أنه قال : وهذه بشارة لرائيه صلى الله عليه وسلم بموته على الإسلام . أي : أن من رأى النبي صلى الله عليه وسلم فسوف يُختم له بحسن الخاتمة ويموت على الإسلام .

قال : لأنه لا يراه في القيامة تلك الرؤية الخاصة باعتبار القُرْب منه صلى الله عليه وسلم إلا مَن تحقَّق منه الوفاة على الإسلام . ا هـ جعلنا الله تعالى منهم بفضله وبرحمته .

ثم قال العلامة المناوي رحمه الله تعالى : وقال جَمعٌ ـ أي من كبار العلماء المتقدمين ومنهم ابن أبي جمرة ـ : بل يراه في الدنيا حقيقة ، وذا عامٌّ في أهل التوفيق ، ومحتمِلٌ في غيرهم . ا هـ .

والمعنى : أن من رأى النبيَّ صلى الله عليه وسلم فسيراه في الحياة الدنيا يقظةً ، ولو قُبيل الوفاة أو عند الاحتضار ، فيكون ذلك بشارة للرائي .

قال عبد الله : ولا مانع من أن يُراد من اليقظة عمومُها ، بحيث تشملُ يقظةَ الدنيا ولو قُبيل الموت أو عنده ، وتشملُ يقظةَ البرزخ بعد الموت أيضاً ، ويقظةَ الآخرة ، فيكون الحديثُ فيه بشارةٌ لرائيه صلى الله عليه وسلم برؤيته يقظةً في جميع العوالم : الدنيا ، والبرزخ ، والآخرة .

قال الحافظ السيوطي في (الحاوي) : وأكثرُ ما يقع ذلك للعامة ـ أي : أكثر ما يقع رؤيته يقظةً للعامة ـ قبيل الموت عند الاحتضار ، فلا تخرج روحه من جسده حتى يرى النبيَّ صلى الله عليه وسلم وفاءً بوعده ، وأما غيرهم ـ أي الخاصة ـ فتحصل لهم الرؤية في حياتهم اهـ .

وهذا من باب الكرامات التي يكرم الله تعالى بها مَنْ شاء من عباده .

جواب أهل العلم والرشاد لمن دأبه الاعتراض والانتقاد

قد يقول بعض الناس :مالكَ تأتي في كتبـك ببعض أحـاديث فيهـا ضعف ؟!

فالجواب عن ذلك : أنني أجري في ذلـك على منهـاج جمهور علمـاء الحـديث العلميّ والعَمليّ ، ولاشـك أن الحق هو مـع الجمهـور ، ويـد الله تعالى على الجماعة .

أمـا منهـاج جمهور المحـدثين العلمي الـذي انتهجـوه فهـو : كما بيَّنـه الحافظ السخاوي في خاتمـة كتـابـه (القول البـديع في الصلاة على الحبيب الشفيع صلى الله عليه وسلم) حيث قال في ص : ٢٥٨ :

قال شيخ الإسلام أبو زكريا النوويُّ رحمـه الله تعـالى في (الأذكار) : قال العلماء من المحدثين والفقهاء وغيرهم :

يجوزُ ويستحبُّ العمـلُ في الفضـائـل والترغيب والترهيب بـالحـديث الضعيف مالم يكن موضوعاً ، وأما الأحكام كالحلال والحرام والبيع والنكاح والطلاق وغير ذلك فلا يُعملِ فيها إلا بـالحـديث الصحيح أو الحسن ؛ إلاّ أن يكـون في احتيـاطٍ في شيء من ذلـك : كما إذا ورد حـديثٌ ضعيف بكراهـة بعض البيـوع أو الأنكحـة ، فـإن المستحب أن يتنزَّه عنـه ولكن لا يجب . اهـ

قال الحافظ السخاوي : وخالف ابنُ العَرَبيِّ المالكيُّ في ذلك فقال ـ أي أبو بكر ابن العربي ـ : إن الحديث الضعيف لا يُعمل به مطلقاً . اهـ .

قال الحافظ السخاوي : وقد سمعتُ شيخنا ـ يعني الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى ـ مراراً يقول ـ وكَتَبه لي بخطه ـ : إن شرائط العمل بالضعيف ثلاثة :

الأول : متفق عليه ـ أي الشرط الأول متفق عليه ـ أن يكون الضعفُ غيرَ شديد ، فخرج به من انفرد به أحدٌ من الكذابين ، والمتَّهمين بالكذب ، ومن فَحُشَ غلطه .

الثاني : أن يكون مندرجاً تحت أصل عام ، فيخرج ما يُختَرع ؛ بحيث لا يكون له أَصْلٌ أصلاً .

الثالث : أن لا يَعتقد عند العمل به ثبوتَه ، لئلا ينسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم مالم يَقُلْه .

قال ـ يعني الحافظ ابن حجر ـ : والأخيران ـ أي الشرطان الأخيران ـ عن ابن عبد السلام وعن صاحبه ابن دقيق العيد ، والأولُ نقل العلائي الاتفاق عليه . اهـ .

قال الحافظ السخاوي : قلتُ : وقد نُقل عن الإمام أحمد أنه يُعمل بالضعيف إذا لم يُوجد غيره ، ولم يكن ثَمَّ ما يعارضه ، وفي رواية عنه ـ أي عن الإمام أحمد ـ أن ضعيف الحديث أحبُّ إلينا من رأي الرجال ، وكذا ذكر ابن حزم أن جميع الحنفية مجمعون على أن مذهب أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه أن ضعيف الحديث أولى عنده من الرأي والقياس .

وسُئل أحمدُ عن الرجل يكون ببلد لا يُوجد فيها إلا صاحبُ حديث لا يَدري صحيحه من سقيمه ، وصاحبُ رأي : فمن يَسأل ؟.

قال : يَسأل صاحبَ الحديث ولا يَسأل صاحبَ الرأي .

قال الحافظ السخاوي : ونقل أبو عبد الله ابن مَنْدَهْ عن أبي داود صاحب السنن ـ وهو من تلامذة الإمام أحمد رضي الله عنهما ـ أنه يخرّج الإسناد الضعيف إذا لم يجد في الباب غيرَه ، وأنه أقوى عنده من رأي الرجال . اهـ .

فتحصَّل أن في الضعيف ثلاثةَ مذاهب :

أوَّلها : لا يُعمل به مطلقاً .

ثانيها : يُعمل به مطلقاً إذا لم يكن في الباب غيره .

ثالثها : وهو الذي عليه الجمهور يُعمل به في الفضائل دون الأحكام كما تقدم بشروطه .

قال ـ أي الحافظ السخاوي ـ : وأما الموضوع فلا يجوز العملُ به بحال ، وكذا روايته إلا إن قُرِنتْ ببيانه ، لقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم في (صحيحه) من حديث سمرة رضي الله عنه قال : قال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ حدَّثَ عني بحديث يُرى أنه كذبٌ فهو أحد الكاذبين[1] » .

قال : وكفى بهذه الجملة وعيداً شديداً في حقّ مَن روى الحديث وهو

---

(١) قال الحافظ : « يُرى » مضبوطة بضم الياء بمعنى يظن ، وفي « الكاذبين » روايتان أحدهما بفتح الباء ، على إرادة التثنية ، والأخرى بكسرها على صيغة الجمع . اهـ .

يظن أنه كذبٌ فضلاً عن أن يتحقق ذلك ولا يُبيِّنه ، لأنه صلى الله عليه وسلم جعل المحدثَ بذلك مشاركاً لكاذبه في وضعه .

ثم قال الحافظ السخاوي : قال ابن الصلاح رحمه الله تعالى ما لفظه بعد تعريفه الصحيح في (علومه) : ومتى قالوا : هذا حديث صحيح ، فمعناه أنه اتصل سنده مع سائر الأوصاف المذكورة ، وليس من شرطه أن يكون مقطوعاً به في نفس الأمر ، إلى أن قال - يعني ابن الصلاح - : وكذلك إذا قالوا في حديث : إنه غير صحيح ، فليس ذلك قطعاً بأنه كذب في نفس الأمر ، إذ قد يكون صدقاً في نفس الأمر ، وإنما المرادُ أنه لم يصحَّ إسناده على الشرط المذكور . والله تعالى أعلم .

قال الحافظ السخاوي : وينبغي - كما قال النووي رحمه الله تعالى أيضاً - لمن بلغه شيء من فضائل الأعمال أن يعمل به ولو مرة ليكون من أهله ، ولا ينبغي أن يتركه مطلقاً بل يأتي بما تيسَّر منه ، لقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق على صحته : « فإذا أمرتكم بشيءٍ فافعلوا منه ما استطعتم » .

ثم روى الحافظ السخاوي في (جزء الحسن بن عرفة) بسنده إلى أبي سلمة وجابر رضي الله عنهما قالا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ بَلَغَه عن الله عز وجل شيء فيه فضيلة فأخذ به إيماناً ورجاءَ ثوابِه أعطاه الله ذلك وإن لم يكن كذلك » .

ثم قال : وكذا أخرجه أبو يعلى بسند ضعيف عن أنس بلفظ : « مَنْ بَلَغه عن الله فضيلةٌ فلم يصدِّق بها لم ينلها » .

قال السخاوي : ولهذا الحديث شواهدُ من حديث ابن عباس وابن عمر

وأبي هريرة رضيَ الله عنهم وعن سائر الصحابة أجمعين . اهـ .

والبحث في الأدلة على جواز العمل بالضعيف مفصلاً يأتي في موضعه ، وقد ذكرنا جانباً من الكلام عليه في (شرحنا على المنظومة البيقونية) .

وأما منهاجُ جمهور المحدثين العمليُّ : فإن أئمة الحديث قد أوردوا في مصنفاتهم الحديثية جملةً من الأحاديث الضعيفة ، تتعلق بفضائل الأعمال ، والترغيب والترهيب والمناقب ، مستدلِّين بها ومستشهدين على ذلك ، فمنهم :

الإمام البخاريُّ في كتاب (الأدب المفرد) ، والإمام الترمذي في (جامعه) ، والإمام أبو داود في (سننه) ، والإمام النسائي في (سننه) ، والإمام ابن ماجه في (سننه) والإمام أحمد في (مسنده) ، وغير هؤلاء من أئمة الحديث أصحاب السنن والمسانيد والمعاجم والأجزاء ، فكلهم جَرَوْا على إيراد الحديث الضعيف في الفضائل والترهيب والترغيب والمناقب ، مستشهدين بها تحت عنوان : أبواب أو فصول أو غير ذلك .

قال أبو عبد الله الرصّاع المالكي في (تحفة الأخيار في فضل الصلاة على النبي المختار) بعد أن ذكر جملة من الأحاديث الواردة في فضل الصلاة والتسليم على النبي صلى الله عليه وسلم :

قال : ربما نَظَر بعض ضعفاء الإيمان في بعض هذه الأحاديث ، فيقدح فيها ويقول : إنها لم تَرِدْ في الصحاح ، وهو من سوء العقيدة ، والقدح في شريعة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ، بل الصوابُ تلقّي

ما تلقاه العلماء بالقبول ، لأن عدالـة أمتـه صلى الله عليـه وسلم تمنعهم من الكذب على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد قال صلى الله عليـه وسلم : « من كذب عليَّ متعمِّداً فليتبوأْ مقعدَه من النار » .

قال : وحاشـا أهلَ العلم الخـائفين من الله تعـالى أن يتعمـدوا الكـذب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وأحاديثُ الترغيب معلومٌ مافيهـا عند العلماء .

ثم إن هذه الأحاديث اشتركت كلُّها في فضل الصلاة على نبيّ الله تعالى وعزيز العقدر عند الله تعـالى ، وهـذا أمر مقطوع بـه ، ولا يَشـكُّ عـاقل فيـه ، وإنمـا تقـع الـزيـادة واختـلاف الروايـات في قــدر الثـواب ورفـع الدرجات . اهـ من كتاب (سعادة الدارين) لفضيلة العالم العـارف بـالله تعالى ، العاشق لحبيب الله تعالى ، السـابح في بحور أهل الله تعـالى الشيخ يوسف النبهاني رحمه الله تعالى ونفعنا ببركاته .

هذا ، وقد تمَّ جمع هذا الكتـاب في يوم الأربعـاء الثـاني عشر من شهر ربيع الأول عام ألف وأربعمائة هجرية .

وإنني لأرجو الله تعالى أن يجعله مقبولاً عنده ، ومرضياً لدى سيدنـا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن ينفعني وينفع بـه ، وأن يبـارك لي في العُمُر والقُوَى والعمل ، وأن يجعل ذلك مستعملاً بطاعته وخدمة دينه وشريعته .

اللهم صـلِّ على سيـدنـا محمـد كما أمرتَنـا أن نصليَ عليــه ، وكما تحبُّ أن يُصلَّى عليه ، وكما يجبُّ أن يُصلَّى عليه ، وكما هو أهلُه ، وكما تحبه وترضـاه له ، وعلى آله وصحبه وسلِّم ، وعلينا معهم أجمعين .

اللهم ببركة الصلاة عليه مسّكْنا بشريعته ، واجعلنا على سنته ، وتوفّنا على ملّته ، واحشرنا في زمرته ، وأوردنا حوضه الأصفى ، واسقنا بكأسه الأوفى ، وأدخلنا تحت لوائه ، واجعلنا من رفقائه ، وعطّفْ علينا قلبه الشريف ، وأفِضْ علينا من بركاته ، وانفحنا بنفحاته ، واجعلنا مرايا لأنواره ، ومخازنَ لأسراره ، ولسان حجته ، وتَرجُمان حكمته ، هداة مهتدين بسَيْره وسِيرته ، وحَمَلةً لشريعته .

اسمعْ واستجبْ يا ذا الجلال والإكرام ، والطّوْل والإنعام ، فأنت يا ربِّ الوليُّ لمن تولاّك ، والمجيبُ لمن دعاك ، أنت أمرتنا بدعائك ، ووعدتنا بإجابتك ، حيث قلت وقولك الحق : ﴿ وقال ربكم : ادعُوني استَجِبْ لكم ﴾ .

فها نحن قد دعوناك كما أمرتّنا ، فاستجبْ لنا كما وعدتنا ، إنك لا تُخلف الميعاد .

وصلّى الله العظيم على سيدنا محمد ، وعلى اله وصحبه وسلّم ، كلما ذكره الذاكرون ، وغفل عن ذكره الغافلون .

سبحان ربك رب العزة عما يصفون

وسلام على المرسلين

والحمد لله رب العالمين

امين .

المحتوى

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة



كتب للمؤلف

* الأدعية والأذكار الواردة آناء الليل وأطراف النهار ؛ يصدر قريباً إن شاء الله بطبعته الرابعة المزيدة زيادات هامة باسم : « الدعاء : فضائله ، آدابه ، ما ورد في المناسبات ومختلف الأوقات » .
* الإيمان بعوالم الآخرة ومواقفها (الطبعة الثانية) .
* الإيمان بالملائكة عليهم السلام ؛ ومعه بحث مختصر حول عالم الجن (الطبعة الثانية ؛ نفد) .
* تلاوة القرآن المجيد ، يصدر قريباً بعون الله تعالى بطبعة رابعة مزيدة زيادة واسعة .
* سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم : خصاله الحميدة ، شمائله المجيدة (الطبعة الثالثة ؛ نفد)
* شرح المنظومة البيقونية في مصطلح الحديث (الطبعة الخامسة) .
* صعود الأقوال ورفع الأعمال إلى الكبير المتعال ذي العزة والجلال (الطبعة الأولى)
* الصلاة في الإسلام (الطبعة الثانية ؛ نفد) .
* الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم : أحكامها ، فضائلها ، فوائدها .
* مناسك الحج (الطبعة الثانية ؛ نفد) .